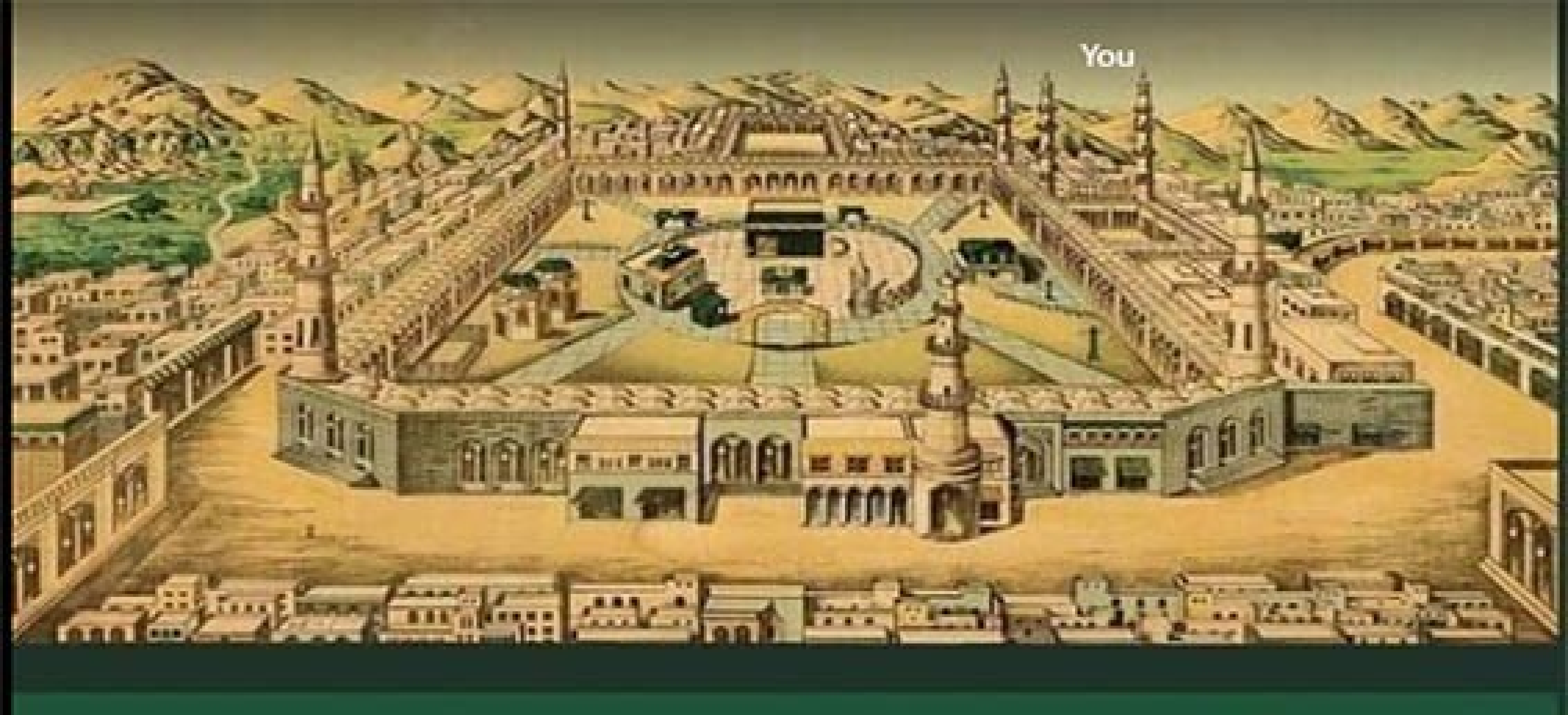


أوقاف الحرمين

في الدولة العثمانية

في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين

مصطفى كولار

ترجمة الدكتور/ محمد حرب

مركز التاريخ العربي للنشر

أوقافُ الحرمين في الدّولة العثمانيّة
في القرْنين السّادس والسّابع عشر الميلاديّيْن

الدّكتور مصطفى كولار

ترجمة

الدّكتور/ محمّد حرب

المقدمة

عن المصادر

يجبُ على مَن يريد أنْ يثبت الخدماتِ التي قدّمت للحرمين في القرنين السّادس عشر والسّابع بأبعادِها الحقيقة أنْ يقيّم وثائق ووقفيّات الأرشيف، وتوجد معظمُ الوثائق المتعلّقة بهذا الموضوع في أرشيف المديرية العامّة للأوقاف، والأرشيف العثماني التّابع لرئاسة الوزراء، وأرشيف متحف طوب قابي سراي ومكتبته، ومكتبة السّليمانية التي تضمّ الكثيرَ من المؤلفات المخطوطة، ومكتبة بايزيد وكوبرولو، والمكتبة القوميّة، ولا شكّ في أنّ الوقْفيّات التي خصّصت للحرمين تشكّل أساسًا لهذه الدراسة.

أرشيفُ المديرية العامّة للأوقاف:

وتوجد في هذا الأرشيف وقْفيّاتٌ لأوقاف كثيرة أسّست في القرنين السّادس والسّابع عشر، أو الوقْفيّات التي أسّست قبل ذلك، ولا تزال شروطُها ومصادر دخلِها مستمرّة. (إلّا أنّ هناك اختلافًا بين الفهارس التي صنّفت قبل ذلك وبين نتيجة تصوير الوثائق الموجودة في صفحة توضيح التّصنيف حاليًا، ولم يتمّ حتّى الآن عملُ فهارس لها)، ولم يقتصرِ الأمرُ على الوقْفيّات فقط في الأرشيف بل توجد- أيضًا- الوثائقُ المتعلّقة بتطبيقات الوقف، والحجج والأحكام المنظّمة لبعض الأوقاف، ولأنّ الوقْفيّات المكتوبة باللغة العربية تمّت ترجمتها في السنوات الأولى للجمهورية؛ فإنّ الوقْفيّات الخاصّة ببدايات القرن السّابع عشر لها نصٌّ عربي وآخر تركي[1].

فهارسُ نظارة الأوقاف الهمايونيّة بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء

يوجد في هذا التّصنيف 1301 وقفيّة تأسّست معظمُ أوقافها في استانبول وما حولها في الفترة من 440- 1331/ 1048- 1913 م، وإلى جانب الوقْفيّات المتعلّقة بفترة موضوعنا بشكلٍ مباشر، توجد- أيضًا- وقْفيّات لأوقاف كانت موقوفةً في بادئ الأمر لذريّة الواقف، ثمّ اشترطت للحرمين بعد فناء تلك الذرية.

أرشيفُ متحف طوب قابي سرايى ومكتبته:

إنّ أرشيف متحف طوب قابي سرايى ليس أرشيفًا للدّولة بل هو أرشيف للقصر، وينقسم التصنيف الموجود به إلى قسمين: الدّفاتر ويرمز لها برمز D، والأوراق ويُرمز لها برمز E، أي التي صنّفت على شكل الوثائق، وعلى هذا يوجد بالأرشيف 10.726 دفترًا، و 12.274 وثيقة، وبعض الوثائق والوقفيات الهامّة للغاية، والتي لها علاقة مباشرة بموضوعنا، وتوضّح في نفس الوقت تأسيسَ نظارة الأوقاف الهمايونيّة، والأحكامَ الخاصّة بتشغيلها وإعفائها من الضرائب؛ محفوظةً في هذا الأرشيف، أمّا مكتبة القصر فتوجد بها الكثيرُ من المخطوطات الأصلية، والوقفيّات الأصلية ودفاتر الصرّة والمحاسبة المتعلّقة بدراستنا هذه.

كما يوجد الكثيرُ من الوقْفيّات الأصلية في المكتبات مثل مكتبة ملتْ وبايزيد وكوبرولو، وعلى رأسهم مكتبة السليمانيّة التي تضمّ مخطوطات كثيرة، على سبيل المثال وقفية "طورخان والدة سلطان" مسجّلة برقم 150 بقسم "طورخان والده سلطان" بالسّليمانية، ووقفيّة الفهرس السّلطاني التي توضّح أوقاف مسيح باشا مسجّلة برقم 72 بقسم مسيح باشا بالسّليمانية، أمّا وقْفيّات "خوّرم والده سلطان" و" مهرماه سلطان" فموجودة بمكتبة ملتْ، ووقفيّات "كوسم سلطان" و"صقوللو محمد باشا" فموجودةٌ بقسم على أميري بمكتبة ملتْ، أمّا وقْفيّات عائلة كوبرولو فموجودة بمكتبة كوبرولو، أمّا الموجود بمكتبة بايزيد فهي وقْفيّات بَرْتو محمد باشا ووقفية القانوني لكسوة الكعبة، ومن المعروف أنّه توجد بمكتبة السليمانية- أيضًا- صور للكثيرِ من الوقْفيّات التي كُتبت بين المؤلّفات المختلفة، وخاصة الوقْفيّات الموجودة بقسم المخزن غير المصنّف.

وتوجد معلوماتٌ قيّمة تتعلّق بأوقاف الحرمين في الدّفاتر والوثائق الموجودة في التّصنيفات المختلفة للأرشيف العثماني التّابع لرئاسة الوزراء. وتلك هي التّصنيفات الموجودة:

دفاترُ الصّرّة بنظارة الأوقاف الهمايونيّة بالأرشيف العثماني: (BOA)

يوجد في فهارس دفاتر الصّرّة بالأرشيف العثماني 4.170 دفترًا نظّمت في الفترة 1009-1327هـ / 1600- 1909م.

429 دفترًا منها تتعلّق بموضوعنا بشكل مباشر لأنّها نظّمت في الفترة 1009- 1101هـ/ 1600-1690م.

دفاترُ الحسابات بنظارة الأوقاف الهمايونيّة بالأرشيف العثماني (BOA):

ويوجد مِن هذه الدّفاتر 600 دفترًا تقريبًا، موضوعُها تسجيل محاسبة الأوقاف ومخصّصات الرّواتب، ومحاسبات الأوقاف عن الفترة 935- 1242هـ/ 1428- 1826م، والدّفتر الذي يحمل عنوانَ دفتر محاسبة نظارة الأوقاف الهمايونيّة من هذه الدّفاتر لا يختصّ بالأوقاف المؤسّسة لخدمة الحرمين فحسب، بل يشمل- أيضًا- محاسبة كلّ الأوقاف التابعة للنظارة.

الدّفاتر المدوّرة من نظارة الماليّة بالأرشيف العثماني (BOA):

في عام 1945م تمّ تحويل 23.881 دفترًا من نظارة المالية، تمّ تصنيف

6.959 دفترًا منها تخصّ الفترة 830- 1346هـ/ 1427- 1927م،

وصنفت على ترتيبٍ زمني، ويوجد بتلك الدّفاتر موضوعات مثل الاتجاه المالي للأوقاف، وتحرير الأوقاف، وشئون القصر، ورواتب الإنكشارية، وتوجد بعض الدّفاتر تضمّ معلوماتٍ قيمةً جدًّا متعلقة بموضوعنا من بين هذه الدفاتر، على سبيل المثال دفتر المحاسبة أوقاف الحرمين المرقوم برقم 1806 يحتوي على أسماء أوقاف الحرمين التي تأسّست حتّى نهايات القرن السادس عشر، وشروط تلك الأوقاف ودخلها السّنوي بشكل مختصر.

والمُحاسبات السّنوية لأوقاف الحرمين في دفاتر المحاسبة الموجودة بالأرشيف ومكتبة ومتحف طوب قابي سراي وفهارس "كامل كبة جي"، ودفاتر قلم حسابات الحرمين.

دفاترُ تحرير الطابو:

دفاترُ تحرير الطابو هي الدّفاتر المنظّمة لتوضيح تسجيل أراضي البلدان المفتوحة حديثًا، وتثبيت نظام التّصرف والملكية للأراضي، ونسبة الضرائب التي ستحصّل من تلك الأراضي، وكانت تلك الدّفاتر تنظّم من قِبَل أمناء التحرير، وبلغ عددُ هذه الدّفاتر الخاصّة بالفترة 702-1300هـ/ 1302-1883م بالأرشيف العثماني 1094 دفترًا، أمّا عددُها بأرشيف القيود القديمة فبلغ 2170 دفتر تحرير الطابو.

قسمٌ منها يعتبر دفترَ تحريرٍ مستقلّ للأوقاف، كما يمكن مصادفة تحريرات الأوقاف في بعض الدّفاتر المُنفصلة، ونادرًا ما يوجد دفترُ تحرير لوقف واحد، من ذلك على سبيل المثال دفترُ تحرير أوقاف الحرمين الشريفين للوالدة سلطان المرقوم برقم 812 بدفاتر تحرير الطّابو بالأرشيف العثماني، وبخلاف هذا توجد وقْفيّات بين الدّفاتر الأخرى منها مثلًا وقفيّة عثمان أغا المرقومة برقم 894.

دفاترُ المهمّة:

كانت كلّ الشئون المالية والإدارية والشرعية والسياسية وشتى مختلف الشّكاوى والدّعاوى في الدّولة العثمانيّة تُنظَر في الدّيوان الهمايوني، ويتّخذ فيها قرار، وكانت كلّ الأقلام الإدارية في مركز الدّولة وكذا القرارات الهامّة المتّخذة في الدّيوان الهمايوني ترتّب في دفترٍ على شكل الشّفرة بواسطة رئيس الكتاب أطلق عليه دفتر المهمّة نظرًا لأهمية ما فيه.

وكان بهذه الدّفاتر كلّ الخصائص الهامّة في الدّولة من تاريخٍ للحروب، والمصادر القانونية والشّرعية للأعمال، إلى جانب شكل العمل، وكذا البناء الإداري والعسكري سواء في مركز الدّولة أو في التّشكيلات الخارجية، كما كانت هذه الدّفاتر تضمّ الموضوعاتِ الهامّةَ مثل النّشاطات الفكرية والعلمية والعلاقات مع رعايا الدّولة في الخارج، ويبلغ عدد دفاتر المهمّة 266 دفترًا، خاصّة بالفترة 961- 1323هـ/ 1553- 1905م، وتوجد بها وثائقُ كثيرة للغاية تتعلق بموضوعنا هذا، ويمكن رؤيةُ وثائق كثيرة في هذه الدّفاتر تتحدّث عن إدارة الأوقاف وتوصيل دخل تلك الأوقاف إلى

أماكنها، والقضاء على كلّ العقبات التي يمكن أنْ تصادف أثناء توصيل تلك الأموال إلى أماكنها المحدّدة، كما يوجد بتلك الدّفاتر التّنظيمات التي تمّت في مكّة والمدينة كإدارة الحج، وطريق الحج، وتلبية احتياجات أهالي مكّة والمدينة الذين يطلبون حلّ أيّة مشكلات لهم، أمّا الدفتر الذي يضمّ الوثائق التي نحتاج إليها في موضوعنا هذا فهو الدفتر رقم 98 (2).

تصنيف علي أميري بالأرشيف العثماني (BOA):

هو اسم التّصنيف الذي تمّ في الفترة فيما بين أعوام 1336- 1339هـ/

1918- 1921م، من قبَل هيئة كان رئيسها علي أميري(وفاة 1343هـ 1924م)، وقد رتّبت الوثائق في هذا الفهرس على حسب السّلاطين الذين اعتلوا العرشَ العثماني، والوثائق الخاصّة بالعهود الأولى قليلة للغاية، ثمّ تبدأ في الزيادة اعتبارًا من عهد السّلطان محمد الرّابع، وتتكوّن معظم الوثائق المتعلّقة بموضوعنا من الرّسائل المسمّاة "توجيه نامة"، حيث توجد بعض دفاتر الصّرّة الخاصّة بعهد محمد الرّابع، وكذا تسجيلات للمحاسبة الخاصّة بأوقاف الحرمين، هذا بالإضافة إلى أنّ المعلومات التي قدّمها أوليا جلبي في رحلته عن مكّة والمدينة اللّتيْن قضى بهما سنتيْن تعدّ معلومات مفيدة وقيّمة للغاية عن الأوقاف التي تأسّست للحرمين وعن الخدمات التي تمّت على طول طريق الحج.

كما توجد معلوماتٌ أصلية عن الخدمات التي قام بها السّلاطين ورجال الدّولة للحرمين والتّنظيمات التي تمّت للحجّ في كتب المؤرّخين أمثال عاشق باشا زادة (وفاة 906/ 1500م) ونشري (918/ 1512م) وكمال باشا زاده (941- 1534م) وخوجه سعد الدين أفندي (1008- 1599م) وصولاق زاده (1068- 1657م) ونعيما (1128- 1716م).

وعندما عرّف أيوب صبري باشا (وفاة 1308- 1890م) بمدينتي مكّة والمدينة في كتابه مرآة الحرمين(3) تناول بشكل مفصّل التجديدات والفعاليات التي قامت بها الإدارة العثمانيّة، وكذا نشاطات الأوقاف في الحرمين، أمّا محمد أمين المكّي في كتابه آثار الخلفاء العظام وسلاطين آل عثمان المبرورة والمشكورة في الحرمين الشّريفين(4) فقد تناول الآثار التي أسّسها السّلاطين العثمانيّون في الحرمين الشّريفين بدءًا من عهد سليم الأوّل وحتّى عهد عبد الحميد الثاني.

وقد استخدمنا- أيضًا- الدّراسات الحديثة التي تمّت بناءً على الدّفاتر المختلفة كدفاتر تحرير الطّابو ودفاتر تحرير الأوقاف والإجمال وعلى رأسها دفتر تحرير لواء خداوندكار[5] دفتر تحرير أوقاف استانبول[6] التي نشرها عمر لطفي بارقان (1904- 1979م) [7].

المختصــرات

a.g.d	دفتر سبق ذكره
a.g.e	مصدر سبق ذكره
a.g.m	مقالة سابقة
a.g.v	وقفية سابقة
AÜIFD	مجلة كلية الإلهيات جامعة أنقرة
Ali Emiri	تصنيف علي أميري بالأرشيف العثماني
BOA	الأرشيف العثماني رئاسة الوزراء
D.HMH	محاسبات الحرمين/ الأرشيف العثماني
MDMN	أوقاف المدينة المنورة
DIA	الموسوعة الإسلامية وقف الديانة التركي
EV.HMH	حسابات أوقاف الحرمين بالأرشيف العثماني
EV.HMK.SE	دفاتر الصّرة، نظارة أوقاف الحرمين بالأرشيف العثماني
EV.VKF	فهرس الوقفيات، نظارة أوقاف الحرمين بالأرشيف العثماني
IA	الموسوعة الإسلامية وزارة التعليم العالي
IM	الحضارة الإسلامية
Kamil Kepeci	

KKA	تصنيف كامل كبة جي، بالأرشيف العثماني
MAD	أرشيف القيود القديمة بالمديرية العامة للطابو
MD	الدفاتر المدورة من المالية، الأرشيف العثماني
OM	دفاتر المهمّة، الأرشيف العثماني
OAD	المؤلفون العثمانيون
OTAM	مجلة الأبحاث العثمانية
SO	مجلة أبحاث التاريخ العثماني جامعة أنقرة
	سجل عثماني



أولا : مؤسّسة الوقف

1- معلومات عامّة عن الوقف

الوقفُ مصدرٌ من صيغة الفعل الماضي "وقف"، ويأتي بمعنى الوقوف أو التوقّف[8].

أمّا الوقفُ في الاصطلاح: فهو أنْ يقوم أحدُ الأشخاص بوقف ملكيّة عينٍ له كأرض أو بناء أو مال أو بضائع؛ لله تعالى بالمعاملة الشّرعية على أنْ تكون منفعةُ تلك العين للناس للفوز برضا الله[9].

وتستخدم لفظتا الحبس والصّدقة اللّتان تؤدّيان نفس معنى كلمة الوقف بكثرة في الفقه الإسلامي، وكلمة الحبس هي المرادف لكلمة الوقف من حيث المفهوم والمعنى.

أمّا الصّدقة بمعناها الذي يفيد "كلّ أنواع المساعدات المادية والمعنوية قليلة كانت أو كثيرة سرًّا كانت أو علانية"؛ فهي أشمل من المعنى الذي تفيده كلمتا الوقف والحبس، وأحيانًا تستخدم تلك الكلمات مكانَ بعضها البعض.

وتلك هي بعضُ الكلمات التي تستخدم بكثرة مع كلمة الوقف ومعانيها:

الواقف: وهو الشّخص الذي يقوم بوقف الشيء.

الموقوف: وهو الشّيء الموقوف نفسه وقيمتُه الموضوعة في الوقف.

الموقوف له: أي الشّيء الذي خُصّص له الوقف.[10].

الهدف من الوقف: ضمان المحافظة على الأوقاف الموجودة[11]، وتلبية الاحتياجات المادية والمعنوية والدينية لذوي الحاجة، وتأمين تعلّمهم العلوم اللازمة في حياتهم.

شروطُ الوقف: يجبُ لصحّة الوقف أنْ تحقّق فيه شروط هي:

1- أنْ تكون شروط الوقف موافقةً لقواعد وأسس الشريعة الإسلامية.

2- ألّا يكون تحقّق تصرّف الوقف مربوطًا بشرطٍ ووقت محدد.

-3أن يكون الوقف مسجّلًا من قبل الدّولة حتّى يكون معتبرًا.

4- أن يكون الشيء الموقوف من عيْن أو عقار أو مال مبيّنًا ومعلومًا[12].

1- نشأةُ الوقف

عندما نلقي نظرةً على الأنظمة التي كانت موجودةً قبل الإسلام أو الأنظمة غير الإسلامية يُمكننا

رؤية بعض المؤسّسات التي كانت تقدّم نفس الخدمات التي قدّمها الوقف بعد ذلك، ففي بابل كان يوجد قاعدة تشبه قاعدة حقّ "الانتفاع"، وفي مصر القديمة كانت توجد خدماتُ المعبد، وفي روما "مفهوم الأشياء المقدسة [13]، وعند التّرك القدامى كان يوجد عندهم عادة "الولائم" كما كان يوجد بالأدب الأيغوري نصوصٌ[14] تشبه الوقفيات.

وقد أقام سيدنا إبراهيم- عليه السلام- طرقَ الحجّ، وعمّر بئر زمزم، وأنشأ الطّرق المائية في مكّة[15]، وكان لقبيلة قريش قبل الإسلام اهتمامًا كبيرًا ببعض الخدمات التي تشبِه الوقف كالسدانة والسقاية والحجابة[16].

وكان يوجد في أمريكا وأوروبا مؤسّسات تشبه الوقف، ومؤسّسات وقفية لكنيسة فرنسا، كما كان للأمريكان مؤسّسات يطلقون عليها مؤسّسات الضّمان [17]أو الاعتماد[18]، وكلّ واحدة منها بمثابة نموذج للأوقاف خارج الإسلام[19]، إلّا أنّ كلّ تلك النماذج لا تظهر لنا أنّ تلك الأنظمة غير الإسلامية أو تلك الأنظمة التي كانت موجودةً قبل الإسلام كان لها دورٌ في نشأة الوقف في الإسلام؛ لأنّ مؤسسة الوقف نشأت وتطوّرت بالمفهوم الإسلامي، واستقت كلّ قواعدها وأنظمتها وأصولها من المصادرِ الأساسية للإسلام، ففي القرآن الكريم الكثيرُ من الآيات التي تحمل أساسَ مفهوم الوقف، فأحيانًا تأتي الآياتُ القرآنية للحثّ على الإنفاق والصدقة والتّسابق في الخيرات، وأحيانًا أخرى كانت تأتي بعد الأمر بالصّلاة[20]، وأحيانًا كانت تأتي مع شروط عمل الخير[21]، وأحيانًا بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والصّلاة[22]، وأحيانًا مع أهميّة قراءة القرآن[23].

وأحيانًا كان ذكرُ[24] الوقف في القرآن يأتي بشكل مجرّد[25]، أمّا الآيات الكريمات التي تظهر العذاب الأليم لمَن يفرّون من الإنفاق في سبيل الله[26] فكانت تشكّل العوامل الأساسية لظهور مؤسّسة الوقف.

ومن منطلق هذه الأوامر القرآنية والحثّ القرآني على التسابق في الخير، سعى النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- وصحابتُه الكرام منذ اليوم الأوّل لظهور ونشأة الإسلام في إنفاق أموالهم وأرواحهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وقد جعل النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أراضي قبيلة بني النضير التي أخرجت من المدينة بسبب نقضها المعاهدة التي عقدوها مع المسلمين بمثابة الوقف، وكانت تلك الأراضي هي الأعراف، الصفية، الدّلال، المسيب، البركة، الحسناء ومشربة أمّ إبراهيم [27]، أمّا أراضي الفدك فهي بمثابة الوقف الثّاني للرّسول صلّى الله عليه وسلم[28]، والحديث الشّريف للنبي- صلّى الله عليه وسلّم- (إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية أو علمٍ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [29]كان أحدَ العوامل الأساسيّة والهامّة لنشأة الوقف.

ولم يتأخّر سيدنا أبو بكر الذي كان من أغنى أغنياء مكّة في الأيام الأولى

للإسلام عن تقديم أيّة مساعدات ماديّة لازمة لنشر الإسلام، فقد اشترى العبيد المسلمين الذين كانوا يتعرّضون للتعذيب على يد سادة قريش المشركين وأعتقهم لوجْه الله، أمّا سيدنا عمر الذي اغتنمَ قطعة أرض نصيبًا له من الغنائم مثله مثل باقي المسلمين الذين اشتركوا في غزوة خيبر؛ فقد جاء للنبي- صلّى الله عليه وسلّم- وسأله عن كيفيّة التصرّف في تلك القطعة من الأرض التي اغتنمها بشكل يكون فيه خيرٌ، فأجابه النبي- صلّى الله عليه وسلّم- "إذا أردتَ فاحبس أصلها وتصدّق بمنفعتها"، لذا حبسَها (أوقفها) عمر ليستفيد منها الفقراء وذوو القربى والمساكين وأبناء السبيل ومَن هُم في سبيل الله بشرط عدم بيع أصل المال أو توريثه أو هِبَته[30]، ويعدّ هذا الحبس الذي قام به عمر أوّلَ وقف في العالم الإسلامي، كما أنّه أوقف أرضه المسمّاة (سمك) والتي كان يحبّها كثيرًا، وقوبل تصرّفه هذا بالتّقدير من جانب الرّسول صلّى الله عليه وسلم[31]، وهذا يظهر لنا الأهميّةَ التي أوْلاها سيدنا عمر لهذا الموضوع.

أمّا سيدنا عثمان فلعلّه الشخصيّة الأولى بين الصّحابة في مسألة التصدق، فقد أوقف مالَه المعروف باسم ابن أبي الحقيق في خيبر، وعيّن ابنه (أبان) متولّيًا على هذا الوقف[32].

وإذا ما وضعنا نصبَ أعيننا أنّ الصحابةَ الأثرياء الآخرين كانوا يسعون لتأسيس الأوقاف فإنّنا سنعي من ذلك أنّ مؤسّسات الوقف انتشرت بين المسلمين منذ السّنوات الأولى للإسلام [33]، وتوجد في المجموعة الفقهية لزيد بن علي (112هـ 740م) نصّ وقفيّة منسوبة لسيدنا علي بن أبي طالب[34].

ومِن أبرز النماذج الأخرى لتأسيس الوقف على يدِ الصّحابة، وقف خالد بن الوليد الذي أوقف دروعَه وجياده الحربية، كما أوقف محيرق بن النضر كلّ أمواله من بعْدِه ليتصرّف فيها النّبي صلّى الله عليه وسلم، وينفقها في الأوجه التي يراها مناسبةً لصرفها[35].

كما أوقفت زوجاتُ النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- اللاتي سماهنّ القرآن أمّهات المؤمنين قسمًا كبيرًا من حصصهنّ من الغنائم لذوي الحاجة سواء في حياتهنّ أو بعد مماتهنّ[36].

والزّبير بن العوّام وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير من الصّحابة الذين كانت لهم أوقافٌ في عصر النّبوة، وكلمة الصّحابي الجليل جابر بن عبد الله "لا أعرفُ شخصًا قطّ من المهاجرين أو الأنصار صاحب مال، فقد تصدّقوا بها وأوقفوها" [37]خيرُ تعبيرٍ مشخّص عن مدى تطبيق الصّحابة لنظام الوقف.

والخلاصة أنّ الوقف مؤسّسة ظهرت مع الإسلام، إلّا أنها تأثّرت بالأنظمة المُشابهة لها، والتي كانت موجودةً قبل الإسلام كأيّ مؤسّسة تتطوّر في نفسها في فترة نشوئها وتطوّرها[38]، بل إنّها كانت أفيدَ وأنفعَ من تلك الأنظمة، وليس معنى هذا أنّها مؤسّسة من خارج الإسلام، بل على النّقيض لقد كانت مؤشرًا على أنّها مؤسّسة أكثر شمولًا وتطورًا[39].

2- أنواعُ الوقف

أ- الأوقافُ طبقًا لجهة الموقوف

الأوقافُ الخيريّة: وهي الأوقاف التي تأسّست بهدف الخدمات الخيرية كالجوامع والمدارس والأسبلة والعمارات والخانات وإطعام الفقراء.

الأوقافُ الذرّية: الأوقاف التي تأسّست بشروط محدّدة لمَن هُم من عائلة الشّخص الواقف[40].

أوقافُ العوارض: الأوقاف التي تأسّست بهدف تأمين الإمكانيات والاحتياجات لأصحاب الحاجة في الأوضاع والأحوال غير المنتظرة[41].

ب- الأوقافُ طبقًا لنوع المال

وقفُ العقارات: وهي الأوقاف التي تدرّ دخلًا كالأبنية والعقارات والحوانيت والمنازل، والحدائق والحقول.

الأوقافُ المنقولة: كوقف الأموال والألبسة والحيوانات.

وقفُ الإقطاع: وهي جعل الأراضي الممنوحة من الدّولة للأهالي كالإقطاع بمثابة الوقف.

ج- الأوقافُ طبقًا لإدارتها

الأوقافُ القديمة: اسمٌ يُعطى للأوقاف التي تأسّست دون أنْ يؤسّس لها إدارة خاصّة، بل تكون تابعة لإدارة وقفٍ أسّس حديثًا.

الأوقافُ المضبوطة: وهي الأوقاف التي تديرها الدّولة بشكل مباشر، وتنقسم إلى عدّة أنواع؛ كأوقاف السّلاطين، والأوقاف التي ليس لها متولي، والأوقاف الموضوع اليد عليها.

الأوقافُ غير المضبوطة: ويدخل ضمن هذا النّوع الأوقافُ الملحقة والمستثناة.

د- الأوقافُ طبقًا للملكية

الأوقافُ الصّحيحة: كأنْ يوقف الشخصُ شيئًا منقولًا أو غيرَ منقول في يده.

الأوقافُ الإرصادية: كأنْ يوقف الحاكم أو مجموعةُ أشخاص مالًا خاصًّا بالخزينة.

هـ- الأوقافُ طبقًا للإيجار

الأوقافُ ذاتُ الإيجار الواحد: وهي الأوقاف التي تؤجّر لفترة انتقالية.

الأوقافُ المقطعة: وهي وقف الأشياء الخاصّة التي تؤجّر على أرض ملك للواقف.

الأوقافُ ذات الإجارتيْن: وهي الأوقـاف التي تؤجّر بإجارة مؤجّلة وأخرى مُعجّلة[42].

3 - الخدماتُ التي أسهمت بها الأوقاف في المجتمع الإسلامي

لمعرفة الخدمات التي قامتْ بها الأوقافُ في المجتمع الإسلامي ولفهم التطوّر الذي جلبه الوقفُ للمجتمع؛ علينا أوّلًا أنْ نحلّل الوقْفيّات الموجودة، وأن نكونَ على علمٍ بالبنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للعهد الذي تأسّس فيه الوقف، كما أنّ إثبات الدّراسات التي تمّت في هذا الموضوع وتقييمها بشكل عام يعدّ خاصيةً أخرى تحمل أهميّة كبرى في توضـيح المسألة[43].

ويأتي التعليمُ والثقافة على رأس الخدمات التي أسْهمت بها الأوقاف للمجتمع، فقد رأينا تخصيصَ الأموال من كلّ الأوقاف لإنشاء الجوامع والمساجد التي تخدم التّعليم والثقافة، وتخصيص الرّواتب للموظّفين بهما من تلك الأوقاف أيضًا، وهذا هو أجملُ نموذج في هذا الشّأن: بلغ إجمالي إيرادات الأوقاف الموجودة بإيالة الأناضول[44] في الفترة من عام 937-947هـ / 1530- 1540م 13.641.684 أقجة[45].

كان يشتغلُ بهذا المبلغ 112 مدرسة، 623 زاوية، 154 دار معلمين، 4 دار الحفاظ، كما كان 121 مدرّسًا، و8055 خادمًا يتقاضون أجورهم من نفس هذا المبلغ- أيضًا-[46].

لقد أدّت الأوقاف- ومازالت تؤدّي- خدماتٍ كبيرة للغاية في مجالي العمران والعبادات، فكلّ أثرٍ من آلاف الآثار الخيرية التي أنشئت لخدمة الناس كالجسور والحمامات والأسبلة والخانات والجوامع والعمارات والأربطة والطرق؛ إنما هي أثرٌ لوقفٍ من الأوقاف.

وكان يُدار في إيالة الرّومللي في القرن السّادس عشر 71 خانًا و1055 مسجدًا و 342 جامعًا من دخل الأوقاف[47]، وكان هذا الرّقم مرتفعًا نسبيًّا في هذه الإيالة التي كانت تشتملُ على 17 لواءًا، كما أسّست المدن وعمرتْ بمساعدة الأوقاف، فقد عمرت مدينة الصّالحية القريبة من القاهرة بفضل الأوقاف التي أسّسها السّلطان سليم الأول بعد أنّ تسنى له فتح مصر، كما أعمرت المدن الرئيسية في الدّولة العثمانيّة وكبرتْ وتطوّرت كبورصة وأدرنه واستانبول وسليستره وأماسيا وسراي البوسنة ونَوْشهر بفضل الأوقاف- أيضًا-[48].

وكان الوضعُ السّياسي للدّولة مؤثّرًا جدًّا في ترقّي وتقدّم الأوقاف التي أصبحت بمثابة المؤسّسة منذ عهد الخلفاء الراشدين، وأخذت في التقدّم والتطوّر بعد ذلك، كما كان يرى أحيانًا تأثير الأوقاف على إدارة الدولة[49]، وكانت الأوقاف التي أسّسها الإداريّون في العالم الإسلامي بمثابة الأساس لمؤسسة الوقف.

وتوجد أوقافُ كثيرة لكلّ السّلاطين والوزراء ورجال الدّولة ونساء السّلاطين في الدّولة العثمانيّة [50]

وأوّل الأوقاف التي أوقفها العثمانيّون هي أراضي الوقف التي خصصها عثمان الغازي لزاوية قومرال بابا بناحية أرمني دربند[51] التي فتحها عثمان، ولأن وقفيّة هذا الوقف لم تصلْ لأيدينا حتّى هذا اليوم ولم نتعرّف على مصادر دخل هذا الوقف[52] فتذكُر بعض المصادر أنّ أوّل وقفٍ للسّلاطين العثمانيّين هو وقف أورخان الغازي[53].

وتحتلّ الأوقاف مكانةً هامّة في الحياة الاقتصادية للمجتمع العثماني، وتُعطينا العديد من دفاتر التّحرير والحسابات معلوماتٍ مفصّلةً في هذا الشأن، على سبيل المثال بلغ مجموعُ الدّخل السنويّ لإيالة الأناضول بما فيها سناجق قسطموني وعلائيه وتكه وحميد وقره حصار في الفترة من عام 1530-1540م 937- 947هـ 79.784.960 أقجة، كان منها 17 % أي 13.641.684 أقجة من حصيلة الأوقاف[54]، أمّا الدخل السنوي لثلاثين مزرعة في قضاء مانيسا عام 938هـ 1531م فبلغ 63.528 أقجة[55]، أمّا نسبة الأوقاف من الدخل العام لإيالة قرمان فكانت 14 %، وفي إيالة الروم 15.7 %، وفي إيالة حلب والشام 14 %، وفي إيالة ذو القادر 5 % وفي إيالة الرّومللي 5.4 %[56].

وفي الفترة من عام 937- 947هـ/ 1530-1540م خُصص عُشر الدخل من سبعة وأربعين قرية من 1966 قرية هي مجموع قرى لواء خداونودكار و166 قرية من 1071 قرية هي مجموع لواء كوتاهية، و118 قرية[57] من 629 قرية هي مجموع قرى لواء قرة حصار، و45 قرية[58] من قرى أسكى شهر، و211 قرية[59] من قرى لواء آق سراي للأوقاف، أمّا في القرن الثامن عشر فكان ما يقرب من نصف دخل الدّولة مخصّصًا للأوقاف[60]، وبلغ مجموع دخل الأوقاف والخزينة في سنجق سليسترة عام 1006هـ 1597م 14.535.787 أقجة، منها 3.489.051 أقجة للأوقاف [61]، أي كان يمثل 24 % من الدخل العام بالسنجق.

كان يعمل بهذه الأوقاف الكثيرُ من الموظّفين الذين كانوا يتقاضون راتبهم من الأوقاف التي كانت صاحبة قوّة اقتصادية هائلة، وكان 7055 شخصًا يتقاضون راتبهم من دخل أوقاف السّلاطين والوزراء في خداوندكار وكوتاهية وقرة حصار[62]، كما كان 496 شخصًا يتقاضون راتبهم من أوقاف الفاتح عام 895هـ 1490م، و457 شخصًا يتقاضون راتبهم من أوقاف جامع آيا صوفيا[63]، وقد بلغ عددُ الذين يتقاضون راتبهم من الأوقاف في القرن الثامن عشر 86.915 شخصًا[64].

ومِن المعروف أنّ أوقاف الأموال[65] التي جرتْ فيها مناقشات طويلة بين أبي السّعود أفندي والإمام البرجوي لعبت دورًا كبيرًا في الحياة الاقتصادية العثمانية، ففي القرن الثامن عشر أُسّست أوقاف أموال كثيرة جدًّا على يد الحرفيّين والمشايخ والعلماء وأركان الدّولة ونساء السّلاطين[66].

وأصدرت الأحكامُ بخصوص إدارة هذه الأوقاف وتشغيلها[67].

وقد أظهرت الأوقاف نشاطًا في كلّ الساحات الاجتماعية في العالم الإسلامي، وكانت تؤدّي الخدمات في الكثيرِ من الساحات كتلبية احتياجات ذوي الحاجة، وتأدية الدّيْن عن المَدينين، وخدمات الصّحة، وإطعام الطيور المهاجرة[68]، ويعبّر الأستاذ الدكتور جلال أسعد أرسبوك بن علي حيدر أفندي المؤرّخ القانوني "شارح المجلة" عن هذا الموضوع بأجمل تعبيرٍ قائلًا:

"إنّه بفضل الأوقاف التي كانت مظهرًا للتمدّن الكبير في الإمبراطورية العثمانيّة كان الرجل يولَد في منزل الوقف، وينام في مهْد وقف، ويسكن في مكان الوقْف، ويقرأ في كتب الوقْف، ويشتغل مدرّسًا في مكتب الوقف، ويتقاضى أجره من إدارة الأوقاف، وعندما يموت يوضَع في تابوت

موقوف، ثمّ يدفَن في قبرٍ من قبور الوقف، وبهذا يظهر لنا أنّ الوقف كان له دورٌ كبيرٌ في الحياة البشرية ملازمًا للإنسان منذ ولادته وحتّى موته"[69].

وعلى هذا حقّقت الأوقاف التّوازنَ الاجتماعي، ولعبت دورًا كبيرًا في توزيع الثّروات بشكل عادل[70].

لقد أمّنت الأوقاف تلبيةَ احتياجات ذوي الحاجة دون المساس بميزانية الدّولة، وجعلت الأموال متحرّكة بشكل دائم، وكانت من أكبر العوامل في فتح المؤسّسات التي تخدم العامّة كالحمامات والأسبلة ودور العبادة وأماكن التعليم والخدمات الصّحية والطرق والعمارات الخيرية وغيرها من المؤسّسات التي تخدم عامّة الناس [71]؛ لأنّ خدمة السّاحات التي يشعر المجتمع بالاحتياج لها كثيرًا كانت واحدةً من أهمّ الغايات لتأسيس الوقف[72].

والأوقاف بهذا الاعتبار تعدّ بمثابة المقياس الذي يحدّد المرتبة الاجتماعية والدّينية[73] لمؤسّسي الأوقاف والبنية الحضارية للمجتمع الذي عاشوا فيه[74].

وعندما ندقّق- بحقّ- في الأوقاف العثمانيّة سنجد أنّها مرآة اجتماعية وأخلاقية لمجتمعهم[75].

ويذكرُ الرّحّالة الشّهير ابنُ بطوطة في رحلته، أنّه عندما زار بلاد الشّام رأى صحنًا من البورسلين غايةً في الجمال قد انكسرَ من أحد العبيد، وأنّ هذا العبد لم يتحمّل ثمنَ هذا الصّحن الثّمين، بل كان هناك وقفٌ أسّس خصّيصًا لتحمّل الخسائر التي تقع من العبيد أثناء خدمتهم لسادتهم[76].

وقد أمر أميرُ أربيل مظفّر الدّين كوك بورو (630هـ/ 1233م) ببناء بيت لتُقيم فيه النّسوة الأرامل، وخصّص المرضعات للأطفال الذين توفّيَت أمهاتُهم، وأسّس وقفًا لتأمين ملجأ لليتامى[77]، وتأسيس الأوقاف على يد السادة والأشراف في كلّ أرجاء العالم الإسلامي، وترتيب المنح لتحمّل مصروفات المستشفيات للفقراء يُظهر إلى أيّ مدى كان هناك تكافلٌ اجتماعي بين المسلمين[78].

والخلاصةُ أنّ الأوقاف أظهرت نفسَها بقوّة في كلّ مجالات الخدمات الاجتماعية في كلّ العصور الإسلامية، وخاصّة العصر العثماني، وأنها أدت الخدمات التي حملتها على عاتقها بشكل متناغم ومستمر[79]، ولم تجعل الأوقاف المجتمعَ يشعر بالأزمات التي كانت تتعرّض لها الدّولة

اقتصاديًّا وإداريًّا، بل إنها على النّقيض كانت عاملًا مساعدًا في محْو وعلاج تلك العقبات والأزمات، والنظر إلى الأوقاف من هذا المنطلق سيعرض أمامنا أهمية الأوقاف من الناحية الاجتماعية.

ثانيا : أهمّية الحرمين في العالم الإسلامي

1- تعريفُ الحرمين:

الحرمُ كلمةٌ عربية، وهي مصدر من الفعل "حرّم"، والتحريم، وصيانة شرف الأشخاص المقرّبين[80]، ولها عدّة معانٍ أخرى مثل المكان المقدّس غير المسموح لكلّ شخص بدخوله، والأماكن المخصّصة للنساء في المنازل الإسلامية، وتعني- أيضًا- الفناء الدّاخلي للمساجد[81] والأقسام المحاطة بالحوائط منه[82].

والحرمين صيغة التّثنية من كلمة الحرم[83]، وتعني الحرم المكّي الموجود بمكّة المكرمة التي بُنيت على يد سيدنا إبراهيم بوحيٍ من الله سبحانه وتعالى عن طريق جبريل عليه السّلام، والحرم المدني الموجود بالمدينة المنورة التي بُنيت على يدِ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- بعد ذلك[84].

ولا يقتصر هذا التّعريفُ على التّحديد الجغرافي فحسب، بل إنه يعني في نفس الوقت مسئوليةً وحرمة خاصّة ومحدّدة، فبالرغم من أنّ هناك بعض الأفعال تعدّ حلالًا في كلّ مكان على وجه الأرض، إلّا أنّها تعدّ من المحرّمات في نطاق الحرمين، فالشّخصُ الذي يُحرم- أي يدخل الحرم مُحْرمًا- محرم عليه لبس المَخيط، أو جماعُ زوجته، أو التطيّب بالطيب، كما أنّه لا يمكنه حلق شعر جسده بما في ذلك رأسه، وقصّ أظافره، ويحرم عليه الصيد، أو قطع الأشجار، وإذا ما ارتكبَ شخصٌ جرمًا ممّا ذكر سواء كان على علمٍ بتحريمها أو جاهلًا بتحريمها، فعليه الكفّارة طبقًا لنوع الجُرم الذي ارتكبه[85]، وقد ورد في الحديث الشريف أنّ الدّعاء في الحرم أكثرُ قبولًا، والأعمال فيه أكثرُ ثوابًا، فرحمة الله تعالي في الحرم واسعة لأبعد الحدود.

حتّى أنّ الأشخاص الذين يؤدّون فريضة الحجّ بإخلاص تغفَرُ ذنوبهم ويعودون من الحجّ كيوم ولدتهم أمهاتُهم، وكما أنّ الدخول والخروج من الحرم له آدابٌ إسلاميّة خاصّة فإنّه يُشترط- أيضًا- فيمَن يدخل الحرم أنْ يكون مسلمًا، ففي موسم الحجّ في السنة التي تلتْ فتح مكّة (9هـ/ 631

م) حرّم الله تعالى على المُشركين الاقترابَ من المسجد الحرام مِن بعد عامهم هذا، وبذلك حرّم على غير المسلمين دخول المسجد الحرام[86].

وقد استخدمت المصادرُ العثمانيّة في القرن السادس والسابع عشر وكذا المكاتبات الرّسمية تعبيرَ الحرمين بدلًا من مكّة والمدينة، وفضّل العثمانيون توصيفَ الحرمين بأوصاف "الحرمين الشّريفين- الحرمين المحترمين- الحرمين المحرمين"[87]. وبعضُ الوثائق العثمانيّة تضمّ الحرم القدسي- أيضًا- لمفهوم الحرمين، إلّا أنّ موضوعنا محدودٌ بالحرمين المكي والمدني فقط[88].

2- مكّة المكرمة والكعبة المعظمة

تقع مكّة بين تلّي الصّفا والمروة على مسافة 100 كيلومترًا شرق مدينة جدة، في المنطقة الغربية لشبه الجزيرة العربية المعروفة بالحجاز، وتضمّ مكّة الكعبة المعظّمة قبلة المسلمين، وبئر زمزم، ومقام إبراهيم، والحجر الأسود[89]، ومكة المكرّمة هي الحرم، ويطلق عليها- أيضًا- البلدة الطيبة، وتوجد ثلاث روايات مختلفة متعلّقة بكوْنها حرمًا: الأولى أنّ الله تعالى جعل أرض مكّة حرمًا منذ أنْ خلق الأرض والسموات وحتّى يوم القيامة[90].

الثّانية أنّ سيدنا آدم عندما هبط على الأرض ورأى الملائكة تطوف حول الكعبة جعلَ الله تعالى

الأراضي الواقعة بينه وبين الكعبة حرمًا[91]، والثالثة أنّ سيّدنا إبراهيم عندما أتمّ بناء الكعبة وثبّت

الحجر السود في مكانه؛ بيّن الله تعالى له حدودَ الحرم[92].

وتعني الكعبةُ في اللّغة المنزلَ المربع الهيئة، أو أنّها بناء مربع مرتفع الأركان، أمّا معناها في الاصطلاح فهي قبلةُ المسلمين كافّة عامّة، والمكان المقدّس الذي يحجّ إليه الناس[93]، والكعبة بالبيان القرآني هي أوّلُ بيت وضع للنّاس في الأرض[94]، وثمّة روايات مختلفة بخصوص بانيها وتاريخ بنائها، فيذكر الأرزقي (232هـ/ 847م) المؤرّخ المشهور الذي أرّخ لمدينة مكّة المكرمة أنّ الملائكة هُم أوّل مَن بنوا الكعبة قبل ظهور الإنسان، وأطلقوا عليها البيت العتيق، وكانوا يطوفون

بها[95]، ويذكر نفسُ المؤلف- أيضًا- أنّ أوّل مَن بناها من البشر هو آدم عليه السّلام[96]، وأنّ أوّل ترميمٍ تشهده الكعبة تمّ على يد أبنائه[97]، إلّا أنّ تلك الروايات ليست مؤيّدة بالوثائق التاريخية.

وتلك هي الأخبارُ المتعلّقة بأنّ سيدنا إبراهيم هو أوّلُ مَن أنشأ الكعبة، وأسّس بجوارها مدينة مكّة: عاش سيدنا إبراهيم مع زوجته سارة فترة طويلة لم ينجبا خلالها، فقدّمت له زوجته جاريتَها المصريّة هاجر، التي أنجبت له سيدنا إسماعيل.

فضغطتِ السّيدة سارة على سيدنا إبراهيم ليبعد عنها هاجر وابنها، وذلك من فرْطِ غيْرتها، وبوحي من الله أخذ سيدنا إبراهيم ولده إسماعيل وأمه هاجر وخرج بهما من أرض كنعان إلى وادي بكّة الموجود بأرض الجزيرة العربية، وأسكنهم هناك، ودعا سيدنا إبراهيم بالدّعاء المذكور في القرآن الكريم "ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتِكَ المحرّم ربّنا ليقيموا الصّلاة فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم وارْزقهم من الثّمرات لعلّهم يشكرون" [98]، ثمّ ترك معهم كمية من الطّعام والشّراب، وتركهم وعاد إلى أرضه.

وعندما فرغ الطّعام والشرابُ الموجود مع السّيدة هاجر، بدأت تعاني من قلّة الطّعام والشراب، وكان ابنُها يبكي من الجوع والعطش، فأخذت السيدة هاجر تهرول بين الصّفا والمروة بحثًا عن الماء، وحينئذٍ أنعم الله تعالى على سيدنا إسماعيل بأنْ فجّر ماءَ بئر زمزم من تحت قدميه[99]، وبعد فترة قصيرة من ظهور الماء في هذا الوادي المُجْدب أصبح وادي بكّة مركزَ جذب لكلّ العرب[100]، واستقرّت هناك قبيلة خزاعة إحدى القبائل العربية التي كانت تعيش على حياة التنقّل والتّرحال، وأصبحوا جيرانًا لهاجر وإسماعيل.

أمّا سيدنا إبراهيم فكان يأتي بين الحينِ والآخر لمكّة لزيارة زوجته وابنه، وقد أخبرنا القرآن الكريم بأنّ سيدنا إبراهيم قام ببناء الكعبة المعظمة هو وابنه إسمـاعيل ليطوف الناس بها[101].

وبعد أنْ فرغ سيّدنا إبراهيم من بناء الكعبة جعلها الله مركزًا للعبادة، وأمر النّاس بأن يتّخذوا من مقام

إبراهيم مصلّى، كما أُمر سيدنا إبراهيم وإسماعيل بأن يطهّرا البيت للطّائفين والعاكفين والركّع

السجود[102]، ولمّا أتمّا بناء الكعبة دعا سيّدنا إبراهيم النّاس للحجّ، وحجّ مع الذين لبّوا نداءه وعلّمهم مناسك الحجّ[103].

وقد أدرك أبناءُ سيدنا إبراهيم مِن بعده مدى أهميّة وظيفة الاعتناء بالكعبة، وتأمين احتياجات القادمين للحجّ، ولكنْ بمرور الأيام نسي أهالي مكّة الدّين الحقّ وعبدوا الأصنام، وملئوا الكعبة بها، وأصبحت عبادة الأوثان عبادة، وعندما ظهر الإسلام قوبل النبي- صلّى الله عليه وسلّم- منهم بمعارضة شديدة حتّى أنّهم ادّعوا أنّهم مقبولون عند الله لأنّهم يخدمون الكعبة والحجّاج، ولكن الله ردّ على مزاعمهم الباطلة بقوله "أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمَن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين"[104] وقوله تعالى- أيضًا- "إنّما يعْمُر مساجد الله مَن آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصّلاة وآتى الزكاة"[105].

وقد ورد الكثيرُ من الأحاديث النّبوية الشريفة التي تدلّ على فضل مكّة والكعبة، فقد روي عنْ أبي هريرة أنّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- قال "لا تشدّ الرّحالُ إلّا إلى ثلاثةِ مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" [106]، والحديث الشريف يشير إلى أنّ الكعبة هي أقدسُ مكان على وجه الأرض[107].

وهي أوّل ما أنشئ من تلك المساجد[108]، وقد أشار النبي في حديث آخر إلى أنّ مكّة هي أفضلُ بلد على وجه الأرض، فعند هجرة النبي- صلّى الله عليه وسلّم- من مكّة نظر إليها وقال: "والله إنّك لأحبّ البلاد إلي، ولو لم يخرجني قومي منك لما خرجت"[109].

أمّا الحجر الأسود فقد أنزل من الجنّة مع مقام إبراهيم، وكان أبيضَ وقت نزوله، ولكنّه اسوَدّ لأسباب مختلفة[110]، ومن المعلوم أنّ تمام إنشاء الكعبة لم يحدثْ إلّا بعد أنْ وضع سيدنا إبراهيم الحجرَ الأسود في مكانه، وحينئذ أوضح الله له حدودَ الحرم[111].

وقد استخدمت أسماء كثيرة جدًّا لمكّة والكعبة في عهود الجاهلية والإسلام، منها؛ بيت الله، بكّة، البيت العتيق، الخاتمة، الباسة، البيت الحرام، القادسة، الناظرة، القرية القديمة، الناضرة[112].

وقد أوضح الأزرقي في كتابه تاريخ مكّة المكرمة أنّ لها ما يقرب من خمسين اسمًا، ذكر منها في كتابه 30 فقط[113].

كما نقل أوليا جلبي بعضَ أسماء مكّة ومنها بيت المعاد، والقوس، وقرية النّمل[114]، كما ذكر الفاسي في كتابه أسماء مكّة والكعبة ومعاني تلك الأسماء[115].

3- المدينة المنورة

اسمُها القديم يثرب، تقع من الناحية الجغرافية على مسافة 342 كيلومترًا شمال مكّة، وعلى مسافة 200 كيلومترًا من ينبع البحر الواقعة على البحر الأحمر، والمدينة على حافّة وادي منبت محاط بالجبال من ثلاث جهات[116].

وقد أسّست المدينة على يد شخصٍ يُدعى يثرب بن عبيد أحد أحفاد عجربة من أحفاد نوح[117]، وتسمّت المدينة بعد أنْ هاجر إليها الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- باسْم مدينة النّبي، ولانتشار الإسلام منها إلى كافّة أرجاء الدنيا، ولوجود غرفة الرّسول الموجود بها قبره الأنْور، ومسجده بها يقال لها- أيضًا- المدينة المنورة[118].

ولأنّ المسجد النّبوي هو أوّلُ مسجد يؤسَّس في الإسلام، فقد كان بمثابة مركزِ الدّولة في عهد النّبي وعهد الخلفاء الراشدين من بعده، وأصبح نموذجًا لكل المساجد بعد ذلك[119]، أمّا الرّوضة المطهّرة فهي المكان الواقع بين المحراب وحجرة السّعادة [120]، أصبح حرمًا آمنًا، فقد دعا النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بعد الهجرة للمدينة قائلًا: "اللّهم اجعل ما بين هذين الجبلين أي (المدينة) حرمًا لي كما جعلت مكّة حرمًا لإبراهيم، وبارك اللّهم في مدّها[121] وصاعها[122].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب إنّ المدينة حرمٌ آمنٌ، مَن اقترف فيها إثمًا وهو يعلم فإنّه يستحقّ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[123]، وهذا يوضّح لنا حديثَ رسول الله السّابق، ولهذا فإنّ المدينة حرمٌ آمنٌ مثل مكة[124].

وتعدّ المدينة دارَ الهجرة، فقد هاجر إليها المسلمون الأوائل الذين عانوا من العيش في أوطانهم، وعلى رأسها مكّة، بسبب إسلامهم، وكانت تلك الهجرة بأمر من الله وتبليغٍ من النبي صلّى الله عليه وسلم[125]، وقد أوضح النبي في ذلك إلى أنّه أُمر بالهجرة إلى القرية التي تأكل القرى التي يطلقون عليها يثرب، وهي المدينة" [126]، وقد أوضح النبي- صلّى الله عليه وسلّم- أنّ الهجرة إلى المدينة قد فرقتْ بين المؤمنين على حقّ وبين المنافقين، وقد دعا النبي بأن يجعل الله تعالى البركة التي في مكّة ضعفيْن في المدينة[127]، كما أوضح النبي- صلّى الله عليه وسلّم- في حديثٍ له آخر أنّ

الصّلاة في المسجد النبوي خير من الصلاة في أي مسجدٍ على وجه الأرض بألف درجة، إلّا المسجد الحرام فإنّ الصلاة فيه بمئة ألف درجة[128]، وبذلك يتّضح لنا أهمية المدينة والمسجد النبوي، حتّى أنّ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- قال" لو صلّى أحدٌ أربعين صلاةً متّصلة في مسجدي هذا كتب له النّجاة من عذاب جهنم والنّجاة يوم القيامة[129]، ولهذا فقد اعتاد الأتراك المسلمون الذّهاب للمدينة المنوّرة بعد الفراغ من أداء الحجّ ليقيموا بها ثمانية أيام ليصلوا بالمسجد النبوي أربعين صلاة متّصلة.

وكان كبارُ علماء الإسلام وأئمّة المذاهب يستحبّون الإقامة في مكّة ومجاورة رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة.

وأشاروا إلى ضرورة وجود بعض المسئوليات على مَن يقيم بهما بخلاف ثوابِ الإقامة هناك، وأنّ مَن لم يستطع أنْ يوفّي بتلك المسئوليات فقد اقترف جرمًا كبيرًا[130]، لقد شعر المسلمون بالاحترام والتّوقير الكبيريْن لمكّة والمدينة، ومن ذلك أنّ الشيخ أبا عمرو الزّجاج قضى في مكّة أربعين سنة لم يقضِ حاجته في حدود الحرم أبدًا، ونفس الشيء فعلَه في المدينة، وكان عندما يريد قضاء حاجته يخرج للخلاء في مكانٍ يطلق عليه معمس[131].

أمّا أسماء المدينة المنورة فهي أرضُ الله، أرض الهجرة، آكلة البلدان، آكلة القرى، البارة، الباخرة، بيت الرسول، الحبيبة، الحرم، حرم الرسول، دار الأبرار، دار السلام، دار السنة[132].

وكان دورُ كُتّاب تاريخ مدينتي مكّة والمدينة في ظهور التّأريخ للمدن الإسلامية وتطوّره دورًا كبيرًا؛ لأنّه- ومنذ العصور الأولى للإسلام- ألّفت الكثير من المؤلّفات التي تتحدّث عن تاريخ هذين البلديْن وبركتهما واقتصادهما والنواحي الاجتماعية والدّينية بهما، وأوّلُ كتاب ألّف عن تاريخ مكّة كتبه الحسن البصري (110هـ/ 728م) وهو رسائل بعنوان فضائل مكّة[133].

أمّا أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي فقد جمع في كتابه المسمّى "أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار" [134]كلّ المعلومات المتعلقة بمكة والكعبة، وكان بمثابة المرجع لكلّ الكتب التي ألفت بعد ذلك.

أمّا أوّل الكتب المؤلّفة عن تاريخ المدينة المنورة فهو كتاب باسم تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (262هـ/ 876م) [135].

ثالثا : تأريخ لخدمات الحرمين

1- عهدُ الجاهلية:

نشأ سيدنا إسماعيل وترعرع في مكّة مع أمّه، ولمّا وصل لمرحلة الشباب لم يعدْ لأبيه، فقد ظلّ في مكّة التي أسبغ الله تعالى عليها نعمه، وجاور القبائل العربية الموجودة هناك وتزوّج منهم، وبذلك أسّس بينه وبين العرب قرابة، وأنعم الله عليه بالأبناء، وأُطلق على كلّ مَن أتى مِن ذرية إسماعيل "العرب المستعربة"[136] ، وداوم هؤلاء الأبناء على الإقامة في مكّة، ثمّ عُرفوا بعد ذلك ببني عدنان لأنّهم ينتسبون لعدنان أحد أحفاد إسماعيل، وبالرّغم من أنّهم لم يكونوا حكامًا سياسيّين لمكّة في تلك العصور الأولى، إلّا أنّهم عملوا على استمرار مجموعة الخدمات التي بدأها أجدادهم[137].

ولمّا انتصر الخزاعيّون بمساعدة قبيلة قصيّ بن كلاب (قريش) أحد أبناء عدنان، انتقلت إدارة مكّة لأبناء إسماعيل، وبذلك أسّست أوّل مدينة- وإن كانت بدائيّة- في مكّة (440م)[138] ، ثمّ اضطلع قصيّ بن كلاب بعمل تنظيم لإدارة مكّة يهدف إلى تأدية خدمات الكعبة والحجّ بشكل أكثر راحة، وكانت خدمات الكعبة والحجّ في تلك الأوقات عبارة عن السّدانة ودار الندوة واللواء، والسقاية والرّفادة، والقيادة، وقسّمها بين أبنائه على ما يلي:

جعل السّدانة ودار الندوة واللواء لعبد الدار، والسّقاية والقيادة والرفادة من نصيب عبد مناف[139].

وسوف نتناولُ منها ما يخصّ موضوعنا:

السّقاية: معناه سقي الماء، أو المكان الذي يقدّم الماء، أو الكوب الذي يقدم فيه الماء. وتعني مجموعَ الأعمال الخاصّة بتقديم الماء للحجيج، التي كانت من مهامّ عبد مناف بن قصيّ بن كلاب، ثمّ أصبحت لأبنائه وأقاربه من بعده[140].

الرّفادة: تعني في اللّغة المساعدة والهبة، أمّا في الاصطلاح فهي الأموال والأشياء التي كانت تجمَع وتُصرف لتأمين احتياجات الحجّاج الفقراء من العرب في عهد الجاهلية، والرّفادة بمعني عام هي اسمٌ أطلق على كلّ المُساعدات التي قدّمتها قبيلة قريش للأشخاص الذين كانوا يجدون مشقة

في سفرهم لمكّة، سواء كانوا أصحاب إمكانيات أو غير ذلك، واستمرت الرّفادة في العهد الإسلامي باسم الدشيشة ولكنْ بتغيير ماهيتها.

وكانت الرّفادة في عهد الجاهلية تتمّ على يد هاشم بن عبد مناف جد النبي صلّى الله عليه وسلم[141]، وكانت الدّشيشة في العهديْن المملوكي والعثماني لها أهميّة كبرى بين الأوقاف التي كانت مخصّصة للحرمين، كما كانت تعبر عن مفهومٍ اجتماعي، وقد تحقّقت الرّفادة- أيضًا- في عهد النبي صلّى الله عليه وسلم، وكان الصّحابة يطهون القمحَ مع الشعير مع بعض اللحوم والتّمر، وكانوا يدعون الرّسول والصّحابة للطعام، وقد استمرّت هذه العادة القديمة كصدقة لفقراء الحرمين، ثمّ أصبحت بعد ذلك بمثابة المؤسّسة الوقفية، وعرفت بعد ذلك باسم "دشيشة رسول الله"[142].

السّدانة: وتعني بشئون وخدماتِ الكعبة كالعناية بها، وفتحها وإغلاقها، وقد كانت هذه الوظيفة قديمًا من مهامّ عبد الدار، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى أبناء عبد مناف، وكان للسّدانة قديمًا جانبٌ سياسيّ، حتّى أنّ الشخص الذي كان يقوم بتلك المهمّة كان يعتبر أميرًا لمكّة[143].

ولم تكنِ الكعبة فقط هي المكانَ الوحيد المقدس في مكّة عند العرب في الجاهلية، فكانوا يعدّون بعض المنازل الأخرى مقدّسة، ويقدّمون لها الخدمات، ويقدّمون لها الهدايا التي يقدّمونها للكعبة، ويطوفون بها ويذبحون القرابين عندها[144].

2- الحرمين بعد الإسلام:

شاركَ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- في ترميم الكعبة الذي قامت به قبيلة قريش قبْل رسالته، وبعدَ الرّسالة كان الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- يصلي في بعض الأماكن المناسبة للعبادة في الكعبة التي أصبحت بمثابة مقرٍّ للأوثان، إلّا أنّ الوضع السياسي والاجتماعي لمكّة في عهد الجاهلية لم يجعل هناك إمكانية لتطهيرها من تلك الأوثان، ومن المعروف أنّها طَهُرت من تلك الأوثان بأمر الرّسول بعد فتح مكّة في العام الثّامن للهجرة.

أمّا المدينة، فهي مدينة تحملُ آثارَ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- في كلّ شبرٍ من أرضها، فقد شارك الرّسول بنفسه في بناء 18 مسجدًا بُنيت في المدينة في عهده وعلى رأسِها المسجد النبوي، والقبّة والمصلّى، والغامة والفتح، والقبلتين، ولم يكتفِ النبيُّ بذلك بل كان يجتهدُ في رعاية تلك المساجد والعناية بها حتّى أنه كان يتصبّب عرقًا في ذلك[145].

وقد أضيفَ للمسجد النبوي على عهد رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- حجرات زوجاته الطّاهرات، والحوائط التي كانت في حالة متهدّمة، والأماكن الخالية التي كانت تُحيط بالمسجد[146]، وكان السببُ في ذلك توسّعةَ المسجد الذي أصبح لا يستوعب الأعدادَ الكبيرة للمسلمين الذين كانوا يزيدون يومًا بعد يوم، كما كان بمثابة التّصريح والنّموذج الذي يسير عليه المسلمون بعد ذلك إذا ما أرادوا توسعة المسجد النبوي.

وكان النبي- صلّى الله عليه وسلّم- ينظّف المسجد النبوي بيده الشريفة في معظم الأوقات، وكلّف عمر بن الخطاب بمسألة الاعتناء بالمسجد وتنظيمه[147].

أمّا سيدنا أبو بكر فقد اشترى المنازلَ الواقعة في الناحية الشمالية للمسجد وضمّها له، وبذلك أصبحت مساحة المسجد وقتَها 15 × 22 مترًا[148].

وكان سيدنا عمر بن الخطاب هو أوّلَ مَن وسّع ساحة المسجد الحرام بعد الإسلام، فقد أمر بهدمِ المنازل التي تحيط بالكعبة، ووسّع حدود ساحة المسجد، ولأنّ الكعبة لم تكنْ مُحاطة بالحوائط فكانت تُستخدم كطريق للمارّين وهو ما يقلق المتعبّدين، فقام عمر بإحاطة ساحةِ الكعبة بالحوائط[149]، وبهذا أمّن طواف المسلمين الذين كانوا يزدادون يومًا بعد يوم حول الكعبة بشكل أكثر راحة، كما أمر عمرُ بهدم المنازل التي بُنيت حول الكعبة، والتي كانت ترتفع في البناء عنها، وغيّر نوعَ القماش الذي كان يُصنع منه كسوة الكعبة[150] من النّوع اليمني إلى النّوع المصري الذي كان يُعرف بالقماش القبطي[151]، وقطع كسوة الكعبة القديمة ووزّعها على الحجّاج، كما أمرَ بهدم حجرات زوجات النبي ومنزل العباس المجاور للمسجد النبوي، وضمّ تلك المساحات للمسجد، ووسّع المسجد بمقدار 20 ذراعًا من الغرب إلى الشّرق [152]، و10 أذرع إلى ناحية القبلة، وثلاثة أذرع إلى ناحية الشّام، وبذلك أصبحت المساحة الكلية للمسجد النبوي 140 ذراعًا[153].

أمّا سيدنا عثمان فقد ستر الكعبةَ بالقماش المصري الذي يطلق عليه القبطي والبرود[154]، ووسّع ساحة الكعبة، وأمر بوضع الشّموع على الأماكن المختلفة في المسجد النّبوي لإنارته، وكان هذا الإجراء بمثابة النموذج الذي يُحتذى به في إنارة كلّ المساجد، وعلى رأسها الأماكن المقدسة بعد ذلك، وأسّست الأوقاف لذلك[155].

وقد أضاف سيدنا عثمان إضافاتٍ كبيرةً للمسجد النبوي، وأحاطه بالأحجار المزيّنة، وأمر بوضع الأعمدة الحجرية فيه ليكون أكثرَ تحمّلًا وصلابة، واستمرت تلك الأعمال الإنشائيّة قرابة العشرة شهور، وقد توسّع المسجد توسعةً هائلة بالنسبة لمساحته الأولى التي بُني عليها بعد تلك الترميمات، حتّى أنّ مساحته بلغت 1.810 ذراعًا[156].

أمّا في عهد الأمويّين (41- 133هـ/ 661- 750م) فقد تصرف القادة المسئولون عن النّزاعات التي حدثت بمنطقة الحرمين بشكل لم يَرَ له مثيلٌ قبل ذلك حتّى يعرضوا منافسيهم للهزيمة؛ فقد احتلّوا المدينة المنورة وهتكوا حرمتها وكانوا سببًا في الواقعة التي عُرفت باسم واقعة الحرة، وهجموا على الكعبة ومكّة لهزيمة عبد الله بن الزبير، وتعرّضت الكعبة لوضعٍ لم يحدث حتّى في عهد الجاهلية [157]، وقد أراد عبد الله بن الزبير ترميمَ الكعبة بالشكل الذي أظهره الرّسول قبل ذلك[158]، وشرع في البناء إلّا أنّه توفّي قبل أنْ يتمّه بسبب تضييق القائد الأموي الحجّاج بن يوسف الثقفي عليه، وأمر الحجّاج بن يوسف الثقفي بإكمال تلك الإنشاءات التي بدأها عبد الله بن الزبير قبل استشهاده، ولكنه غيّر تلك الإنشاءات التي كانت تتّخذ من الأسس التي وضعها سيدنا إبراهيم أساسًا لها، وأمر بإنشاء الكعبة كما كانت في عهد الجاهلية[159].

وقام الوليد بن عبد الملك بتوسعةِ المسجد النبوي، وزيّن بيت الله الحرام بالذهب[160].

أمّا أوّل صرّةٍ أرسلت للحرمين فقد أرسلت في عهد العباسيّين على يد الخليفة المهدي (158-168هـ/ 775-785م) [161]، وأمر- أيضًا- بترميم طريق الحجّ، وبذلك حقّق سهولة كبيرة للحجّاج.

كما أنعمَ الخليفة الواثق (227- 232هـ/ 842- 847م) على فقراء الحرمين بالهدايا والإحسان، ولكنه لم يستمرّ في هذا[162]، أمّا المقتدر بالله (295-320هـ/ 908-932م) فكان يرسل للحرمين سنويًّا 315.426 عملة ذهبية، وذلك اعتبارًا من عام 311/ 923م[163].

وقد استمرّت الدّول الإسلامية في إرسال الصّرّة لمكّة والمدينة وإنْ تغيّرت ماهيّتها اعتبارًا من هذا التاريخ، وفي عام 843هـ/ 1439م أمهل السّلطان المملوكي جاقمق إرسالَ الصّرّة للحرمين فترةً بسبب الأزمة المالية التي ألمّت بالدّولة[164]، إلّا أنّ الدّولة العثمانيّة كانت قد بدأت في إرسال الصّرّة من أراضي الأناضول في تلك السنوات، وبذلك وقفت الدّولة العثمانيّة حائلًا دون توقّف دور مؤسّسة الأوقاف.

أمّا الدّشيشة التي كانت تطهى في المدينة وتوزّع على الفقراء منذ عهد النبوة فقد أرسلت من الخارج ولأوّل مرّة في عهد الخليفة المقتدر بالله[165].

وتسلّم العباس مهمّة السقاية بعد وفاة أبي طالب، واستمرّت هذه الوظيفة مُنْحصرةً على أبناء العباس وأحفادِه في عهد الخلفاء الراشدين، والعهد الأموي، وعندما تأسّست الدّولة العباسية عام 133هـ/ 750م أعطى إداريّو الدّولة أهمية خاصّةً لوظيفة السّقاية نظرًا لأنّها كانت وظيفة أجدادهم، وفي عام 207هـ/ 822م بنوا الكعبة وبئرَ زمزم بالحجارة بعد أنْ كانتا مبنيّتان بالطوب الآجر[166]، وكانت جهودُ السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وجهودُها في إيصال المياه الوافرة النّابعة بين الطائف وعرفات إلى مكّة؛ من أهمّ الأعمال التي تمّت في مجال المياه حتّى ذلك الوقت.

وبدأ العملُ في هذا الخطّ المائي عام 213هـ/ 828م، واستمرّ لمدّة عام وأنفق فيه 1700000 مثقالًا من الذّهب، وتمّ توصيل المياه بواسطته إلى مكّة، ولم يقتصرِ اهتمام السيدة زبيدة بمجال توصيل المياه فقط، بل اشترت كلّ الأراضي والحدائق الموجودة على طريق الحجّ؛ وذلك لتأمين طريق الحجّ[167].

وقد سمّي هذا الخطّ المائي باسم عين زبيدة نسبة لمؤسّسَتِه السيدة زبيدة، وظلّ هذا الخطّ المائي يعمل حتّى فترة قريبة، لأنّ طبيعة المنطقة في مكّة كانت تعمل على اضطراب أوضاع هذا الخطّ المائي فقد كان يشهد أعمال ترميمات بين الحين والآخر، وقد تمّت أوّل ترميمات للعين المذكورة بعد 20 عامًا من إنشائها في عهد الخليفة المتوكّل على الله (232هـ/ 847م)[168].

وبإرسال أوّل صرّةٍ ودشيشة في عهد العباسيّين انتهت وظيفة السّدانة، وباشتغال خطّ مياه عين زبيدة انتهت وظيفة السّقاية- أيضًا-[169].

ومن النشاطات الإعمارية التي تمّت في هذا العهد- أيضًا- ترميم المنزل الذي ولِدَ فيه

النبي- صلّى الله عليه وسلّم- على يد الخيزران والدة الخليفة هارون الرّشيد، وتحويله إلى مسجد، وقد تمّ تجديد هذا المسجد في العهد العثماني على يد السّلطان القانوني عام 945هـ/1538م[170].

وقد أضاف الخليفة المهدي[171] والخليفة المقتدر بالله[172] بعضَ الإضافات للكعبة، ووسّعوا حدود الحرم الشريف، فقد اشترى الخليفة المقتدر بالله المكان المعروفَ باسم الباب الهمايوني، والذي كان يقع خارج فناء الكعبة، وأضاف تلك المساحة للحرم[173].

ومِن بعد تلك التّوسعات التي تمّت في الحرمين لم تتمّ أيّ توسعات أخرى حتّى عهد السّلطان سليم الأوّل العثماني.

وأوّلُ مَن أمر بصنع كسوةٍ للكعبة من الدّيباج الأبيض هو الخليفة هارون الرّشيد من الخلفاء العباسيّين، ثمّ تلاه النّاصر لدين الله (575- 622هـ/ 1180- 1225م) حيث أمر بصنع كسوةٍ خضراء، ثمّ أحدث الكسوة السوداء بعد ذلك[174]، وهي الكسوة التي استمرّت حتّى وقتنا هذا.

ويعتبر عهدُ العثمانيّين هو العهد الذي بدأت خدماتُ الحرمين فيه تأخذ شكل المؤسّسة، وكانت تمثّل الأساس الذي سارت عليه النشاطات التي تمّت بعد ذلك.

3- خدماتُ المماليك للحرمين (659- 923هـ/ 1261- 1517م)

لم يكنْ في مقدور المنطقة الحجازية أنْ تؤمّن احتياجاتها الكافية من الأرزاق والأموال من داخلها دونَ الشّعور بالاحتياج للخارج، وجعلها هذا الوضع في احتياج لمصرَ التي كانت أقربَ مركز تجاريّ وزراعي لها؛ حتّى تتمكّن من تأمين المواد الأساسية للحياة الإنسانية، وسرى هذا التّرابطُ الاقتصادي بين مصر والحجاز في الشّئون السياسية بمرور الوقت، فأصبحت كلّ دولة تحكم مصر بعد العباسيين تحكم- أيضًا- الحجاز معها، ومن ذلك الدّولة المملوكية التي تأسّست في مصر وسوريا وجزء من الأناضول، فقد أصبحت الحجاز وشئون الحرمين تحت إدارة المماليك منذ عام 659هـ/ 1261م، ومن خلال هذا عيّنوا أمراء الحجّ والإداريّين الآخرين على المنطقة التي كانت تقع تحت سلطتهم السياسية، كما أنّهم سعوا لتأمين كلّ احتياجات الحرمين[175].

وقد أوقف السّلطان سيف الدين قلاوون قريةً تسمّى باسوس تقع في منطقة تُعرف باسم بيت الماق لكسوة الكعبة، واشترطَ في هذا الوقف أنْ يخصّص دخل الوقف مرّة كلّ خمس سنين لكسوة الحجرة النبوية[176].

وحافظت هذه القرية على وضعها في عهد العثمانيّين[177]، كما عين السّلطان قلاوون 16 خادمًا

لخدمة قبر رسول الله، وأسّس وقفًا لتأمين كافة احتياجاتهم[178].

ولم يتوانَ المماليك عن ترميم أو تعمير الأماكن التي تحتاج لذلك في الحرمين، وحفروا الآبار الجديدة، واعتنوا بالآبار القديمة، ورمّموا المسجد النبوي والمسجدَ الحرام وكلَّ الأماكن المقدسة الأخرى التي تحتاج للترميم والتزيين[179]، كما قام كلّ من السّلطان برسباي[180] والسّلطان جاقمق ببناء كلّ الحوائط والأبواب التي تهدّمت في المسجد الحرام لأسباب مختلفة[181].

أمّا السّلطان قايتباي فقد رأى رؤية عام 872هـ/ 1468م تأثّر بها جدًّا، وقام على إثرها بتزيين قبرِ الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- عن آخره بالزينات الفاخرة، وغطّى الرّوضة بقبة[182]، وأمر ببناء قبرٍ له في مكانٍ ما حول الروضة[183]، وفي الفترة فيما بين أعوام 878- 881هـ/ 1474- 1477م قام بعمل ترميمات كبيرة للمسجد النبوي[184].

وعندما ذهب السّلطان بيبرس للحجّ عام 1269م أمر بغسل الكعبة بماء الورد لتكون ذكرى لزيارته هذه لمكّة، وحمل السّلطان بيبرس الماءَ على كتفه أثناء غسل الكعبة[185]، والسّلطان بيبرس هو أوّلُ مَن أرسل المَحْمل للحرمين عام 669هـ/ 1271م، واتّخذها كلّ الحكام المماليك مِن بعده عادة.

حتّى بعد انهيار الدّولة المملوكية في العهد العثماني ظلّ المَحْمل يخرج من مصرَ لفترة[186].

والسّلاطين المماليك- أيضًا- هم أوّل مَن أحدثوا أوقاف الدشيشة التي كانت تمثّل أهمية كبرى للحرمين، حتّى أنّ السّلطان بيبرس أوقف دخل أراضيه التي تدرّ محصولًا سنويًّا يقدّر بسبعة آلاف[187] أردب للحرمين[188]. أمّا السلاطين المماليك الآخرين الذين أوقفوا الأوقاف للدّشيشة فهم السّلطان جاقمق وقايتباي والغوري[189] (907- 922هـ/ 1501- 15169)[190].

وقد خصّص السّلطان بيبرس الأموالَ لإنشاء مدرسته الأشرفية وعمارته، وسائر الاحتياجات الأخرى، كما أسّست الأربطة في نفس العهد، وأجريت بعض الأعمال في شئون المياه،

وتمّ الاعتناء بالحدائق التي في المدينة[191]، وأوقف السّلطان قايتباي شمعدانًا للحجرة النبوية[192]، وقام السّلطان قنصوه الغورى بتعمير وترميم طريق الحجّ للمرّة الثّانية بالرغم من أنّه كان في حالة حربٍ مع العثمانيين، وأصلح منابع المياه الموجودة في الطريق، وأمر بترميم الكعبة[193].

وكانت شئون أوقاف الحرمين في العهد المملوكي تُدار بواسطة تشكيل أطلق عليه الأوقاف الحكمية التي كان يرأسها القاضي الشافعي[194]، وكانت الأوقاف المؤسّسة لشراء الأسرى المسلمين من الكفار تابعة لهذه الإدارة[195]، لقد كان العهد المملوكي مهمًّا جدًّا من ناحية خدمات وأوقاف الحرمين.

لأنّ العديدَ من تلك الخدمات والأوقاف التي أشرنا إليها باختصار فيما سبق استمرّت كما هي فـي العهد العثماني، أو إنّها تطوّرت واستمرّت على هذا التطوير.

4- الخدماتُ التي قامت بها الدولُ الإسلامية المختلفة للحرمين

خصّص السّلطان إبراهيم بن مسعود- من السّلاطين الغزنويّين- (388- 582هـ/ 998- 1186م) قافلةً كانت تذهب لمكة كلّ عام في موسم الحجّ لتوزّع على الفقراء والحجاج، كما أمر بنسخ المصحف الشريف وتوزيعه على الحجّاج[196].

وعندما علم السّلطان السلجوقي العظيم ألب أرسلان (455- 465هـ/ 1063- 1072م) من أمير مكّة بأنّه يقرأ الخطبة في مكّة باسمه منحه الهدايا الكثيرة له ولأهل مكّة، كما خصّص راتبًا سنويًّا لأمير مكة[197].

أمّا قازان خان ذلك الحاكم الإيلخاني (694- 703هـ/ 1295- 1304م) الذي أعلن إسلامه فقد أولى أهميةً كبرى للأوقاف وشروطها، وخصّص الأوقاف للحرمين وأمر بضرورة توصيل إيرادات تلك الأوقاف للحرمين سنويًّا، وعدم استخدامها بشكل قاطع في الشئون الإدارية أو شئون الجيش[198].

أمّا أبو الحسن- أحدُ الحكّام المرينيّين، الذين حكموا في شمال أفريقيا (592- 954هـ/ 1196- 1547م)- فقد ذهب لأداء الحجّ مع وفدٍ من رجال دولته عام 1337م، وأهدى أهالي الحرمين الهدايا الكثيرة ونسخةً من القرآن كتبه بخطّ يده غايةً في الجمال[199].

وأسّس الأيوبيّون (565- 648هـ/1170-1250م) الأوقاف والخدمات الكبيرة

للحرمين، وإلى جانب الخدمات الكبيرة التي قام بها مظفر الدين جوكبورو أمير أربيل (629هـ/ 1232م) كان يرسل للحجاز الأشياء اللازمة للحجّاج، و6000 عملة ذهبية لفقراء الحرمين مع قافلة كانت تذهب كلّ عام للحجاز.

وأمر بشقّ القنوات المائية في عرفات، وبذلك أزال عقبة المياه التي كانت تواجه الحجيج، وأمر بإنشاء صهاريج للمياه- أيضًا- في مكّة[200]، أمّا صلاح الدّين الأيوبي فقد أوقف الكثيرَ من الأراضي الموجودة بإقليم الصعيد بمصر للقضاء على أزمات الحجّاج والأمراء في مكّة[201].

وأرسل شاه روخ- أحد أبناء تيمور- في عام 843هـ/ 1439م صرَّةً للحرمين[202]، واضطلع ببعض الخدمات مثْلُه مثل بقية الدّول الإسلامية الأخرى.

أمّا الأمير الفاطمي الواعظ بأمر الله فقد أوقف قرية بلقس والأراضي المجاورة لها بمصر لمَن يعيشون بمكّة والمدينة، ولمَن ينحدرون من نسل الحسين[203]، وكان الفاطميّون (297- 567هـ/ 909- 1171م) يرسلون كلّ عام لأولاد الحسين 120.000 دينارًا، وقام الوزير الفاطمي بازوريد بإيصال هذا الرقم إلى 200.000 دينارًا[204].

والخلاصة أنّ كلّ الدّول الإسلامية التي تأسّست قبل الدّولة العثمانيّة كانت لها نشاطاتٌ مختلفة للحرمين كتأمين احتياجات مكّة والمدينة، وضمان سفر الحجّاج في أمن وطمأنينة، والعناية بالحرمين وإعمارهما، فقد كانوا يدركون أنّ هذا العمل عملٌ دينيّ وإسلاميّ، وداوموا على إرسال تلك المخصّصات دون النظر إلى الأوضاع المالية أو الاقتصادية، وبذلك لم تمتدّ يدُ الإهمال قطّ لمدينتي مكّة والمدينة المقدّستين

من قِبَل الله تعالى ورسوله الكريم.

القسمُ الأوّل

الخدماتُ التي قدّمها العثمانيّون للحرمين الشّريفين

أولا : ضمّ الدّولة العثمانيّة لمصر والحجاز

1- الصّراعُ المملوكي العثماني وضمُّ مصر:

أتمّت الدّولة العثمانيّة تأسيسَها في منتصف القرن الرّابع عشر، واختارت الأراضي البيزنطية لتكون مسرحًا لتوسّعاتها، ولهذا عبَر العثمانيون إلى الرّوملّلي عام 1353م- 754هـ، واستمرّوا في فتوحاتهم في تراقيا والبلقان، وكان لفتوحات العثمانيّين في البلقان أثرٌ طيّبٌ عند المماليك الذين كانوا يعدّون في مقام الخلافة الإسلامية، حيث كانوا يرسلون سفراءهم قبلَ وبعدَ تلك الحملات العثمانية، وبأمر الخليفة دُعي للجيش العثماني بالنّصر في جهاده، وبدأت أوّل أزمةٍ بين المماليك والعثمانيّين عندما سيطر يلدريم بايزيد على مالالطيا، فقد دعا هذا لخلْقِ أزمة صغيرة بينهم [205]، إلّا أنّ يلدريم بايزيد أعاد كلّ الأراضي التي سيطر عليها مسبقًا عندما بدأ خطر تيمورلنك في الشّرق، وبالرغم من ذلك لم تستطعْ كلتا الدولتين أنْ تقف ضدّ تيمور.

وبعد هذه الفاجعة التي تعرّضت لها الدّولة العثمانيّة على يد تيمور عاشت الدّولة العثمانيّة فترةً عرفت بفترة الضّعف والوهن استمرّت عشْرَ سنوات، حتّى قام محمد جلبي ابن بايزيد بجمع شتات الدّولة ووحّدها من جديد، وبدأ علاقاتُ صداقة من جديد مع الدّولة المملوكية، واستمرّ هذا الوضع في عهد محمد جلبي وابنه مراد الثّاني بالرّغم من ظهور بعض الأحداث التي يمكن أنْ تعدّ صغيرة[206].

وحاز عهد السّلطان محمّد الفاتح على أهمية مختلفة بالنسبة للعلاقات العثمانيّة المملوكية.

فقد دعّم المماليك الفاتح فكريًّا ومعنويًّا خلال الفتوحات التي قام بها حتّى بعد فتح استانبول، إلّا أنّ الإداريّين المماليك تركوا هذه الصّداقة بينهم وبين العثمانيين عندما أدركوا أنه يريد أنْ يحقق حكمًا شاملًا، ويتوسّع في الفتوحات بسبب النّفوذ الذي حقّقه الفاتح على الأراضي التي كانت تخضع لحكم المماليك[207].

وأدّى هذا الوضع إلى ظهور حربٍ باردة بين الدولتين العثمانيّة والمملوكية، وكانتا تنتظران الشّرارة التي تحوّل هذه الحرب الباردة إلى حربٍ ميدانية، وفي نهاية الأمر حدثت حادثة كانت

بمثابة السّبب الرئيسي في بدء النّزاع بينهم، ألا وهي الصّعوبات التي واجهتها القافلة العثمانيّة التي كانت متوجّهة إلى الحجّ عام 1464م، فقد واجهت هذه القافلة مشقّة في الحصول على المياه وتأمين الإعاشة في طريق الحجّ الذي كان يقع ضمنَ مسئولية الدّولة المملوكية، وعندما عادت تلك القافلة شرحت الوضعَ للسّلطان الفاتح فكان هذا سببًا رئيسيًّا في بدء الصدام بينهما، وقد أرسل الفاتح سفيرًا من عنده للسّلطان المملوكي يقترح عليه إرسال الأموال والعمّال للقيام بمهمّة تعمير القنوات المائية وسائر الخدمات الأخرى في طريق الحجّ وذلك لإزالة كلّ العوائق والصّعوبات التي يعاني منها الحجّاج، فردّ عليه السّلطان المملوكي بأنهم قادرون على تولّي هذا الأمر بأنفسهم، ورفضَ اقتراحَ الفاتح[208].

وتلك هي أسبابُ الأحداث التي نتج عنها دخول مصر والحجاز ضمن الإدارة العثمانية، والتي بدأت باضطراب قنوات المياه في الحجاز:

كان ملك أرسلان أميرُ إمارة ذي القادر يتبع الدّولة المملوكية من الناحية السياسية، ولكنه أظهرَ قربًا أكثرَ للعثمانيّين لأنه كان متزوّجًا من أخت السّلطان الفاتح، فقام أخوه شاه بوداق بإخبار السّلطان المملوكي بهذا الأمر، فنتجَ عن هذا أنْ تجمّع الأمراء المماليك حول شاه بوداق وقرّروا الحربَ على ملك أرسلان، وهزم ملك أرسلان في الحرب وقُتل، وعندما علم السّلطان الفاتح بذلك قام على الفور بتعيين شاه سوار على إمارة ذي القادر.

وكانت هذه أوّلَ مواجهة فعليّة بين الدّولتين، فالمماليك لم يكونوا يريدون تعيين شاه سوار أميرًا على ذي القادر، لا سيّما وأنّه كان يتبع الدّولة العثمانية، فأرسلوا جيشًا إليه وشتّتوا جيشه وأسَرُوا شاه سوار، وأعْدموه في القاهرة، وغضب السّلطان الفاتح كثيرًا، وعيّن أمير بوزقورت أميرًا على إمارة ذي القادر، وأعدّ حملة ضدّ المماليك، وبالرغم من أنّ تلك الحملة لم تتحقّق بسبب وفاة الفاتح، إلّا أنّنا يمكننا القول بأنّ الصّدام المملوكي العثماني بدأ من ذلك التاريخ، واستمرّ حتّى تاريخ انهيار الدّولة المملوكية[209].

وفي عهد بايزيد الثّاني تحاربتِ الدّولتان قرابة العشرين عامًا على حدود الدولتين، وتلك هي الأسباب التي ساقتهم إلى الحرب:

بعد وفاة السّلطان الفاتح تنازع ابناه بايزيد وجم على العرش العثماني، وبعد أنْ خسر جم في هذا النّزاع ذهب إلى القاهرة، وقابله السّلطان المملوكي واحتفى به[210]، وأعطاه السّلطان قايتباي المملوكي الجند وأرسله للأراضي العثمانية، إلّا أنه لم يتمكّن من الفوز في المعركة [211]، هذا بالإضافة إلى أنّ السّلطان قايتباي لم يهنّئ السّلطان بايزيد بجلوسه على العرش العثماني، في حين أنّ هذه كانت عادةً متّبعة عندهم.

دعا هذا الوضعُ إلى التّحارب بين الدولتين، ولم يتمكّن أيّ طرف منهما تحقيق التفوق على الطرف الآخر، إلّا أنّ البرتغاليّين اغتنموا هذه الفرصة ودخلوا البحر الأحمر، وبدأوا في تهديد أمن الحرمين الشريفين[212].

من ناحية أخرى وطّد الأسبانُ حكمَهم في المحيط الهندي، وانتهت هذه الفترة المضطربة بين المماليك والعثمانيّين عام 1498م 904هـ بتوسّط من أمير تونس، وتصالح الطرفان على أنْ يأخذ العثمانيون إمارة "ذو القادر"، وأن يأخذ المماليك إمارة "بنو رمضان"[213].

أمّا السّلطان سليم الأوّل- وهو السّلطان العثماني التّاسع- فقد قضى فترةً طويلة واليًا على طرابزون عندما كان وليًّا للعهد، وقد فسّر السّلطان سليم تصرّفات الشاه إسماعيل الصفوي الذي تجرّأ على والده بايزيد الثاني الذي كان محبًّا للصّلح بطبيعته، وبالرغم من أنّه- أي سليم- أقْدمَ على بعض الإجراءات أثناء ولايتِهِ للعهد، إلّا أنّ إجراءاته الحقيقيّة والفعلية بدأت بعد أنْ جلس على العرش وتخلّص من نزاع إخوته معه.

كان السّلطان سليم يدرك جيدًا أنّه لن يتمكّن من القضاء على الشاه إسماعيل الصفوي ويتفرّغ له كلية إلّا بعد أنْ ينهي كلّ المشكلات الموجودة بينه وبين المماليك، وذلك لأنّ الشاه الصفوي كان يحرّض على القيام بثورات في منطقة الأناضول لربطها به مذهبيًّا وسياسيًّا، ولأنّ الدّول الأوروبية لم يكنْ لها في تلك الفترة أيّ نشاط عدواني تجاه الأتراك، فقد استفاد سليم الأوّل مِن هذا الوضع فحوّل كلّ اهتمامه لحلّ مشكلة الشرق، وسار على رأس حملةٍ إلى الشاه الصفوي وهزمَه في موقعة جالديران في عام 920هـ 1514م.

وبطبيعة الحال كان الهدف التّالي للسّلطان سليم بعد ذلك هو الدّولة المملوكية، ولكن الدّولة المملوكية كانت تسير على المذهب السّني مثل الدّولة العثمانية، كما أنهم حملوا الخلافة الإسلامية

إلى مصر بعد استيلاء المغول على بغداد عام 1258م 656هـ، وأصبح المماليك حماة للخلفاء، ولهذين السببيْن لم يكن للدّولة العثمانيّة المبررُ للتّحارب مع المماليك، ولكن حرب جالديران وما تلاها من أحداث وتطوّرات شكّلت بعض العوامل التي تجعل الحرب على مصر مشروعة.

ويمكنُ عدّ تلك العوامل فيما يلي:

1- قيام إمارة "ذو القادر" التي كانت تتبع الدّولة المملوكية سياسيًّا بقطع كلّ سبل الإعاشة للجيش العثماني أثناء موقعة جالديران، بل إنهم لم يكتفوا بذلك بل أرسلوا تهديدًا للعثمانيّين.

2- عقد الشّاه الصفوي اتفاقًا سرّيًّا مع المماليك بعد انتصار العثمانيين عليه في موقعة جالديران.

-3إهمال المماليك لخدمات الحرمين الشّريفين اللذيْن يعدان بمثابة قرّة العين لكلّ مسلم، وتعرّض الحالة الأمنية فيهما للسقوط، وعدم الاعتناء بطرق الحجّ، وهزيمة المماليك في المعركة التي تمّت بينهم وبين البرتغاليين عام 1509م 915هـ، وبدأت السّفن الحربية البرتغالية في تهديد أمن الحرمين الشّريفين[214].

4- شكاية كبار رجال الدّولة الذين اضّجروا من المعاملة السيئة التي يُعامَل بها الأهالي بسبب الإدارة الفاسدة.

5- هزيمة الجيش العثماني بشكلٍ مستمرّ أمام القوات المملوكية أثناء سلطنة بايزيد الثاني[215].

واستنادًا لكلّ تلك الخصائص خرج السّلطان سليم بالجيش مرّة أخرى تجاه الشرق، وبالرّغم من أنّه أظهر أنّ كلّ استعداداتِه موجّهة لإيران إلّا أنه في الحقيقة كان يتجه لمحاربة المماليك، ولم يفدْ إرسال السّفراء بين الحاكمين بشيء ولم يغيّر من الأمر شيئًا أيضًا، وانتهى الأمر بلقاء الجيشيْن في منطقة مرج دابق عام 1516م 922هـ، ولأنّ العثمانيّين استخدموا المدافعَ بشكل جيد وبراعة فائقة كانت الغلبةُ لهم[216].

وإبّان هذا الانتصار للجيش العثماني توغّل الجيش في أعماق سوريا، وتمكّن من ضمّ كلّ مدن سوريا، وعلى رأسها حلب والشّام له، كما تمكّن من ضمّ فلسطين بعد ذلك.

ووصل السّلطان سليم بالجيش حتّى القاهرة، أمّا القادة المماليك فقد احتشدوا عند الريدانية بالمدافع الكثيرة لأنّهم علموا أنّ العثمانيّين أظهروا براعة في استخدام المدافع في موقعة مرج دابق، إلّا أنّ السّلطان سليم جعل كلّ تلك الاستعدادات التي قام بها المماليك تضيع سدًى، بفضل المعلومات التي حصل عليها من عملائه، حيث هجم على الجيش المملوكي من الناحية المعاكسة تمامًا لكلّ التّحصينات التي أعدّوها، وانهزم طومان باي بجيشه أمام العثمانيّين بالرغم من كلّ الاستعدادات التي أعدّوها، وفرّ إلى خارج القاهرة (1517م 923هـ)، لذا أصبحت كلّ قوى الدّولة المملوكية المواجهة للجيش العثماني بلا تأثير، وبذلك خطى العثمانيون خطوةً هامّة في تثبيت دعائم حكم العثمانيّين لمصر.

بعد موقعة الرّيدانية دخل الجيش العثماني القاهرة التي كانت مركزًا للمماليك، وحققوا السّكون بها، أمّا طومان باي فقد عاد للقاهرة مرّة أخرى بما استطاع جمعه من القوات، ولكنه لم يتحمّل ضربات العثمانيّين، ففرّ هاربًا للصعيد، وانهزم في المعارك الأخرى التي تمّت بينه وبين العثمانيّين، وأخيرًا قُبض عليه وأعْدِم؛ وبذلك انتهت الدّولة المملوكية[217].

2- اعترافُ أمير الحجاز بالحكم العثماني:

هزم السّلطانُ العثماني سليم الأوّل دولةَ المماليك، ولأنّه ضمّ لحكمه مصر وما حولها، فقد قام حاكم الحجاز الذي كان يتبع الدّولة المملوكية سياسيًّا الشّريف أبو البركات بن محمد الحسني بإرسال ابنه أبو نمي بالهدايا وبعض الأمانات المقدسة[218] التي كان يحتفظ بها عنده لعدّة عصور لمصر[219].

وصل الشّريف أبو نمي إلى القاهرة يوم الاثنين 6/ يوليو/ 1517وقدّم للسّلطان سليم هدايا والدِه ورسالةً منه يخبرُه فيها بأنّه يوافق على حماية الدّولة العثمانيّة للحجاز[220]، فرح السّلطان سليم جدًّا بهذا التصرّف من الشّريف، وأظهر له اهتمامًا كبيرًا بسبب كوْنه من نسل الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- ولحبّه للمدن المقدّسة المتمثّلة في شخصه[221]، وخصص السّلطان سليم للشّريف معاشًا يقدّر بخمسين عملة فلورية، و80 أردبًّا من القمح، و30 أردبًّا من الأرزاق[222]، كما أرسل 200 ألف دينارٍ لتوزّع على أهالي الحرمين[223]، أمّا السّلطان سليم فقد أخبر الشّريف أبا البركات بأنّه قد حصل له ما يريد من أنّه خادمٌ للحرمين وذلك لأنّ الشريف خاطبه في رسالته بلقب صاحب الحرمين[224].

ومنذ ذلك التّاريخ والخطبة تقرأ في مساجد المدينة ومكّة باسم السّلاطين العثمانيّين على أنّهم خلفاء الإسلام [225]، وأصبحت الحجاز بذلك قطعةً من الدّولة العثمانية.

إدارة مكّة والمدينة:

كان الأشرافُ الذين ينحدرون من نسلِ عليّ بن أبي طالب هُم الذين يديرون مكّة المكرّمة اعتبارًا من عام 951م 345هـ، وفي ذلك التّاريخ آلت إدارة مكّة إلى موسى بن عبد الله من أحفاد علي بن أبي طالب عندما أعاد الحجر الأسود[226] الذي أخذه القرامطة إلى نواحي البحرين، ووضعه في مكانه في الكعبة[227]. وآخر شريف من تلك الأسرة هو شكر بن أبي الفتوح الذي توفّي عام1061م دون أنْ يخلف أبناءً له، وبعده انتقلت الشّرافة في مكّة لأسرة أخرى من نسل علي بن أبي طالب، وهي أسرة بني فوليطة، واستمرّت شرافتها حتّى عام 1201م، حتّى أخذت عائلة قتادة الشّرافة منها[228].

وعندما ضمّ العثمانيون الحجازَ لهم كان يحكم مكّة أبناء أبي زر من نسل بني هاشم، وآخر مَن تولّى الشّرافة من هذه الأسرة هو الشّريف أبو نمي الذي أتى سفيرًا لسليم الأوّل في مصر[229]، وبالرّغم من أنّ الشرافة في مكّة كانت شكليّة بعد هذا التاريخ، إلّا أنها استمرت حتّى استيلاء الوهابيّين على الحجاز (1343هـ 1924م).

وقد كانت تبعيّة الحجاز للدّولة الأيوبية والمملوكية تبعيّةً شكلية فقط، ولكن في العصر العثماني تغيّر الوضع بتعيين مشايخ للحرم المكّي والمدني[230] من قبل الدّولة العثماني، ممّا أدّى إلى تقليص نفوذ الأشراف[231].

وبمرور الوقت أصبحت هذه المنطقة تُدار بواسطة إمارة الأمراء التي مركزها جدة [232]، فقد أصبحت مكّة والمدينة وجدّة بمثابة ثلاثة سناجق تمثّل إمارة أمراء إلّا أنّ العثمانيين أحالوا بعض شئون الحجاز واليمن والسودان والحبشة لمصر؛ نظرًا لبعد تلك الأراضي عن مركز الدولة[233].

وكانت الدّولة العثمانيّة تترك جنودًا بمقدارٍ ضئيل للغاية في الحجاز في الأوقات التي لم يكنْ بها أيّة تهديدات خارجية أو اضطرابات، ولكن في حالة ظهور تهديدات- وخاصّة من الناحية البحرية- كانت ترسل الجنودَ وبكميّات كبيرة إلى الحجاز، على سبيل المثال تمّ إرسال سليمان باشا

الخادم عام 1544م للحجاز، وتقاتل مع البرتغاليّين في معارك بحرية من أجل تأمين طريق التجار والحجّاج الهنود، وأنقذ المحيط الهندي والبحر الأحمر من خطر البرتغاليين المحقّق[234].

وعلى نفس الشّاكلة أرسلت الدّولة العثمانيّة القواتِ إلى المدينة ومكّة بسبب وصول الأسطول البرتغالي للبحر الأحمر وتهديده للحرمين[235].

ويعدّ أهمّ عمل قام به العثمانيّون- بعد ضمّهم للحرمين- هو تنظيمهم لشئون الحجّاج وأهالي الحرمين، فقد أنهى السّلطان سليم الاضطراباتِ الداخلية، وأثناء عودته استدعى خاير بك أمير أمراء مصر، وقال له: "إنّني جعلتك على خدمة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وإنني لا أريد أيّ دخلٍ من مصر، فقد فتحتها لخدمة المدن المقدّسة، وخصّصت دخلها بالكامل لخدمة رسول الله، وأنت- أيضًا- على رأس هذا الوقف الذي وقفتُه لله، ولتقمْ بهذه الوظيفة على أكمل وجه"[236] ، ولعلّ هذا الخطاب يوضّح أنّ العثمانيين عبّروا بأوضح تعبير عن تعظيمهم لحرمة البلدان المقدّسة التي جعلها الله ورسوله أمانة في أعناقهم.

وبعد أنْ دخلت منطقة الحجاز في حوْزة العثمانيين خصّصت الأوقاف والمدفوعات التي كانت تدفع لأمراء مكّة من خزينة الدولة، وهي على ما يلي: ألف عملة فلورية كخاصّة سلطانية، 250 كيسًا هي نصف دخل جمرك جدّة، خمسة عملات مصرية ذهبية يوميًّا من جمركي الهند واليمن، مخصّصات الصّرة[237]، أمّا في المدينة فكان يُعيّن شيخ الحرم من الوزراء السابقين وأغوات البنات، حيث يخصّص منهم أربعون شخصًا يكون شيخ الحرم رئيسَهم[238].

أمّا مولوية قضاة مكّة التي تعتبر درجة علميّة فكان يخصّص لها 500 أقجة، وقد ساوى السّلطان محمد الرّابع بين مولوية مكّة ومولوية استانبول فزاد من أهميتها، وكانت محصّلاتها من الصّرّة ألف ذهبية، ومن مصر 200 أردبًّا من القمح[239].

وقد استمرّ العثمانيون على نفس ما بدأه المماليك في خدماتهم للحرمين [240]، بل إنّ العثمانيّين لم يكتفوا بهذا فقط، بل خصّص كلّ سلطان وكلّ إداري من ماله الخاصّ للأعمال الخيرية، وتباروا في عمل الآثار الخيرية[241].

ولم يذهبِ الإداريّون العثمانيون إلى تطبيق نظام المقطعة والزعامة والتيمار في الحجاز؛ لأنّها أرض تختلفُ عن بقية الأراضي الأخرى الموجودة تحت إدارتهم، بل إنّ نصف ريعِ ميناء ينبع

البحر الذي كان بمثابة جمرك لجدّة كان يمنح لأشراف مكّة[242].

وخلاصةُ القول أنّه بعد أنْ تشرّف سلاطين آل عثمان بخدمة الحرمين الشريفين، اعتبروا حماية المدينة ومكّة واجبًا دينيًّا على الخليفة وعلى رافعي رايات الإسلام[243]، حتّى أنهم فتحوا اليمن خصيصًا لحماية هذه الأماكن المقدّسة من أيّ خطر أو تعدٍّ خارجي[244].

ثانيا : طريقُ الحجّ والخدماتُ التي تحقّقت في الحرم

1- أوقافُ طريق الحج:

منذ القدم- وحتّى اليوم- والنّاس يخرجون من الأماكن التي عاشوا فيها ويسيحون في الأرض، ولهذا فإنّ الأماكن التي يمرّ بها المسافرون وتأمينَ الطرق إنّما هي مسألة غاية في الأهمية.

ولا شكّ في أنّ أهمّ الرّحلات التي تتمّ في الإسلام إنما هي الرحلات التي تتمّ بهدف ديني، ولعلّ حماية هؤلاء المرتحلين في سبيل العبادة من المخاطر، وتأمين وصولهم وعودتهم من هذه الرحلات؛ إنّما هو جزء من تلك العبادة.

وكلّ المسلمين- وعلى رأسهم الدّول التي أسّسها الأتراك، وحتى الإدارات غير المسلمة- أقاموا آثارًا خالدة، وأظهروا جهدًا كبيرًا في سبيل تأمين تلك الرحلات التي تتمّ بهدف العبادة.

والنّزل والخانات ونُزل القوافل الموجودة في كلّ المساحة الجغرافية التي عاش فيها الأتراك مثل القوقاز والأناضول ووسط آسيا وإيران والبلقان؛ إنّما هي نماذج حيّة على هذا الاهتمام بأمن الطريق.

ولا شكّ أنّ أطول رحلة وأكثرَها مشقّة وأكثرها عددًا إنّما هي الرحلة التي يقوم بها المسلمون لأداء الرّكن الخامس من أركان الإسلام، وهو فريضة الحجّ في مكّة المكرمة، ومنذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأفواجُ المسلمين تتزايد كلّ عام لمكّة المكرمة لأداء هذه الفريضة، لا سيّما بعد كثرة الفتوحات وازدياد أعداد المسلمين في تلك الفترة، ولهذا ظهرت الحاجة الماسّة لتأمين هذا الطّريق وتأمين الرّاحة للقادمين لأداء فريضة الحجّ، وكانت هناك مهمّة للدول التي كانت تقع تحت

سيطرتها الشّام ومصر والحجاز، وذلك لأنّ أكثر النّزل مشقّة في هذا الطريق هو تلك الصّحراء الواقعة بين الشّام ومكّة.

وها هي الدّولة العثمانيّة التي ضمّت مصر والحجاز إليها عام 1517م، وحملت على عاتقها مهمّةَ حماية الخلافة والأماكن المقدسة، نجدها حقّقت المشروعات الكبرى لراحة الحجّاج وتأمين طرق الحج، وإذا ما استثْنينا المسلمين الذين يأتون للحجّ من جنوب آسيا والهند التي تصل إلى مكّة عبْرَ المحيط الهندي، سنجدُ أنّ نزليْن رئيسيّين من الطرق التي يتعقبها المسلمون الذّاهبون للحجّ يمرّان من الأراضي العثمانية؛ الأوّل منها طريق القاهرة الذي يستخدمه مسلمو مصر وشمال أفريقيا، الثّاني طريق الشّام الذي يتعقبه الحجّاج الذاهبون إلى مكّة من البلقان والأناضول والقوقاز ووسط آسيا والقرم.

وقد أوقف الرّجال العثمانيون الأوقافَ الكثيرة بغيَةَ تحقيق بعض الخدمات في طريق الحجّ إلى جانب التنظيمات السياسية والإدارية واستتباب الأمن في هذه الطرق.

2- نُزل طريقِ الحج

تلك هي النّزل التي كانت موجودةً بين مكّة المكرمة واستانبول، والتي كانت تعدّ بمثابة الطّريق الذي يستخدمه أكثر الحجّاج في العهد العثماني: أسكدار، قارتال، جبزه، حركة، إزنيك، لافكه، وزير خاني، سويت، بوزويوك، أسكي شهر، سيد غازي، برادقجى، ينى خان، حيات، خسرو باشا، بولوادين، إسحاقلى، آق شهر، إلجين، لآديق، قونيه، إسماعيل، قرة بينار، أريكلي، أواو قيشله، جفته خان، رمضان أوغلو يايلاسي، جاوش خاني، ميسي، أطنه، قورت قولاغي، باياس، بالاب، أسكندرون، بكتاش، حما، حمص، أيكي قابلي، قوناتاره، الشام، قبة الحج، طارخان خاني، مزيريب، مفرق، عين الزرقا، بلقا، قطران، خاصة، قلعة معان، ظهر العقبة، ذات الهجا، تبوك، أخيضر، خيبر، البركة المعظمة، مدائن صالح، على، بئر زمرد، النعام، وادي القرى، المدينة المنورة، بدر، قضيضة، بدر العفان، وادي فاطمة، عرفات، قبور الشهدا، مكّة، مينا، المزدلفة[245].

أمّا المنازل الموجودة على طريق الحجّ بين مكّة ومصر، فهي: البركة، دار الحمرا، المثاني، العجرود، السبخة، وادي التيه، ناحى الحرما،، العدوية، حران، العقبة، ظهر الحار، شرف النبي،

عطية، عيون الكساب، مويلح، أزلم، اصطبل عنتر، قلعة ووش، أيكرا، خانكى، حرا، وادي النار، ينبع، ثقيفة، بدر الحنين، قاء، رابغ، طارق، عسفان[246].

والحاجّ الذي يريد الذّهاب إلى الحجّ من استانبول عليه أنْ يقطع المسافات والنزل الموجودةَ في الأناضول وسوريا، ثمّ يبدأ بعد ذلك في الدّخول في الصحراء الموجودة بين الشّام ومكّة، وهي صحراء غير مؤهّلة لأقصى درجة من حيث ظروف الطبيعة والإقليم، لذا كان من الضّروري القيامُ بعمل استعداداتٍ كبيرة في الشّام لتأمين عبور هذا الحاجّ بشكل مريح وآمن من كلّ الجوانب، وذلك لأنّ الشّام كانت نقطة تلاقي لكلّ الحجّاج القادمين للحجّ من الجهات المختلفة، لذا كان إداريّو الشّام مسئولين عن مواجهة احتياجات الحجّاج وتأمين الطريق، وقسْمٍ من شئون الحجّ في مكّة المكرمة نفسها.

3- تأمينُ طريق الحج

بعد أنْ ضمّ السّلطان سليم الحجازَ لحكم الدّولة العثمانية، أمر بعمل الكثير من الأعمال الخيريّة بُغيةَ إعمار طريق الحجّ الذي أصبح فوضى لأسباب مختلفة [247]، كما أمر السّلطان سليمان القانوني بتأسيس قلعةٍ في العريش التي كانت تتبع فلسطين بهدف تأمين طريق الذاهبين والآيبين، وجعل بتلك القلعة وحدة عسكرية[248].

هذا بالإضافة إلى أنّ الوزير العثماني الكبير صقوللو محمد باشا (987هـ 1579م) الذي كانت لديه ثروة طائلة أمر بإنشاء قلعةٍ ومسجديْن بالقرب من باب أنطاكية وذلك ليقيم المسافرون في تلك المنطقة بأمان، كما أمر بإنشاء مكتبٍ ومدرسة عليّة وجامعٍ وكليّة بجوارهما، وأمر بإنشاء 30 حجرة حول المدرسة والجامع لإقامة الفقراء، وخصّص 3 أقجات يوميًّا لكلّ حجرة، كما خصّص 25 أقجة يوميًّا لإنارة الجامع [249]، ولم تكنْ تلك الآثار التي أنشأها صقوللو محمد باشا هنا هامّة من الناحية العسكرية فحسب، بل كانت- أيضًا- هامّة من الناحية التعليمية.

وأمرَ لاله مصطفى باشا- أمير أمراء قبرص والشام، ومربي السّلطان سليم الثاني- بإنشاء محلّ للإقامة في قرية قوناي تره على طريق الحجّ عام 1566م، وأمر بترميم الأبنية التي آلتْ للخراب حوله [250]، كما أمر هذا الباشا ببناء مكتبٍ وعمارة خيرية وجامعٍ في نفس المكان[251].

وأوقف الباشا دخلَ إيجار الحوانيت الموجودة هناك من أجل مواجهة احتياجات مصاريف تلك الأبنية التي أمر بإنشائها[252].

ولأنّ دخل تلك الحوانيت لم يكن كافيًا لتلبية الاحتياجات أضيفَ إلى الوقف دخل بعض القرى والمزارع التي كانت ملكًا للباشا في الشّام وما حولها بالأمر نامه المؤرّخ بتاريخ أواخر ذي القعدة 974هـ، أبريل 1567م، وكان هذا الوقف مثل سائر أوقاف الحرمين معفيًّا من الضّرائب[253]، وقد ربط بهذا الوقف- أيضًا- دخل المزارع والقري التي يبلغ مجموعها 67 قطعة تقع في نواحي الشام، ويبلغ إيرادها السنوي 024، 103 أقجه، وذلك بالأمر نامه الأخرى الصّادرة في 982هـ [254]، ومن الإجراءات الأخرى التي قام بها لاله مصطفى باشا لاستتباب الأمن في طريق الحجّ أنّه اختار 500 جنديًّا من جنود الإنكشارية الموجودين في الشّام والبالغ عددهم 1500 جنديًّا، وذلك ليكونوا في معيّة الحجّاج أثناء ذهابهم وإيابهم[255].

أمّا فاطمة خاتون زوجة الباشا المذكور فقد أوقفت مئة درهمٍ لتلبية احتياجات المسلمين في طريق الحجّ، وطلبت ممّن انتفعـوا بهذا المال أنْ يدعوا لها في مكة[256].

كما أمر أوكوز محمد باشا بترميم العديد من القلاع المستخدمة بهدف تأمين الطريق الواقع بين الشّام والحجاز[257]، وأمر كمانكش مصطفى باشا بإنشاء قلعة عين الزرقا من جديد، ووضعَ فيها الكثيرَ من المحافظين، وخصّص بعض الأوقاف التي أوقفها لفقراء الحرمين من أجل هذه القلعة[258]، كما أوقف بعضَ الأرزاق التي تكفي لطهي بعض الأطعمة مثل العاشورة لتوزّع على المسافرين في نزل طارخانه خاني الواقع في منتصف طريق الحجّ[259].

وفي عام 990هـ 1582م تهدّم جسر بركة المرعي القريب من الشام، وكان الحجّاج يجدون مشقّة في العبور من هناك، وعندما علمت الإدارةُ العثمانيّة بذلك كتبت فرمانًا لأمير أمراء الشّام ودفتر دارها بأن يتمّ التّعجيل في ترميم الجسر في أسرع وقت[260].

وقد خصّص السّلطان مراد الرّابع من وقفِه 119 ألف و900 عملة لتأمين احتياجات المياه وشراء أربعين سجّادة وثلاثين قنطارًا من البقسماط لتوزّع على الخدّام الذين يعملون في النّزل الموجودة على طريق الحجّ[261].

ولأنّ كلّ الطّريق الواقع بين مكّة والشام طريقٌ صحراوي مغطّى بالرمال عن آخره، فإنّ العبور منه يكون غايةً في الصعوبة عندما تهبّ عاصفة فتجعل الصحراء كلّها غبار وتراب، وأكبرُ قسمٍ في الطريق يتضرّر من هذه العواصف الترابية المنطقة المعروفة بالعقبة وما حولها، لذا بدأ السّلطان مراد الرّابع بعملٍ كبير في سبيل إصلاح هذا الطريق وتمهيده، إلّا أنّ طبيعة المكان لم تسمحْ بمثل تلك الإصلاحات، وبعد ذلك أوقف أمير الحجّ رضوان بك مبلغ ألف قرش بغيةَ تسوية الطريق، وخطّط لحلّ تلك المشكلة[262].

أمّا وقفيّة السيدة خديجة طورخان سلطان والدة السّلطان محمد الرابع والمؤرخة بتاريخ

1656م 1066هـ، فتشمل كلّ أوجه الخير التي قامت بها، وقسْمٌ من هذه الخيرات يشمل خدماتِ طريق الحج.

فأمرت بإنشاء قلعتيْن على النّزل المعروف باسم استانبول القديمة، هما "قلعة السّلطان وقلعة سدّ البرهان"، وأمرت ببناء جامع داخل هذه القلاع ليؤدّي الحجّاج الصلاة في خشوع وطمأنينة، كما أمرت بإنشاء العديد من الحوانيت داخل تلك القلاع لتؤمن الاحتياجات التي سيشتريها الحجّاج، وأمرت- أيضًا- بإنشاء البيوت لتكون بمثابة الاستراحات الآمنة للمسافرين[263].

كما أوقف محمد أغا من أغوات دار السّعادة مزارعه الموجودة في قصبة شيراز الملحقة بسنجق حماة الذي مُلّك له، كما أوقف العديدَ من أراضيه الموجودة في نواحي قلعة المصطبة وحلب، وأمر- أيضًا- بإنشاء قلعة في منطقة تعرف بميدك في حلب، وخصّص خمسين قرشًا رياليًّا ليُصرف منه على ترميم الخان الموجود هناك، كما عيّن موظفًا لخدمة الحجّاج في نفس الخان، وربط راتبًا لهذا الخادم خمسة أقجات، ولإمام الجامع الموجود بالقلعة ستة أقجات يوميًّا، وللمؤذّن أربعة أقجات يوميًّا، أمّا إجراءات محمد أغا المرتبطة بأمن الطريق فكانت موجهة للنّاحية العسكرية، فقد عيّن ثلاثين جنديًّا مسلّحًا براتب يوميّ لكلّ جندي منهم خمسة أقجات، واشترط عليهم مرافقةَ الحجّاج لتأمين سلامتهم (أوائل جمادى الأولى 1073هـ ديسمبر 1662م)[264].

4- صرّةُ طريق الحج

لم تكتفِ الدّولة العثمانيّة بالتّدابير العسكرية فقط من أجل أمن الحجّاج وسلامة وصول الصّرّة بأمنٍ وسلام، فبالرّغم من الإجراءات المشدّدة التي اتخذت ضدّ البدو الذين يعيشون في

الصّحراء ويعرفون خباياها جيدًا، إلّا أنّ هؤلاء البدو كانوا أحيانًا يهجمون على قوافل الحج، وينهبون الصّرّة، ويقتلون الأغنياء الموجودين في القافلة، ويستولون على أموالها، ولهذا اتفق رجالُ الدّولة العثمانيّة مع بعض القبائل البدوية المطيعة لتكون إلى جانب الإجراءات العسكرية الأخرى، وخصّصوا لهم صرّةً تكاد تكون مثل صرّة أهالي الحرمين، وكان لهم دورٌ في الحفاظ على القوافل من بعض الهجمات، والمهمّ في ذلك أنّ تلك القبائل التي كانت تأخذ من الصّرّة كانت تساعد الدّولة في تأمين طريق الحجّ، وتلك هي القبائل التي كان يخصّص لها صرّة، ومقدار الأموال الواردة بها:

قبيلة عنزة 1449 قرش أسدي– قبيلة الحسينات 1500 قرش أسدي– قبيلة عبد النبي 1000 قرش أسدي[265].

واستنادًا للتحرير المكتوب لقبيلة بني صخر عام 1098هـ 1687م، وجد أنّ مبلغ الصّرّة وصل إلى 6000 قرشًا، بعد علاوة 4785 قرشًا بدلًا من 1215 (18/ رجب/ 1098هـ، 30/ 5/ 1687م) ([266])، ونفس الشيء مع قبيلة عنزة الواقعة على طريق الحج، فقد كانت تأخذ قبل ذلك 1054 قرشًا، أصبحت تأخذ 6000 قرشًا، وبالتالي وصلت صرّة هاتين القبيلتين 12 ألف قرشٍ، وأمر بأنْ يضاف 4351 قرشًا من مال طرابلس الشّام لحصص تلك القبائل[267].

كما كانت هناك بعضُ العشائر التي تعيش في الشّام وحلب تقوم بحماية طريق الحج، وبالرّغم من أنّ تلك العشائر تعيش في المدن المركزية المذكورة إلّا أنّه لأنّهم خبراء بالطرق الصّحراوية ويعرفونها جيدًا، يشتغلون في وظيفة الإرشاد والحماية لكلّ القوافل التي تجوب طريق الشّام المدينة، وعلى رأسها قوافل الحجّاج، على سبيل المثال كانت أسرة الزهراوي في حلب تشتهر بتلك الوظيفة في القرن السّابع عشر [268]، وأصبحت أعمال حماية وإرشاد القوافل في هذا الطريق بمثابة فرعًا من أفرع العمل.

وبالرّغم من تلك الإجراءات التي اتّخذت لحماية طريق الحجّ إلّا أنّ قوافل الحجّ لم تكن تسْلَم من تعدّي العربان وإلحاقِ الضّرر بها؛ لذا كان ولاةُ الشّام لا يتورّعون في تأديب هؤلاء العربان، بل وقتل بعضهم [269]، وخلاصة القول أنّ الدّولة العثمانيّة نجحت بفضل إداريها في مسألة تأمين طريق الحج، اللّهم بعض جوانب القصور البسيطة.

5- تداركُ الإبل كوسيلةِ نقل

تعدّ الإبلُ من دوابّ النّقل البرية التي تحتلّ الصّدارة في وسائط النقل التي تسير في الصّحاري، فقد كانت بمثابة مركبًا للمسافرين، وإذا تطلّب الأمر أصبحت مأكلًا ومشربًا لهم، وكانت هناك أهمية كبرى لوجود الإبل بسبب هلاك الكثير منها في الطريق خاصّة بين مكّة والشّام، لهذا اتّجه رجال الدّولة لعمل بعض التنظيمات الخاصّة لحلّ هذه المشكلة عن

طريق تخصيص الأوقاف وبعض المدفوعات الأخرى التي تخصّص من الخزينة المركزية.

ويُفهم من الحكم السّلطاني الذي أصدره السّلطان مراد الثالث، والصّادر بتاريخ 988هـ 1580م، أنّه أوقف 60 ناقة لخدمة الحجّاج في طريق الحجّ[270].

وقد أسّس الوزير الأعظم إبراهيم باشا وقفًا لشراء 600 ناقة للخدمة في طريق الحجّ عام 997هـ 1587م[271]، وبالرغم من أنّ تلك الأوقاف لم تدمْ طويلًا إلّا أنّها تُرى على أنّها نموذجٌ مختلفٌ للأوقاف التي تمّت من أجل رحلات الحج.

وكانت الدّولة على رأس مَن يقوم بتلك الخدمات، وكانت تشتري الإبل من مشايخ قبائل عمر وحرفوش ورشيد وآل معان والترابي وآل الرياح والشهاب وسليم وإبراهيم وسعيد وحنش وزيد وصفر وعطية وزهد؛ الذين يعيشون في نواحي الشّام، كما كانت تشتريها من القبائل التي تعيش في نواحي نابلس وعجلون والخليل وعكا وصفد والرملة وغزة والقدس؛ والبالغ عددها 77 قبيلة، أمّا عدد الإبل التي تمّ شرائها بالتقريب فبلغ 50 ألف ناقة[272].

وقد صدر حكمٌ سلطاني في 24 / صفر/ 986هـ إلى أمير أمراء الشّام مَفاده أنْ يتمّ إرسال 400 ناقة سنويًّا إلى الاصْطبل العامر الواقع بطريق الحجّ، وذلك بسبب تردّد أبناء العربان في إعطاء هذه الإبل، وعلى الأمير المذكور أنْ يزيل هذا النقص[273].

وكانت الأموال التي تدفَع لتأجير الإبل تردّ من دخل منطقة الشّام وحلب، وقد تقدّم شخص

يدْعَى ناصر كان يؤجّر الإبل التي تستخدم في طريق الحجّ بشكوى عام 986هـ بأنه لم يتمكّن من أخذ مبلغ الأربعة آلاف ومائتي سكّة التي كان يأخذها كلّ عام نظير تأجيره الإبل فطلب أنْ تتحمّل خزينة حلب تلك الأموال[274]، كما يُفهم من شكوى الفقراء أنهم لم يأخذوا الستين ناقة المخصّصة لهم، أنّ تلك الإبل أعطيت لكبار رجال الدّولة، وأنه قد طُلب من أمير أمراء الشّام ودفتر

دارها بأنْ يقاوموا هذا الانحرافَ الذي ظهر في عدم تسليم المخصّصات المخصّصة للفقراء، وإعطائها لمَن هم ليسوا أهلًا لها أو في غنى عنها، وهى العشرة آلاف عملة، والملبوسات التي كانت توزّع عليهم[275].

وقد استأجرتِ السيدة كوسم سلطان الإبلَ لنقل الحجّاج الفقراء، واشترطت أنْ تدفع أجرة سنويّة لتلك الإبل 65 أقجة حسنة، وذلك عام 1061هـ 1651م[276]، أمّا طورخان سلطان فقد خصّصت 250 قرشًا أسديًّا لتأجير الإبل للحجاج الفقراء الذين يضطرّون للسير على الأقدام بسبب هلاك إبلهم[277].

6- تداركُ المياه في طريق الحج:

لأنّ طريق الحجّ بين مكّة المكرمة والشّام طريقٌ صحراويّ، فإنّ وجود المياه فيه بكميات كافية أمرٌ غاية في الأهمية، وإذا ما وضعنا نصبَ أعيننا الظروف الإقليمية لهذا المكان الذي تمرّ مِن عليه قوافل الحجّ سنجد أنّ إيجاد المياه فيه أمرٌ غاية في الصعوبة ليس للقوافل التي تمرّ فحسب؛ بل- أيضًا- للذين يمرّون فرادَى أو الدّواب التي تعيش هناك، لهذا بذلت الإدارة المركزية العثمانيّة والإدارة المحليّة في هذا المكان، وكذا رجال الدّولة المحبّين للخير، الجهودَ الحثيثة للقضاء على هذه الأزمة، وتجلّت هذه الجهود في ترميم الآبار الموجودة والتي أسّست على يد الدّولة أيضًا، وكذا تدارك منابع ومصادر جديدة للمياه.

أمّا الخدماتُ التي قام بها محبّو الخير الذين أوقفوا الأوقاف لحلّ مشكلة المياه فقد كانت تتمثّل في استئجار الإبل لنقل المياه إلى المناطق التي ينزل بها الحجّاج، والعمل على وجود أكواب المياه طوال طريق الحج، وتعيين السقائين لحمل المياه للحجّاج، وتلك هي الأوقاف ومَن قاموا بها في هذه الخدمة:

طلب السّلطان مراد الرّابع تخصيص مبلغ 60 بارة لشراء 160 قربة لتأمين احتياجات الحجّاج في طريق الحج، وتخصيص مبلغ64.500 بارة لشراء 43 ناقة لحمل هذه القرب من دخل وقفه الذي أسّسه في أواسط رمضان 1036هـ/ مارس/ 1627م، كما طلب تخصيص مبلغ12600 بارة لـ 21 سقاءًا يوزّعون المياه على الحجيج[278].

وأوقفت السيدة كوسم سلطان ثلاثينَ ناقة لتكون سبيلًا للمياه لقوافل الحجّ الذاهبة من الشّام إلى مكّة، وذلك مِن الوقف الذي أسّسته في شهر المحرم 1026هـ، يناير 1617م، من العائد المتحصّل لها من دخل الثّمان قرى التي ملّكها لها السّلطان عثمان الثاني في ناحية ليواديا[279] بسنجق أغريبوز، وقد اشترطت في هذا أنْ يكون 25 ناقة من الثلاثين مخصّصة لحمل المياه، وتوزيعها على المحتاجين، أمّا الخمسة الباقية فتخصّص لحمل أغراض مَن يقومون بمهمّة توزيع المياه، وقد أعطت الوالدة سلطان أهميةً كبرى لهذا العمل، حيث أنها- وفي ظلّ هذه الظّروف- لم تنسَ راحةَ مَن سيعملون في توزيع المياه، كما خصّصت سبعة قناطير شامي ونصف من البقسماط والأرز بالقدرِ الكافي والعدس والزيت والحمص والبصل والجبن والعسل والبلغور؛ وذلك لتوزيعها على الاثنا عشر شخصًا الذين يقومون بمهمّة إدارة الإبل والسقاية، ومِن بين شروط هذه الوقفية الأوعية التي سيتمّ حفظ تلك المواد الغذائية بها[280].

أمّا أعمال خديجة طورخان سلطان في هذا الشّأن، فهي أعمق؛ فقد أمرت بتنظيف الآبار الموجودة، وبذلك أمّنت استخدام المياه بشكل أكثر إيجابية، وأمرت- أيضًا- بحفر الآبار الجديدة في المنازل والنّزل التي تمرّ بها قوافلُ الحج، وأوقفت- أيضًا- الإبل التي تنقل المياه للحجاج[281].

أوقافُ الإبل التي خصّصت لنقل المياه في الصحراء:

مراد الرّابع 43 رأس 500، 64 نقود

كوسم سلطان 30 رأس 45000 نقود

خديجة سلطان 65 رأس 500، 97 نقود

كما اشترط مصطفى أغا- أغا دار السّعادة- وجود عشرة سقّائين لحمل المياه لتوزيعها على فقراء الحجّاج المصريين

في طريق الحجّ وأثناء أداء فريضة الحج[282]، أمّا محمود جلبي بن إبراهيم باشا فقد خصّص 8 عملات ذهبية لمَن

سيحمل المياه في طريق الحج، و6 عملات في مقابل خدمة شيخ الحرم الذي سيشرف على تلك الأعمال[283].

7- مساعداتُ الملابس:

نظرًا لأنّ الحجّاج كانوا يذهبون للحجّ سيرًا على الأقدام في غالب الأمر، فقد كانوا يجدون مشقّة من هذا، وهو ما يؤدّي إلى تلف الملابس التي يرتدونها بسرعة، وخاصّة النعال، لأنّهم يسيرون فترةً طويلة، ممّا يجعلهم يشعرون بالضيق، وللقضاء على هذا الوضع المضطرب خصّصت السيدة كوسم سلطان وقفًا لشراء ألف زوجٍ من النعال وألف جبّة، ومئة طربوش سنويًّا لتوزّع على مَن يحتاج مِن الحجّاج[284].

8- التّنظيماتُ الإداريّة والسياسيّةُ في طريق الحج:

عهدَ بالتنظيماتِ الإدارية والسياسية في طريق الحجّ للإداراتِ المحليّة في مصر والشام، ومِن تلك التّنظيمات الإدارية والسياسية أنّه قد كتب حكم سلطاني لأمير أمراء مصر عام 1570م بأنّ الأشقياء هجموا على قوافل الحجّ في السنوات السابقة، وأنّه يجب ترميم وتجديد القلاع الموجودة على طريق الحجّ لتأمين الطريق، أو أنْ يستخدم الطريق البحري في حالة الضرورة، وأرسل لذلك 17 ألف عملة فلورية[285].

ومِن الأمور التي كانت ترهقُ الحجّاج في طريق الحجّ ضيقُ المكان الذي يسير فيه الحجّاج في الطريق بسبب المساحات التي بذرها الفلاحون حديثًا في طريق الحجّ في المدينة المنورة وما حولها وهي ليست مُلكًا لهم، وفي مقابل هذا أرسلت الدّولة حكمًا لقاضي المدينة تطلبُ فيه إعاقةَ هذا الخلل وإعادة هذه الأراضي التي اغتصبها الفلاحون[286].

والحفاظُ على قوافل الحجّاج من الشّام وحتّى المدينة كانت عائدةً لأمراء الحج، أمّا من المدينة وحتى مكّة المكرمة فكانت حماية القوافل خاصّة بأصحاب الإبل، أمّا الأعمال التي تمّت لعبور القوافل بسهولة ويُسْر بين مكّة والمدينة فكانت من مسئولية قضاة المدينة[287].

وعلينا أنْ نقول هنا إنّ الخدماتِ التي قامت بها الدّولة العثمانيّة لم تكن تقتصرُ على الأمن وضمان إرسال الأموال المرسَلة إلى الحرمين فحسب، بل على العكس اتخذت الدّولة كلّ الإجراءات

الضرورية في هذا العمل.

وبسبب فتح صناديق البخور والشّمعدانات التي كانت ترسَل من استانبول إلى المدينة في الطّريق ونهب قسمٍ منها؛

قدّمت شكوى إلى استانبول بأنّ تلك الأشياء لا تصل كاملة؛ فأرسلت الدّولة حكمًا لكلّ القضاة الموجودين على طريق استانبول مكّة تطلبُ منهم إعاقة مثل تلك الأعمال[288].

أمّا قوافل الحجّ التي كانت تذهب من مصر إلى مكّة فكانت تتحرّك بسرعة بسبب الأمن في الطّريق، لدرجة أنّ هذه

القوافل لم تكن تدرك صلاةَ الفروض في أوقاتها بسبب تلك السرعة، وأدّى هذا الوضع إلى فواتِ خمس صلواتٍ في اليوم من أجل عبادة تؤدّى مرّة واحدة في العمر، وبالتّالي كانت هناك اعتراضات على هذا، ولمّا انتقلت المشكلة إلى مركز الدولة، وكتبت رسالة لمَن يهمّه الأمر بضرورة إلغاء هذا الإجراء الذي يخالف روحَ الإسلام، وطالبوا بأن تؤدّى الصّلوات الخمس في أوقاتها مهْما يكن من أمر [289].

وقد بذلت الدّولة جهدًا كبيرًا في القضاء على أيّة عوائق يمكن أنْ تبعد عن هدف الحجّ الأساسي، والابتعاد عن الانشغال بالأمور المالية، خاصّة في الشّام التي تعدّ أكبر مركز لتجمّع الحجّاج في الطريق، ويتّضح هذا جدًّا في الحكم الذي أرسله السّلطان محمد الرابع لدفتر دار الشّام عام 1058هـ، ولأنّ الشّام تعدّ بمثابة بوّابة مكّة والمدينة فقد طلب السّلطان في حكمه إغلاق المقاهي الموجودة في معابر طريق الحجّاج لأنّها تبعد الحجّاج عن روح العبادة، كما أنّ تلك الأماكن قد أغلقت في عهد السّلطان مراد الرّابع، ثمّ افتتحت من جديد في عهد السّلطان إبراهيم مقابل 18 ألف قرش، وكانت توجد أوامر أخرى بخصوص عدم فتح تلك الأماكن وإرسال دخلها إلى خزينة الدّولة[290].

على أيّ حال كان طريق الحجّ آمنًا ومريحًا لأقصى درجة بواسطة الخدمات التي تمّت عن طريق الوقف، أو من خلال الإداريّين، وخاصّة في أهمّ نقطةٍ في طريق الحجّ، وهي مشكلة المياه وإيجاد الإبل، وقد توافر الاثنان من خلال الأوقاف.

ثالثا : الخدماتُ التي تحقّقت في الحرمين

1- أوقافُ المياه

أيّ عمل من أعمال الخير يكون بنيّة خالصة لكسب رضاء الله وما ينفع الناس؛ يكون عند الله مقبولًا، وكلّما كان العمل الذي يقوم به الشّخص موجّهًا للسّاحات التي يشعر الناس فيها بالاحتياج بالنّسبة للزمان والمكان فإنّ جزاءه من الله سيكون مضاعفًا أيضًا، ومثلما كان إنشاء مدرسة في مكانٍ يشكو من قلّة المدارس، وجامع في بلدة لا يوجد بها مكان للعبادة، وجسر على مياه جارية لم يكنْ عليها جسرٌ؛ من الأعمال العظيمة التي لها ثوابها الكبير؛ فإنّ النشاطات التي كانت للأوقاف العثمانيّة، والتي تمّت للقضاء على نقص المياه في الحرمين؛ يعدّ- أيضًا- عظيمًا بنفس الدّرجة، ويمكن دراسة تلك النشاطات

تحت تلك العناوين الرئيسية:

أ- عينُ زبيدة:

بدأتِ الحياة الاستقرارية في مكّة بعد أنْ منح إسماعيل بئرَ زمزم المعجزة، أمّا في العهد الإسلامي فقد كانت هناك ضرورة لبحث سبلٍ جديدة لتأمين المياه بسبب الزيادة المفرطة في أعداد السّكان خاصّة في موسم الحجّ، لذا كان يتمّ البحث في كلّ العهود عن مصادر جديدة للمياه، وأوّل وسيلة لجأ المسلمون إليها حينذاك هي حفرُ الآبار العميقة، ولكن نظرًا لكثرة أعداد الذاهبين والآتينَ في موسم الحجّ بدأتِ المياه التي في الآبار تقلّ، وأصبحت المياه الموجودة لا تفي بالغرض، وقد بحثت السّيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد عن حلّ جذريّ لهذه المشكلة، وأنفقت في سبيل هذا مليونًا وسبعمائة ألف عملة فلورية بعملة زمانها، وتمكّنت من إيصال المياه إلى الأماكن القريبة من مكّة، وكانت تلك العين تعرف باسم مياه عرفات، وكانت تعمل حتّى فترة قريبة [291]، وفي العهود التالية كان يتمّ ترميم هذه العين باستمرار، لذا كانت مياهها تنهمر باستمرار.

وأوّلُ نشاطٍ كبير من الدّولة العثمانيّة لهذه العين تمّ في عهد للسّلطان القانوني، حيث هدمتْ وأنشئتْ من جديد، وذلك لأنّ كلّ الطرق التي كانت توصل لمكّة من المكان الذي تنبع منه العين أصبحت مهملةً تمامًا عام 939هـ، هذا بالإضافة إلى أنّ قلّة المياه وانسحابها من الآبار في أشهر الحجّ خاصّة كانت تجعل ثمنَ المياه غاليًا، فكانت جرّة المياه تباع بذهبية.

وعندما علم القانوني بهذه الضّائقة التي تعيشها مكّة طلبَ من مصلح الدين أفندي الذي يعيشُ في مكّة بأن يقدّم له تقريرًا مبدئيًّا عن تنظيف المجاري المائية في عرفات وحنين، وجعلها في حالة صالحة للاستخدام[292].

وأتمّ مصلح الدّين أفندي دراساته، وقدّم للسّلطان تقريرًا يشتمل على الترميمات اللازم عملها حتّى يعود المجرى المائي على ما كان عليه، درس القانوني هذا التقرير، وخصّص لمصلح الدين أفندي المساعداتِ النقديّةَ والعينية اللازمة لتأمين القوى البشرية والأدوات الخاصة بعملية الترميم، فقام مصلح الدين أفندي أوّلًا بتنظيف المجارى المائية الموجودة في مكّة، وعمّقها، كما أمر بترميم وإصلاح كلّ الأسبلة والأحواض الموجودة في المدينة، وفعل نفس الشّيء في المجاري المائية بحنين، وخصّص العبيد الزنوج ليعتنوا بهذه المجاري المائية بشكل دائم، واستمرّت عملية التّرميمات ستّ سنوات، وانتهت في عام 937هـ1531م [293]، كما أضاف القنواتِ الجديدةَ لعين زبيدة[294]، وأنشأ بمكّة حوْضين قطرهما 800 خطوة، وعمقهما 20 ذراعًا[295].

لقد عمل مُصلح الدين أفندي خلالَ هذه الفترة الطويلة على القضاء على مشكلة المياه، وطوّر آليّة متكاملة للغاية للقضاء على كلّ أوجه النّقص في أقصر فترة، فقد أنشأ قبّة كانت بمثابة نقطة تقسيم المياه من المجرى المائي، وأحاط تلك القبّة بخمسة وأربعين ميزابًا، وللتحكّم بشكل دائمٍ في هذه الميزابات عيّن ناظرًا وكاتبًا ومعماريًّا عليها، وطلب منهم سرعة التحرّك عند عطل أيّ ميزاب كأن تقلّ فيه المياه أو تنقطع كلية[296].

ولم تفسدْ تلك المنظومة المتكاملة للمجاري المائية في مكّة إلّا بعد 30 عامًا تقريبًا عندما خربتْ بفعل الظّروف

المناخية للمنطقة كالعواصف الرمليّة والسيول، وأصبحت تلك المجاري المائية في حالة لا يمكن استخدامُها، وقد

أرسل شريف مكّة عريضةً إلى استانبول عام 970هـ 1562م يخبرها بضرورةِ ترميم هذه المجاري المائية.

وعندما علم السّلطان بذلك عيّن قاضي مكّة الشيخ عبد القادر بن علي المغربي لهذا الأمر، وطلب منه أنْ يقوم بعمل

تقريرٍ عن الترميمات اللازمة والحسابات اللازمة لها، فقدّم للسّلطان تقريرًا ذكر فيه أنّه يلزم إنشاء مجاري مائية

جديدة لحلّ أزمة المياه، وأنّها ستتكلّف 30 ألف عملة فلورية[297].

وعندما وصل التقريرُ إلى استانبول تكفّلت مهرماه سلطان هذا المبلغ من مالها الخاصّ دون أنْ تحمّل ميزانية الدّولة أيّة أعباء، وقامت بزيادة المبلغ إلى 50 ألف عملة فلورية، ودعت إبراهيم بك دفتردار مصر ليكون ناظرًا على أعمال التّرميمات [298]، استمرّ العمل في هذا المشروع الإحيائي للمجاري المائية بمكّة 12 عامًا، وشارك فيه ألفُ عامل تقريبًا، وقد عمل إبراهيم بك الدّفتردار ليلَ نهار لكي ينجز هذا العمل على وجْه السّرعة، ولكنْ وافته المنيّة قبل الانتهاء منه، فانتقل الإشراف على العمل إلى قاسم بك متصرّف جدّة، ثمّ منح الإشراف على العمل بعد ذلك لمفتي مكّة حسين بن أبي بكر الحسيني[299].

وقد وصلت المياه إلى مكّة مرّة أخرى بعد الانتهاء من هذا العمل، بل زادت المنابع المائية الموجودة بمكّة، حيث أنشأت الأسبلة الجديدة ، وعلى هذا لم يكنْ هذا المشروع تجديدًا لمنابع المياه فحسب؛ بل كان- أيضًا- لإحياء وتطوير عين زبيدة. وذلك لأنّ عين زبيدة التي حفرتْها السيدة زبيدة كانت تصل إلى عرفات فقط، ولم تصل إلى الأحياء الداخلية بمكة، أمّا في عهد القانوني فقد وصلت المياه إلى داخل مكّة بواسطة حفر الهضاب الحجرية الموجودة بين مكّة وعرفات[300].

وقد ظهرت بعضُ المشكلات الكبرى أثناء العمل في هذا المشروع، وكان مركز الدّولة يصدرُ الأحكامَ لحلّها، وتلك هي بعض المعلومات الموجودة في دفتر المهمّة والمتعلّقة بهذه النشاطات:

لمّا أصبح الحديد الخام والصّلب الذي يجلَبُ من مصر غيرَ كافٍ، تمّ تدعيم هذا من استانبول، وكان يتمّ نقل المعدات والمستلزمات الضرورية إلى مكّة عن طريق مصر[301]، وكان محمد بك المسئول عن تأمين الاحتياجات المطلوبة والتي ترسل من استانبول يرسل الحديد والصّلب من استانبول، وكان يرسل معها الأموال أيضًا[302]، وعندما توفّيَ إبراهيم بك ناظر العمل في هذا

المشروع في 24 / شعبان/ 975هـ، 23 / فبراير/ 1568م؛ تولّى بعده محمد بك ناظر الأموال في مصر[303].

وكان يرسل كلّ عام من مصر للعاملين في هذا المشروع 1500 أردبّ من القمح، و1000 أردبّ من الأرز والحمص والعدس والفول[304]، أمّا رواتب العاملين فكانت تخصّص من دخل جمرك جدّة[305]، ولأنّ فترة العمل في هذا المشروع طالت فقد كان يتمّ تغيير العمّال الذين أصبحوا غيرَ قادرين على العمل بعمّال آخرين جدد[306].

وفي 27/ ذي الحجة/ 978هـ 22/ مايو/ 1571م صدر الأمر لسنان باشا الصدر الأعظم بأنْ يكون مسئولًا عن تأمين الاحتياجات اللازمة للمشروع من أخشاب ومواد خام؛ وذلك عندما لوحظ أنّ الأموال التي تأتي من جمارك مصر واستانبول وجدّة غيرُ كافية[307]، وفي 23/ جمادى الأخرى/ 979هـ عيّن الشيخ حسين قاضي مكّة الشافعي ناظرًا لعمل في هذا المشروع[308]، وفي النهاية تمّ الفراغ من العمل فيه في 16/ ربيع الأول/ 980هـ/ 27، يوليو/ 1572م، ووصلت المياه إلى مكّة، ولامتنان الدّولة من الانتهاء من هذا المشروع الضخم العظيم؛
قامت بإرسال الخُلّعْ للنّظّار الذين أشرفوا على العمل فيه، والهدايا المختلفة لمَن قاموا بالعمل.

وكان إنشاء الأسبلة في الأماكن المختلفة من مكّة ليتمكّن الأهالي من الحصول على المياه بسهولة؛ بمثابة آخر مرحلة متمّمة لهذا العمل[309].

وفي عام 1576م، أي بعد خمسِ سنوات من الانتهاء من هذا العمل، حدث سيل في مكّة فلحقَ الضّرر بقسمٍ من عين زبيدة، وتكلّف إصلاحُه 27 ألف عملة فلورية، وعاد للعمل مرّة أخرى[310].

وبالرّغم من تعرّض تلك العين لعمليتي ترميمٍ صغيرتين خلال القرن السابع عشر مرّة منها كانت في عام 1630م، والثّانية كانت في عام 1682م؛ إلّا أنّه يمكن القول بأنه نتيجة لتلك الأعمال الشّاملة التي بدأت من عهد القانوني وحتّى عهد مراد الثالث كانت المياه تنهمر في مكّة لمدّة 200 عامًا تقريبًا بواسطة منابع ومجاري المياه التي تمّ حفرها[311].

وبخلاف ترميم عين زبيدة أوصى السّلطان القانوني- أيضًا- بإيصال مياه العين الموجودة بين جدّة ومكّة إلى مكّة، وقد تولّى هذه المهمّة ابنُه السّلطان سليم الثّاني الذي عيّن قاضي مكّة

ومتولّي الأوقاف بها لتحقيق هذه الوصية التي أوصى بها والده، وطلب عمل كشف بعدد الصّهاريج وكمية الأموال اللازمة لتحقيق هذا العمل[312].

ب- زمزم

كانت بئرُ زمزم هي مصدرَ المياه الوحيد الدّائم في مكّة منذ ظهورها وحتى عهد العباسيّين، ولكن بعد إيصال مياه عينِ زبيدة إلى مكّة أصبحت بئرُ زمزم بمثابة الرمز فقط، ولأنّها من مياه الجنّة لا تقل، ولأنّها محفوظة في مركز المدينة فلا تؤثّر فيها عوامل الطبيعة، لذا عندما نقيس الخدمات التي تمّت لبئر زمزم خلال القرنين السّادس والسّابع عشر ببقية الآبار الأخرى نجد أنها قليلة للغاية، وفي عام 985هـ 1576م أمر السّلطان مراد الثالث ببناء بئر زمزم من جديد نظرًا لتهدّمها [313]، أمّا في عام 1024هـ 1615م فقد أمر السّلطان أحمد الأوّل بعمل سياجٍ حديدي على زمزم، ممّا أدّى إلى سحب المياه بسهولة[314].

ج- عينُ الزّرقا

كانت المدينة لا تعاني من مشكلة المياه بقدر ما تعاني منها مكّة، إلّا أنه ظهرت في بعض الأوقات بعضُ الضّائقات المائية بسبب ازدياد أعداد المسلمين في وقت الحجّ، ولأنّ بعض المسلمين يفضّلون الإقامة في المدينة، ولإزالة تلك المشكلة تمّ توصيل مياه بئر عين الزرقا إلى المدينة بواسطة القنوات المائية، وعين الزرقا هذه بئرٌ عظيمة تقع في روضة الجعفرية في الجهة الغربية لجامع القبّة، وقد أضيفت اللواحقُ المختلفة لهذه العين في عهد القانوني وتمّ توسعتها.

وبالرّغم من قيام السّلطان القانوني بتطهير وتوسيع هذه العين، إلّا أنّ صقوللو محمد باشا عيّن السيد أحمد نقيب أشراف المدينة ليقوم بتطهير هذه العين عام 980هـ 1572م، وعلى الفوْر اشترى السيد أحمد بئري النّبي وخاتمة الواقعتين على حدود قرية القبّة، وضمّهما إلى عين الزّرقا، بخلاف قيامه بعمل الترميمات اللازمة، ووسّعت قنوات المياه، وتمّ توزيع المياه إلى الأحياء المختلفة في المدينة، وإلى أربطة الفقراء، وأنشأ حمّامًا عند آخر نقطة وصلت المياه إليها بالقرب من مدرسة خاصكي سلطان[315]، واشترط صقوللو محمد باشا إحضار سبعين صينية من مياه هذه العين كلّ يوم لتوضَع في المكان المعروف بميزان الشمس بالحرم المدني.

وعندما اشتكى الأهالي من قلّة المياه في المدينة على عهد السّلطان مراد الثالث أمر بإنشاء سبيلٍ بالقرب من باب مصر، وعيّن لكلّ خادم من خدّامه ستة أقجات يوميًّا، كما عيّن لهم 50 أردبًّا من القمح سنويًّا، وطلب توزيع المياه على الأهالي بواسطة السّقائين[316]، وقام السّلطان مراد الثّالث- أيضًا- بتوسعة بئر غربالي عام 999هـ 1686مـ، فأصبحت مياهها عشرة أضعافِ ما كانت عليه قبلَ ذلك، وبذلك تمّ القضاء على مشكلة المياه في المدينة المنورة تمامًا[317].

وقد أمرتِ الدّولة بإنشاء الأسبلة في الأماكن المختلفة في مكّة والمدينة بخلاف المنابع الكبرى المذكورة سابقًا، وهذه الأسبلة كانت عادةً عند الأتراك في الأناضول ووسط آسيا منذ دخولهم الإسلام.

وفي عام 988هـ 1580م أنشئ العديدُ من الأسبلة في مكّة، وأنشأت المدارس حول تلك الأسبلة، وكانت يومية السّقّا لهذه الأسبلة خمسة أقجات[318].

ويمكن القول أنّ معظم الخدمات التي تمّت في مجال المياه في الحرمين قامت بها الدولة، وذلك لأنّ تدارك المياه في مكانٍ يندر فيه الماء أمرٌ غيرُ سهل، لذا وجدنا أنّ كلّ النفقات الباهظة المتعلّقة بالمياه في الحرمين كانت تُنفق من جانب الدولة، أمّا ما قام به الأشخاص في هذا المجال فكان ينحصر في إنشاء الأسبلة في طريق الحجّ، وتوزيع المياه وسحب المياه من الآبار.

على سبيل المثال خصّصت خديجة طورخان سلطان في وقفيتها 800، 7 [319] ريالًا لمواجهة احتياجات المياه في

الحرمين والحجّاج، واشترطت في وقفيّتها هذه أنْ يمنح رئيس السّقائين في المدينة 3009 ريالًا منها، و6000 منها

توزّع بمعرفة أغا دار السّعادة على الأهالي لمواجهة نقص المياه، والباقي وهو 1500 ريالًا يتمّ التحفظ عليه[320].

كما أحسنتْ نفس السيدة بمائة قرشٍ أسدي على المحافظين على بركة الجديرة[321] الموجودة بالقرب من المدينة المنورة، وهي من المراكز التي تؤمن المياه إلى المدينة، كما خصّصت 70 قرشًا أسديًّا أخرى لتستخدم في ترميم هذا المنبع عند الضرورة[322].

أمّا لاله مصطفى باشا فقد أسّس وقفًا لإنشاء سبيل وبركة في المدينة المنورة[323]، أمّا زوجته فاطمة خاتون فقد خصّصت 200 دينارًا لمواجهة الاحتياجات العاجلة لعين الزرقا، وخصّصت 900 دينارًا أخرى لمواجهة احتياجات المياه في المدينة المنورة[324].

أمّا مصطفى باشا كمانكش الذي كان وزيرًا أعظمَ فقد أمر بإنشاء خطّ مياه جديد في مكّة يختلف عن الخطوط الموجودة؛ وذلك لمواجهة احتياجات مكّة من المياه، أمّا في المدينة فقد أمر بإنشاء برجا يرى خطّ مياه عين الزرقا من أعلى، وذلك لمعرفة ما يحدث به من أيّ أعطال ليتمّ إصلاحُها بسرعة، وبخلاف هذا خصّص الواقف 2500 سكة سنوية لفقراء الحرمين الشريفين[325].

واشترط مصطفى أغا- أغا دار السّعادة- في وقفيّته أنْ يخصّص 12 سقاءًا لحمل المياه للحجّاج المصريين الفقراء أثناء تأدية فريضة الحج[326].

كما خصّص محمود جلبي ابن إبراهيم باشا 20 سكّة من أوقافه التي في إزنيك للسقائين الذين يحملون المياه للحجاج[327].

وقام سنان باشا فاتح اليمن بتأدية فريضة الحجّ عام 978هـ 1571م وأمر بإنشاء سبيل في مكّة ليكون ذكرى لمجيئه إلى مكّة[328].

وأسّس المعمار سنان سبيلًا ورباطًا للخيل في مكّة لخدمة البشر والدواب[329].

وإلى جانب أهمية الأعمال التي كانت تتمّ في مكّة والمدينة للمياه كانت- أيضًا- التّنظيمات المتعلّقة بوظائف أوقاف المياه تحمل نفس الأهمية، على سبيل المثال صدر حكم في 17/ رمضان / 993هـ جاء به أنّه بالرّغم من أنّ الموظّفين المسئولين عن أسبلة الأوقاف الموجودة في مكّة يتقاضون أجورهم كاملة إلّا أنّهم لم يقوموا بالرّعاية والصيانة الواجبة في خطوط المياه، كما أنّهم لم يقوموا بإكمال المياه في الأسبلة الموجودة بالمدينة؛ ممّا أدّى إلى حدوث أزمة كبيرة، ولأنّ شكوى الأهالي من هذا الموضوع وصلت استانبول؛ صدرت الأوامر من استانبول للإداريّين- وهُم قاضي مكّة وأمير جدة- بسرعة التحرّك في هذا الشأن، وطلب منهم فصل المقصّرين في أعمالهم وسرعة ملء الأسبلة. وطلب منهم- أيضًا- تعيين مَن يكون لائقًا بهذه الوظائف[330].

2- أوقافُ الكسوة

الكسوةُ اسمٌ يطلق على غطاء بعض الأماكن المقدّسة، وعلى رأسها الكعبة والحجرة النبوية.

وبعد أنْ آلت منطقةُ الحجاز إلى الدّولة العثمانية، أمر السّلطان سليم باستمرار التطبيقات التي كانت متّبعة من عهد العباسيّين والمماليك بالنسبة لأوقاف الكسوة وكسوة الكعبة، بل إنه لم يكتفِ[331] بهذا فحسب؛ بل أمر بتخصيص معوناتٍ مادية من خزينة الدّولة لصنع الكسوة[332]، ووصلت المخصّصات السنوية المخصّصة لصنع الكسوة 500 ألف عملة، وكان هذا المبلغ يزيد في عهد كلّ سلطان مِن بعده حتّى وصل إلى 565000 عملة عام 1082هـ 1671م[333].

وأوّل مَن قام بتخصيص الأوقاف من أجل الكسوة من السّلاطين العثمانيين هو السّلطان سليمان القانوني، فقد أوقف عام 947هـ 1540م الدّخل السنوي لقرى باسوس وأبو الغيث وحوض البيكماس وسالكة وصابر وجانجة وقريش الحجر وكوم ريحان والمنايل وبيجام ومنية النّصارى؛ ليستخدم في صنع الكسوة [334]وقد حقّقت تلك القرى دخلًا سنويًّا يقدّر 152، 345 درهمًا شريفًا عام 947هـ 1540م[335].

وبالرّغم من أنّ الإداريّين العثمانيين أوقفوا الأوقاف الجديدة، وخصّصوا مخصّصات جديدة للكسوة منذ عام 923هـ 1517م، إلّا أنّهم لم يغيّروا المكان الذي يتمّ صنعُ الكسوة فيه.

وبمقتضى الحكم الصّادر يوم الخميس الموافق 29/ ذي الحجة/ 979هـ 13 / مايو/ 1571م تمّ تغيير لونِ الكسوة من اللّون الأسود إلى اللون الأبيض؛ وذلك لعدم تحمّل اللون الأسود لحرارة الشّمس العالية ممّا يؤدّي إلى تمزّق الكسوة بعد فترة قصيرة من تعليقها، ولكن بعدَ فترة تمّ خلط اللونين الأبيض والأسود فأصبح لونُ الكسوة من اللونين[336].

وفي 23 / محرم/ 985هـ 12/ 4/ 1577م صدر حكمٌ لأمير أمراء مصر يقضي بعدم كتابة آياتٍ من القرآن الكريم على الإطار السّفلي للكسوة نظرًا لأنّ الحجّاج يقومون بالتعلّق بأهداب الكعبة في وقت الحجّ ممّا يؤدّي إلى تمزّق هذا الإطار المكتوب عليه الآيات القرآنية[337].

وفي 28/ جمادى الأخرى / 989هـ 31/ يوليو/ 1581م صدر حكم يقضي بصنع كسوة الرّوضة المطهّرة من الأطلس، وينقش عليه بالحرير الخالص[338].

وقد أهدى السّلطان محمد الثالث كسوةً قيّمة للغاية للمسجد النبوي لتفرش على الروضة المطهّرة، كما أهدى سجادةً أخرى قيّمة للمحراب[339].

كسوةُ استانبول:

كان الإداريّون العثمانيون يرسلون الكسوةَ من مصر حتّى عام 1018هـ 1609م، وذلك حتّى أصدر السّلطان أحمد الأوّل فرمانًا يقضي بنقل صنع الكسوة إلى استانبول، وخصّص لهذا العمل يوسف كشكو، وقد كانت الكسوةُ التي تمّ صنعُها في استانبول في هذا العام مِن أقْيَم وأغلى الكسوات التي أرسلت إلى مكّة حتّى ذلك التاريخ، فقد استخدم فيها قطنًا يقدر بثمانية وأربعين ألف درهمٍ، وكانت بعرض ألف وستّين ذراعًا، وقد أرسلت إلى مكّة في جمادى الأول من نفس العام[340]. وفي العام التّالي، تمّ صنع كسوةٍ لحجرة السّعادة ومرقد فاطمة في استانبول[341].

أمّا في عام 1021هـ / 1611م فقد تمّ تجديد كسوة الكعبة التي أرسلت قبل 3 أعوام من هذا التّاريخ، وكذا كسوة المدينة، وتمّ شغلهم بالألماس، وتحمّلت الخزينة مصاريف هذا التجديد. [342]

وبعد نقلِ مكان صنع الكسوة إلى استانبول يتبادر إلى الذّهن سؤال، وهو: ماذا حدث للأوقاف التي كانت مخصّصة للكسوة في مصر؟، والإجابة هي أنّه من المحتمل أنها كانت تخصّص لجملة الأوقاف التي كانت مخصّصة للحرمين في مصر، أو أنها كانت ترسل إلى الخزينة في استانبول مع بقية الأموال التي كانت ترسل من مصر.

أمّا الكسوات التي كانت ترسَل حتّى آخر عهد العثمانيّين فكان يصنعها أسرة سعود التي تحكمُ منطقة الحجاز في الوقت الحالي، وآخر كسوة وردَتْ للكعبة من الخارج كانت الكسوة المرسَلة من مصر عام 1962م، ولأنّ كسوة الكعبة تجدد كلّ عام؛ فإنّ القديم منها يقطع ويرسل إلى سلاطين المسلمين، وفي مقابل هذا كان هؤلاء السّلاطين يرسلون الهدايا المختلفة القيمة للحرمين.

الخدماتُ الإنشائية:

كانت الخدماتُ الإنشائية، وعلى رأسها الكعبة والمسجد النبوي، التي قامت بها الدول الإسلاميّة المختلفة التي حكمتِ الحجاز في التّاريخ الإسلامي لها أهمية كبرى، ولأنّ مكّة قد أسّست في وادي فقد أحيطت المدينة كلّها بما فيها الأماكن المقدّسة بسورٍ يحميها من هطول الأمطار الشّديدة، ولأنّها كانت تتعرّض للسيول الغزيرة في بعض الأوقات كانت المدينة والكعبة تتعرّضان للدّمار من جرّاء تلك السيول، كما أنّ ازديادَ أعداد المسلمين وأعداد الحجّاج الوافدين لمكّة في وقت الحجّ كان سببًا في عدم كفاية الأماكن والأحياء في مكّة لاستيعاب تلك الأعداد الكبيرة، وكان الحلّ الوحيد لذلك هو توسيعَ المسجد الحرام أو هدمه وبناءه من جديد إذا تتطلب الأمر، ولأنّ الأعمال العمرانيّة والإنشائية كانت تتطلّب أموالًا كثيرة وقوة بشرية هائلة، فكانت الدّولة في معظم الأوقات تتكفّل بتلك المصاريف من خزينتها، ولم يكنْ في استطاعة أيّ ثريّ من الأثرياء مهْما بلغت ثروته أنْ يتكفّل بتلك الأعمال الإنشائية بأن يؤسّس لها وقفًا، أي أنّ الأوقاف وحدَها لم تكنْ تكفي لعمل تلك الخدمات الإنشائية، ولكنّها كانت عاملًا مساعدًا في تلك الخدمات، ونريد الآنَ أنْ نلقي نظرةً مختصرة على تلك الخدمات التي تمّت عن طريق الأوقاف.

أ - الأعمالُ الإنشائية التي تمّتْ في المسجد الحرام

بدأ أوّلُ عملٍ إنشائي للكعبة عام 959هـ 1552م، وتمّ العمل من أوّل قسمٍ منه في 964هـ 1556م، وأسّست فيها مآذن للمسجد الحرام تشبه تمامًا مآذن مسجد السليمانية[343]، وقبل ذلك التّاريخ بثلاث سنوات أهدى السّلطان القانوني منبريْن فخمين ليوضعَا في المسجد الحرام والمسجد النبوي، كتب عليهما الآية[344] "إنّه مِن سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم"[345].

وقد عيّن السّلطان القانوني كلًّا من المعمار سنان ومحمود باشا ليقوما بحلّ مشكلة البيت الحرام الذي كان يمتلئ بالمياه حتّى من أصغر سيلٍ يهطل على مكّة، ولم يستطع أي شخص أنْ يجدَ له حلًّا قبل ذلك، فقاما بتعلية أعتاب التّسعة والثلاثين بابًا الموجودة بسلمٍ حجري يبلغ عددُ درجاته 6 درجات.

وبذلك أصبح بيتُ الله بمثابة القلعة المبنية على ربْوة حولها مُنخفض، وأنْقذ الحرم بذلك من المياه[346].

وقد انهمر سيلٌ على مكّة كالذي انهمرَ عليها عام 979هـ، وتهدّمت الحوائط التي تحيط بالكعبة، وبمجرّد أنْ وصل الخبرُ إلى استانبول أرسل السّلطان كميّةً كافية من المال لأمير مكّة الشّريف حسين الحسيني، وطلب منه أنْ يقوم بعمل التّرميمات اللازمة، ولم تنتهِ تلك الترميمات إلّا في عهد السّلطان مراد الثالث[347].

ولأنّ الأروقةَ الموجودة بالحرم وأسقفَها كانت من الخشب، ولأنّها كانت تتهدم في فترةٍ قصيرة بالرّغم من التّرميمات التي تتمّ بها، فقد أصدر السّلطان سليم الثاني فرمانًا يقضي ببناء الحوائط الجانبية والعلوية للحرم، والتي تعوق العبادة والطواف من جديد، وعلى هذا تمّ هدم الأروقة وأسقفها الخشبية، وبُنيت بدلًا منها أروقة ذات أعمدة رخامية وقباب عالية[348]، وقد كلّف سنان باشا رئيس معماريّي مصر بإنجاز هذا العمل، فطلب من الأمير أحمد أحد أمراء مصر أنْ يعدّ كلّ المستلزمات اللّازمة لهذه الترميمات، وأنْ يرسلها في فترةٍ وجيزة إلى مكّة. وصل أحمد بك إلى مكّة في فترةٍ قصيرة كما طلب منه، وشرع في هدم الأماكن التي ستبنَى من جديدٍ في أواسط ربيع الأوّل 980هـ، ثمّ بدأ في العمل بدعوات كبار رجال مكّة[349]، وجُلب الأسطوات والعمّالُ الذين سيعملون في هذا البناء من حلب[350]، وأرسلت أحكامًا إلى أمير أمراء الشّام[351] وأمير حلب[352] وشيخ الحرم المكّي بسرعة إنجاز هذا العمل[353]، وطلب السّلطان أنْ تبنى قبّة كبيرة على الكعبة تستقرّ تلك القبة على أربعين عامودًا رخاميًّا وعشرين عامودًا طبيعيًّا[354]، وأخذ من خزينة مصر 10 آلاف عملة فلورية لهذا العمل[355].

وفي 8/ جمادى الأخرى/ 981هـ 7/ 10/ 1573م أرسلت 200 قطعة من الحديد من استانبول إلى مكّة عبر طريق الإسكندرية السّويس جدّة[356]، وأثناء العمل حفرت أسس الكعبة بعمقٍ شديد حتّى لا يحدث لها ضررٌ من السيول أثناء العمل([357])، ولكن في 5/ جمادى الأولى / 983هـ حدث سيلٌ عظيم أغرقَ الكعبة بالمياه، ولم يتمكّن الناس من الصلاة في الحرم سبع فروضٍ متتالية، وانتظر أحمد بك انسحابَ المياه، ونظّف الكعبة مرّة أخرى، وجعلها في حالة صالحةٍ للعبادة[358].

وأخيرًا تمّ الفراغ من هذه الأعمال في 23/ شعبان/ 983هـ، 28/ 11/ 1575م، وأرسل الخبر إلى السّلطان بذلك، فأرسل السّلطان رسالة إلى أمير مكّة يخبره بسعادته البالغة من هذا، وطلب منه الاهتمامَ بهذا الشّكل في كلّ المسائل المتعلقة بالدين والدولة[359]، وأرسل الخُلع للإداريّين الذين كانوا يتولّون الإشراف على هذا العمل[360]، وكانت المقاييس الداخلية للمسجد الحرام بعد هذه

الإنشاءات على ما يلي: طول النّاحية الشمالية من أمام حاتم 164مترًا، وطول النّاحية الجنوبية 166 مترًا، وطول النّاحية الشرقية الموجود بها باب السلام 108 مترًا، أمّا النّاحية الغربية 109مترًا، وبالتّالي أصبح مجموع الكلّ 902، 17 مترًا مربّعًا، أمّا المقاييس الخارجية فبلغ عرضه 132 مترًا، وطوله 192مترًا، وبذلك يكون مجموعه 344، 25 مترًا مربّعًا[361].

ويوضّح هامر أنّه كان بالمسجد الحرام في هذا الوقت 360 قبة، وورد في دفاتر المهمّة أنّ تلك القباب تكلّفت لإنشائها 60 ألف عملة فلورية، أمّا بقية الأعمال الأخرى فقد تكلّفت 100 ألف عملة فلورية[362].

ولأنّ المساحة التي كانت تحيط بالكعبة كانت مغطّاة، وكانت تعوق الطواف والمصلين، فقد طلب بعضُ كبار رجال مكّة المساعدة من السّلطان في هذا.

ووجد السّلطان مراد الثّالث هذا الطلب في محلّه، وأمر بتغطية أرضية المسجد بالأعمدة الرّخامية[363]، وقد كان كبار رجال مكّة الذين تقدّموا بالطلب أولًا ضدّ إنشاء الأعمدة الرخامية في المسجد الحرام لما فيه من المغالاة والتّرف، ولكن السّلطان وكبار رجال الدّولة في استانبول كانوا مُصرّين على أنْ يتمّ بناء سقف المسجد الحرام بالرّخام، وفي النهاية تمّ إقناع المخالفين، وشرعَ في العمل، وغطّيت أرضيةُ المسجد بالرخام، كما كانت الأعمدة بالرخام- أيضًا- (983هـ 1575 م)[364].

قيامُ السّلطان مراد الرّابع ببناء الكعبة من جديد

في تمام السّاعة الثّانية صباحًا يوم الخميس الموافق 19/ شعبان/ 1039هـ الموافق3/4/1630م، انهمر سيلٌ عظيم على مكّة، وفي غضون فترة قصيرة غمرت المياه المسجدَ الحرام، ودخلت الكعبة، ومات في هذه الحادثة ما يقرُب من ألف إنسان، كما نفقت الكثيرُ من الدّواب[365]، وانشطرت جبهة الحائط الشّمالي للكعبة إلى قسمين، أمّا الحائط الشرقي فقد انهارَ تمامًا، ولحق الضّرر ببقية الحوائط الأخرى.

وعندما رأى إداريّو مكّة هذا الوضعَ الذي آلت إليه مكّة والكعبة أخبروا استانبول على الفور، وجلب هذا الوضع المُخيف حزنًا عميقًا في العالم الإسلامي، وحتى يتدارك إداريو مكّة الوضعَ قاموا بتغطية سقف الكعبة بأفرع النّخيل، وذلك لأنّ موسم الحجّ كان يقترب، ثمّ وضعوا

الكسوةَ الخضراء على تلك الأفرع، وقام أميرُ أمراء مصر بإرسال رضوان أغا إلى مكّة، وبعد أنْ تشاور رضوان أغا مع إداريّي مكّة اتّفقوا على أنْ يفعلوا ما في وسعهم لتطهير الحرم من الأوْحال الموجودة به، فقد كانوا يخرجون في اليومِ الواحد من داخل الحرم ومن الطرقات المؤدّية للحرم 30 أو 40 ألفَ حملٍ من الطّين، وانتهى العمل في 19/ ذي القعدة/ 1039هـ، وبذلك أصبح الحرم في حالةٍ يستعدّ بها لاستقبال الحجّاج[366]، واستمرّ رضوان أغا في أعمال التّنظيف والتطهير للأماكن المجاورة للحرم والأماكن الهامّة الموجودة بمكة، وفي تلك الأثناء قرّر الديوان الهمايوني بناءَ الحرم الشريف والكعبة من جديد، وعيّن أمير أمراء مصر ليتولّى مهمّة عمل الاستعدادات اللازمة لهذا الأمر[367].

وثمّة معلومات متفرّقة في دفاتر المهمّة الخاصّة بهذا العهد بخصوص هذه الفاعليات الإنشائية التي تحقّقت في عهد السّلطان مراد الرّابع، إلّا أنّ رشدي صالح الملحاس الذي قام بتحقيق كتاب الأرزقي قد أضاف سيرَ هذه الإنشاءات في شكل متفرّع للغاية[368].

وفي تلك الأثناء- أيضًا- تمّ ترميم المقام الشّريف، وفُرش المسجد بالحصى، كما فرشت الكعبةُ بالرخام، وأصلحت الطرق التي تسير من عليها[369].

وفي 23/ ذي الحجة/ 1091هـ 16/ 1/ 1681م انهمر سيلٌ كبير على مكّة المكرمة، تهدّم من جرّائه 150 منزلًا، ومات 25 رجلًا، وهلك 5 آلاف حيوانٍ، وعندما سمع سلطان العصر السّلطان محمد الرّابع بذلك؛ أرسل لمكّة سليمان باشا ليشرف على الترميمات اللازمة[370].

وقد اضطلع العثمانيون بعمل تجديداتٍ لبعض الأماكن المقدسة الأخرى الموجودة في مكّة بخلاف الكعبة، فقد قام السّلطان سليمان القانوني بتجديد المنزل الذي ولد فيه النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بعد أنْ تهدّم، واستمرّ هذا المنزل حتّى عهد السّلطان محمود الثاني حتّى قام هذا السّلطان بتجديده عام 1805م على نفس شكله وهيئته الموجودة حاليًا[371].

ب- الأعمالُ الإنشائية التي تمّت للمسجد النبوي

جرى أوّلُ نشاطٍ عمرانيّ إنشائي للمسجد النبوي في عهد العثمانيّين في عهد السّلطان سليمان القانوني، فقد أمرَ في عام 940هـ 1534م بعمل بعض التغيرات الصّغيرة في المسجد النّبوي وباب السلام، ولكن أوّل عملٍ إنشائي كبير تمّ عام 947هـ 1540م حيث تمّ تجديد باب الثّناء وباب الرحمة

والمحراب الحنفي في هذه التجديدات[372]، استمرّت هذه التجديدات عامًا، وأخذ المسجد النبوي بعدها طابع العمارة العثمانية.

وبخلاف تلك التّرميمات التي كانت تتمّ عند الضرورة والحاجة كانت هناك بعض الأقسام التي يتمّ ترميمها كلّ 15 عامًا بشكل مُعتاد، وهي: الرّوضة المطهرة، مقصورة الحرم النبوي، منبر النبي، محراب التهجّد، أبواب الروضة المطهرة، محراب ابن عباس وضريحه، قبر سيدنا علي، وقبور الحسن وفاطمة بنت أسد[373].

وتوجد تسجيلاتٌ مختلفة في دفتر المهمّة تتعلق بالترميمات المطلوب عملها أو التي عملت على الأماكن المقدسة الموجودة في المدينة، وعلى رأسها المدينة المنورة، وتلك هي هذه الوثائق:

حكمٌ صادر بتاريخ 10/ محرم/ 978هـ 14/ يونيو/ 1570م لسنان باشا بأن يتمّ تدارك 60 ألف عملة فلورية من خزينة مصر لترميم طرق المياه بعرفات والحرم النبوي الشريف[374].

حكمٌ صادر بالإحسان على القاضي حسين بسبب الهمّة التي أظهرها في عملية الترميمات التي تمّت بالمسجد النبوي والفراغ منها بشكل سريع عام 983هـ 1575م[375].

وتلك هي نشاطات التّرميم والتزيين التي تمّت بالروضة المطهرة: في 12/ صفر/ 987هـ 10/ 4/ 1597م، تمّ تزيين قبر النبي والمنبر والقبّة بالنجوم، كما تمّ ترميم قبر عثمان، كما أرسل من مصر 10 آلاف عملة فلورية للمدينة لعمل صنابير للمياه تفي باحتياجات الزوار الذين يأتون لزيارة المدينة[376].

وفي 1010هـ 1601م، تمّ تجديد الروضة كلّها، وقد بدأ المعماري بحيرة في هذا العمل في 16/ ربيع الأول/ 1010هـ، وكان يعمل في اليوم الواحد 13 عاملًا و13 أسطى، وكانت يوميّة الأسطوات 147 عملة فلورية، أمّا العمّال 46 عملة فلورية، ولم يكن هذا الرّقم ثابتًا طوال فترة العمل، على سبيل المثال كان يُعطى لسبعةٍ من الأسطوات 28 عملة فلورية في 20/ جمادى الأخرى 1010هـ، وبعدها بثلاثة أيام مُنح هؤلاء الأسطوات 31 عملة فلورية، أمّا في 4/ ربيع الأوّل/ 1010هـ فقد أعطى لثلاثة عشر أسطى 46 عملة فلورية.

وانتهى العملُ في 11/ ربيع الأخر/ 1011هـ وبلغ مجموع ما أخذه الأسطوات والعمّال 174، 80 عملة فلورية، نضيفُ إليها 457، 44 عملة فلورية مصاريفُ للإنشاء، وبذلك يكون المجموع الكلّي 649، 124 عملة فلورية[377].

وفي عام 988هـ 1580م، بدأت علاماتُ الانهيار تظهر على قباب المكان المعروف بالخزينة بالمسجد النبوي، وعلى هذا تحرّكت الدّولة بشكل سريع لعمل التّرميمات اللازمة له[378].

أمّا في عام 993هـ 1585م، تمّ ترميم حوائط المسجد النبوي حتّى باب النساء، وتكلّف هذا العملُ 10 آلاف عملة فلورية[379]، وفي نفس هذا الوقت اكتشف أنّه يجب ترميم قلعة ينبع والأربطة الموجودة حول المدينة، وتكفّلت الدّولة بالمصاريف اللازمة لهذا العمل، وبلغت 97 ألفَ عملة فلورية، وحتى تتمكّن الدّولة من تأدية هذا العمل تمّت إذابة القناديل الذهبية والفضية التي كانت موجودة بمخزن المسجد النبوي[380].

واستمرّت الإنشاءاتُ حتّى عام 1003هـ 1594م، وعمل بها العديدُ من العمّال وفنّاني النّقوش اليدوية، وكان المعماريون يأخذون 10 أردبات من القمح شهريًّا و30 بارة يوميًّا، أمّا الأسطوات والعمّال فكانوا يأخذون 5 أردبات من القمح شهريًّا و12 بارة يوميًّا [381]، وأثناء هذه الأعمال الإنشائية أضيفت الأقسامُ الجديدة للمسجد النبوي، فقد وسّع المسجد النبوي ليستوعب صفّيْن من المصلّين زيادةً على ما كان عليه، وأنشئت دارٌ للحديث ملاصقة للحائط الذي يطلّ على القبلة[382].

ومن دخل وقفِ السّلطان أحمد بقرية باب الرحمة القريبة من المدينة، تمّ بناءُ منزل لإسكان العاملين في الروضة المطهرة.

وفي عام 1080هـ 1669م، كتب استدعاءٌ لشخص يدعى محمد ظافر بأنْ يحضرَ إلى القصر بخصوص هذا المنزل لكونه واقعًا بالقرب من الروضة المطهرة، وأنّه خصّص له[383].

وفي 3/ جمادى الأخرى / 998هـ 12/ 4/ 1589م تقرّر أنْ تؤدّي خزينة مصر 200 ألف عملة فلورية كبدلِ تملّك لأصحاب المنازل المحيطة بالكعبة، والتي ستهدَمُ بهدف تأمين إمكانية التحرّك بسهولة ويُسْر أكثر [384]، ولم يفصّل بالوثيقة أيّة معلومات عن أسماء أصحاب تلك المنازل أو مقدار الأموال التي تلقّوها.

ولم تكنِ التّرميمات والتجديدات مقتصرةً على الأماكن المقدسة والأماكن التّاريخية في المدينة فحسب، ففي 4/ شعبان / 973هـ الموافق 25/ 2/ 1561م طلبَ من أمير أمراء مصر أنْ يخصّص بعض المخصّصات لإنشاء مخزن في أحد أركان الحرم من أجل حفظ صدقات النّذور التي تَردُ إلى المدينة المنورة[385].

3- تزيينُ وإضاءةُ الأماكن المقدّسة الموجودة بالحرمين

أسّست الأوقاف في العهد العثماني بهدف أنْ تتّخذ الأماكن المقدسة بمكّة والمدينة وضعًا يخاطب الرّوح والعين معًا. ولم تكنِ الأبنية التي أنشئت أو رمّمت من جديد على شكلٍ وهيئةٍ بسيطة عادية، بل زيّنت بالزينات الجميلة والثمينة لتعطي راحةً معنوية وطمأنينة داخلية للإنسان.

ويعدّ سيدنا عثمان بن عفان أوّلَ مَن قام بتزيين المسجد النبوي في التاريخ الإسلامي[386]، أمّا الوليد بن عبد الملك الأموي فهو أوّلُ مَن زيّن بيت الله الحرام بالذّهب[387].

وقام السّلطان المملوكي قايتباي بترميم قبر النبي- صلّى الله عليه وسلّم- كلّه، وزيّنه بالزينات القيمة الثمينة، وذلك بسبب الرؤيا التي رآها عام 872هـ 1467م[388].

أمّا في العهد العثماني، فقد تمّ تزيين منبر وقبّة الروضة المطهرة بالنجوم في 12/ شوال/ 987هـ

2/ 12/ 1579م، كما تمّ ترميم قبر سيدنا عثمان، وأرسل 10 آلاف عملة فلورية للإنفاق على تلك

الزينات[389].

ولعلّ أهمّ ما يلفتُ الانتباه في الزينات التي تمّت في الحرمين هي ما قام به السّلطان أحمد الأوّل حيث أحاط الكعبة المشرفة بإطارٍ من ذهب، فكما أوضحنا سابقًا أنّه بسبب الظّروف الطبيعية الموجودة بمكّة فإنّها معرّضة في كلّ وقت لطغيان المياه عليها وتهدّم الأبنية الموجودة بها، ولأنّ حوائط الكعبة تشقّقت تمامًا عام 1021هـ 1612م أراد السّلطان أحمد الأوّل أنْ يقوم بهدمها كليّة ويبنيها من جديد، ولكنّ علماءَ العصر وقفوا ضدّه في هذا المطلب، واقترحوا عليه أنْ يحيط الحوائط المشقّقة بإطار قويّ متين بدلًا من هدمها وبنائها من جديد، فرأى السّلطان أنّ هذا الرأي مناسبٌ

فوافق عليه، وعلى الفور أمر بصنع إطارٍ من الذهب تكلّف صنعُه 80 ألف عملة فلورية ليحيط بأركان الكعبة [390]، وقد حافظ الإطار على الكعبة من الانهيار لمدّة عشرين عامًا تقريبًا، وأزيل الإطارُ من مكانه أثناء بناء البيت من جديد في عهد السّلطان مراد الرابع.

وقد أرسل السّلطان أحمد قنديلًا يسمّى "قنديل الليل" ليعلق على حجرة السّعادة، كان مزيّنًا بمائتي وسبع وعشرين قطعة من الأحجار الثمينة والذهب والياقوت، وكان السّلطان محمد الثّالث قد اشترى هذا القنديل بخمسين ألف عملة فلورية، وتركه لابنه بعد وفاته [391]، أمّا في عام 1024هـ 1615م فقد أهدى للكعبة المعظّمة هديتيْن من الألماس بقيمة 80 ألف عملة فلورية خالصة، وعلقت هذه الهدايا الألماس على الرّوضة المطهرة برأي شريف مكّة[392]، وهذا عمل آخرُ قام به السّلطان أحمد وهو صنعُ منبر من الرخـام الأبيض للمسجد النّبوي[393]).

والحاصلُ أنّ تزيين المسجد النبوي والحفاظ عليه نظيفًا كان عملًا جميلًا استمرّ من عهد النّبي صلّى الله عليه وسلم، حتّى أنّ النّبي سعى بنفسه للحفاظ على نظافة المسجد[394].

وبعد أنْ آلتِ الحجاز للعثمانيّين أرسل السّلطان سليم إلى الحرمين الكثيرَ من وسائل الإضاءة بُغْية إضاءة الأماكن المقدّسة، من ذلك أنّه أرسل 442، 13 أوقيّة من الزيت، و145 أوقية من الشّمع الكافوري، و51 أوقية من شمع الماجيت، و300 درهمًا من زيت الكلي، و6 أوقيات ما يعادل 2500 عودًا من البخور، و10 أوقيات ما يعادل 40 من المناقري، كما أرسل 40 أوقية من شمع الماجيت و110 قنديلًا، و188 أوقية من الزيت؛ لإضاءة قبور عبد الله بن عباس ومحمد بن حنفي، كما أرسل 3000 شمعة بثقل 50 أوقية لإضاءة مقامات المذاهب الأربعة بالحرم الشريف، وأوقف لها 105 ألف قرش[395].

وفي 22/ محرم/ 972هـ 30 / 8/ 1564م أرسل حكم لأمير أمراء مصر بأن يتحمّل من خزينة مصر 12 قنطارًا من الشمع لإضاءة الحرم الشريف في اللّيالي المظلمة، و12 شمعة كبيرة لإضاءة المقامات الأربعة، و10 شمعات لتوضَع في الجوانب الأربعة للحرم، و6 قناطير من الشمع و150 قنطارًا من زيت الزّيتون الصافي[396].

وأرسل السّلطان سليم الثّاني أربعةً من القناديل التي لا مثيل لها، المصنوعة من الذّهب، والمغطّاة بالأحجار الكريمة، وبها من الداخل الأسلاك الذهبية لتعلق على الكعبة [397]، كما أوقف

السّلطان مراد الثّالث للكعبة عام 984هـ 1576م القناديلَ المصنوعة من الذهب والمزيّنة بالأحجار الكريمة كالسابقة[398].

وأوقفَ السّلطان أحمد ثلاثةَ قناديل مزينة بالأحجار الكريمة للأماكن المقدّسة، اثنان منهم للكعبة، والآخر للرّوضة، وفي عام 1024هـ 1615م أمر بتعليق قنديليْن من الألماس على الرّوضة تقدّر قيمتهما بثمانين ألف عملة فلورية [399]، وفي وقفيّة كولونش والده سلطان نجدها قد عيّنت عاملين للقناديل للإضاءة، وحدّدت لهما زوجيْن من الخبز وأربعة بارات يوميًّا.

وقد حدّد محمد أغا- أغا دار السّعادة- في وقفيّته إضاءة القناديل الموجودة على الصّفا والمروة من أواسط شهر رجب وحتّى أواسط شهر محرم كلّ عام، وعيّن لهذه القناديل ستّة رجال، لكلّ واحد منهم 20 قرشًا في اليوم الواحد، وخصّص 450 قرشًا لشراء الزّيت اللازم لتلك القناديل[400].

أمّا جبه جي باشي مصطفى أغا فقد أوقفَ زوائد وقفِه الموجود باستانبول على تحمّل احتياجات الرّوضة المطهرة من شمع وبخور وعطور، واشترط توزيع تلك الأموال الموقوفة على الخدم في الرّوضة المطهرة إذا لم يكنْ هناك احتياج في المواد المذكورة[401]).

4 - أوقافُ التّعليم والصّحة والعمارات والأسبلة

لم تكنِ الخدمات التي قام بها المسلمونَ للحرمين محصورةً في ساحات محدّدة، بل على النّقيض عمل المسلمون على النهوض بتلك البقاع التي تعدّ قلبَ العالم الإسلامي، وجعْلها منطقةً راقية متقدّمة بالخدمات العلمية، وتأسيس دور الشّفاء والعمارات الخيرية، وعملوا على تنفيذ هذه الخدمات في أكمل شكل لها.

أـ مؤسّساتُ التّعليم في الحرمين وأوقافُها

ويُعطينا الرّحّالة التركي أوليا جلبي الذي أدّى فريضة الحجّ عام 1082هـ 1672م معلوماتٍ مفصّلةً عن المؤسّسات التعليمية في مكّة والمدينة والعمارات وما شابهها من آثار، فعلى حسب ما أورده أوليا جلبي بأنّه كان يوجد في مكّة المكرّمة أربعون مدرسةً كبيرة أنشئت في عهد المماليك والعثمانيّين، و150 مكتبًا [402]للأطفال، و40 دارًا للحديث، وفي نفس الوقت كانت أوقاف تلك

المؤسّسات تعمل بشكل جيّد للغاية، وكان الطلاب والمدرسون يتقاضون أجورهم من تلك الأوقاف[403].

ويذكرُ أوليا جلبي أنّ أهل مكّة لا يحبّون الاشتغال بالعلم، وأنه لا يوجد من بينهم علماء أصحاب رسوخ في العلم، وأنّ العلماء المتمكّنين الموجودين بمكّة إنّما هُم مِن بقاع العالم الإسلامي المختلفة، وعلى رأسها الأناضول، وفدوا إلى تلك البقاع واستقرّوا بها[404].

وتلك هي بعضُ المدارس الكبيرة التي ذكرها أوليا جلبي في مكّة: باب السلام، قايتباى، مدارس السّلطان سليمان الأربعة، الفرجية، الجركية، باب زياد، الداودية، البرقوقية، العمرية، أمير الحجية، مدرسة السقاباشي، مدرسة أمير الصرّة، مدرسة شيخ الحرم، مدرسة صقوللو محمد باشا ومدرسة سنان باشا[405].

وقد أمر السّلطان القانوني بناءَ أربع مدارس للمذاهب السّنية الأربعة عام 972هـ 1565م، وكان بكلّ مدرسة منها 15 طالبًا، وعيّن عليهم معيدًا وأستاذًا، وقد خصّص القانوني لكلّ مدرّس سنويًّا خمسين عملة فلورية، ولكلّ مُعيد 4 عملات ذهبية، ولكلّ تلميذ اثنتيْن، أمّا الفرّاشون وسائر الوظائف الأخرى بالمدرسة فخصّص لها سنويًّا عملتين ذهبيتين، وكانت المدرسة المخصّصة للمذهب المالكي هي أكبرَ مدرسةٍ من تلك المدارس التي أسّسها السّلطان القانوني، وأوّل مدرّسٍ بها هو القاضي حسين الحسيني، أمّا إمام المدرسة الشافعية فكان يدعى الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وتلك هي المدارس. أمّا العلوم التي كانت تدرس في تلك المدارس فهي: التفسير والطبّ والأصول في المدرسة الحنفية، الفقه في المدرسة الشافعية، الحديث في المدرسة الحنبلية[406].

ويُفهم من وقفيّة محمد أغا من أغوات دار السّعادة أنّه أمر بتأسيس مدرسة في مكّة، وأنّه اشترط إنفاق 180 سكة حسنة على قرّاء القرآن الكريم بتلك المدرسة، وخمسين سكة حسنة للسبيل الذي أنشأه بجوار المدرسة، و100 سكة حسنة للمصروفات[407].

كما يُفهم من وثيقة أخرى أنّه تمّ تعيين المدرّسين عام 1090هـ 1679م على المدرسة التي أمر الوزير الأعظم محمد باشا بإنشائها في مكة[408].

أمّا المدينة المنورة فإذا ما قارنّاها بمكّة من ناحية التعليم سنجد أنّ المدينة لها حظٌّ وافرٌ من التعليم أكثرَ من مكّة حتّى منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تُعرف على أنّها مركز العلم،

وكان لبقاء النبي فترةً كبيرة من حياته بالمدينة وتأسيس أوّل مؤسّسات علمية في العالم الإسلامي هناك قد جعل المدينة تعرف بين المسلمين على أنّها "دار السنّة"، ومعظمُ العلماء الأوائل الذين نشأت العلوم الإسلامية وتطوّرت على أيديهم إنّما هُم أناس من المدينة عاشوا بها طيلة حياتهم، أو أنّهم أناس من خارج المدينة قضوا فترةً من حياتهم في المكان الذي ولدوا فيه ثمّ انتقلوا للمدينة، وهناك تنفّسوا هواءَ العلم والفكر.

ويذكرُ أوليا جلبي- أيضًا- أنّ عدد المدارس الكبرى في المدينة في عهده بلغت 46 مدرسة، و6 دور للحفاظ، و11 دارًا للحديث، و20 مكتبًا للأطفال، وأنّه كانت تصل للمدينة كلّ عام الصّررُ المخصّصة لتلك المؤسسات التعليمية[409].

ويعدّ رستم باشا بن عبد الرحيم أحدُ الوزراء العظام في عهد السّلطان القانوني؛ أحدَ الأشخاص الذين كانت لهم أوقاف مخصّصة للتعليم في المدينة، وثمّة وقفية موجودة في أرشيف المديرية العامة لأوقاف الصّرّة يفهم من خلالها أنّ الواقف أمر ببناء مدرسةٍ في المدينة، واشترط إرسال دخل قريتي سنديون والمنية الموجودتيْن غرب مصر إلى المدينة المنورة بعد إخراج مصاريف تلك المدرسة منها.

وأوّلُ شرطٍ اشترطه الواقفُ في هذا الوقف متعلّق بالعلوم التي ستدرس، وعلى حسب ما ورد بالوقفيّة أنّه كان يدرس بالمدرسة العلوم المتعلقة بالأصول والفروع إلى جانب العلوم الدّينية الأساسية، وخصّص للعالم الذي يدرّس مادّة الحديث والتفسير 100 سكة حسنة سنويًّا، أمّا ما كان يتقاضاه الطلاب فكان مرتفعًا للغاية حيث بلغ نصفَ ما كان يأخذه المدرس، أمّا الشرط الأخير المتعلق بالمدرسة التي في المدينة المنورة فكان خاصًّا بإدارة الدّخل، حيث يخصّص شخصٌ لا غبار عليه يقوم بمهمّة جباية أموال القريتين المذكورتيْن سابقًا بدون تقصيرٍ أو نقصان مقابل ستة فلوريات سنويًّا.

واشترطَ أنْ يأخذ النّاظر الموظف بإدارة الوقف 10 فلوري، والجابي والمشد ستّة عملات لكلٍّ منهما، وأنْ يرسل الباقي إلى المدينة المنورة بعد إخراج كافّة المصروفات الأخرى (أوائل رجب 967هـ 4/ 1560م)[410].

ومِن الوزراء العِظام- أيضًا- في عهد القانوني صقوللو محمد باشا الذي أمرَ بإنشاء مكتبٍ للأطفال في المدينة، ومدرسةٍ عليّة باسم السّلطان، وكليّة، كما أمرَ بإنشاء ثلاثين حجرة للفقراء حول الجامع والمدرسة المذكورة، وخصّص لكلّ حجرة يوميًّا 3 أقجات [411]، ولم تكنِ الأعمال التي قام بها صقوللو محمد باشا في المَجال التّعليمي محدودةً كالسابقين، فبخلاف أنّه أنشأ مدرسةً جامعة ومكتبًا فقد عيّن أربعة مدرّسين من المدرّسين الأفاضل، وأربعةً من المشايخ اللائقين في الحرم النبوي، واشترط أنْ يشتغل المدرّس الأوّل منهم بتدريس علم الحديث، والثاني بتدريس الفقه الحنفي، والثّالث الشافعي، والرّابع سائر العلوم والفنون الإسلامية الأخرى[412].

وقد قام الوزير محمود باشا- من وزراء عهد الفاتح- بتحقيق مثل هذه الفاعليّات العلمية قبل أنْ يقوم بها صقوللو محمد باشا، فقد اشترط في وقفية الجامع الذي أسّسه في الحيّ الذي يحمل اسمَه في استانبول أنْ يخصّص 150 سكّة من دخل الوقف؛ خمسون منها تُمنح للثّلاثة أشخاص الذين يتولّون تدريس علمَ الحديث في الرّوضة المطهرة، و100 منها للطلاب الذين يدرسون في الرّوضة المطهرة[413].

وقد أمر السّلطان القانوني ببناء مدرسةٍ في المدينة باسم زوجته خورّم سلطان، وخصّص الأوقاف لهذه المدرسة[414].

وقد أمر السّلطان مراد الثّالث ببناء مدرسة وعمارة ومكتب وزاوية وسبيل، وأخيرًا 14 منزلًا؛ لإقامة الموظّفين، والمدرسة المذكورة كانت تستوعب 60 طالبًا، يدرّس بها علماءُ من المذاهب الأربعة [415]، أمّا مدرسة قبة الإسلام فكانت خمسينيّة من ناحية الرتبة، وكان يدرّس بها على أسس المذاهب الأربعة[416].

وقد أمر السّلطان أحمد الأوّل ببناء مدرسة ليدرس بها المنتسبون للمذهب الحنبلي بالقرب من قرية باب الرحمة في المدينة[417].

وبدفاتر الصّرّة المخصّصة للمدينة المنورة توجد تعيينات لبعض المكاتب، وتلك هي المكاتب التي كان يخصّص لها من الصّرّة طبقًا لما ورد بها:

الاسم	المخصصات

المكتب السّلطاني	15 سكة لأبناء المعلم سنان خليفة و12 للطلبة
المكتب الحنفي	25 للمعلّمين، 12 للخلفاء، 30 للعارفين، 150 سكة للأطفال
المكتب الحنفي	12 للمعلّمين، 15 للمعرفين، 60 للأطفال
المكتب المالكي	12 للمعلّمين، 10 للأطفال
مكتب آخر بالحرم	25 للمعلّمين، 15 للأطفال
مكتب إبراهيم أفندي	12 للمعلّمين، 10 للأطفال
مكتب الـ..	12 للمعلّمين، 10 للأطفال
مكتب إلياس	12 للمعلّمين، 10 للأطفال
مكتب المولا علاء الدين	12 للمعلّمين، 10 للأطفال
مكتب الوالده سلطان	12 للمعلّمين، 10 للأطفال
مجموعة 11 مكتبًا	523 سكة [418]

وكما أنّ مخصّصات الأوقاف لم تكنْ تكفي في كافّة المجالات الأخرى كانت- أيضًا- لا تكفي في مجال التعليم، كانت الدّولة تتّخذ الإجراءات العاجلة في هذا الشأن إذا دعتِ الحاجة لإزالة أيّ جانبٍ من جوانب القصور، على سبيل المثال، وطبقًا لما ورد في الحكم المؤرّخ بتاريخ 22/ محرم/ 980هـ 4/ يونيو/ 1572م، أنّه قد أهمل المدرّسون الذين يشتغلون بالتدريس في مدارس المدينة والقدس مهنةَ التّدريس، وبالرغم من ذلك كانوا يتقاضون أجورهم المخصّصة لهم من الأوقاف، وعلى الفور أرسل خبر إلى إداريّي تلك المناطق ليحقّقوا في الأمر وطلبَ منهم إقالة مَن يقصّر في عمله، وجلب مدرّسين جُدد يليقون بمهنة التدريس[419].

وفي عام 1027هـ 1618م قام عبد الله أغا الذي يتولّى مهمّة تولّي الأوقاف المخصّصة للتعليم في مكّة والمدينة بقبض رواتب الخيرات الموجودة بمكة والمدينة كالأسبلة والمدارس والعمارات وغيرها ورواتب الحفّاظ الذين يقرءون جزءًا من القرآن في الأماكن المقدسة بشكل غير لائق وبدون أصول مرعيّة.

وظلم الطّلاب الذين يدرسون في هذه المدارس، وأصحاب الحاجة الذين يؤمنون احتياجاتهم من العمارة، وأهل القرآن الكريم في الأماكن المقدسة، وعندما نقلتْ تلك الحادثة إلى سلطان العصر السّلطان مراد الرّابع؛ أمرَ على الفور بإرسال 642، 110 أقجة إلى مكّة والمدينة في شهر ربيع الأول 1028هـ فبراير 1619م من دخل أوقافِه السّبعة المختلفة؛ وذلك لتفادي هذا القصور الذي حدث في الحرمين[420].

وقفُ التّفسير للحرمين

ومِن الأوقاف التي لفتتِ الانتباهَ في الأوقاف العثمانيّة أيضًا، ذلك النوع الذي كان يُعرف بوقف مجموعةٍ من الكتب النادرة أو القيمة لتكون موقوفة للمنفعة العامّة، وثمّة أمثلة ونماذجُ كثيرة على الوقف خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديّين، كما يمكن مصادفتُه في كلّ العصور، ومن ذلك؛ الوقف الذي أوقفه مغني خوجة جلبي خلال القرن السّادس عشر، وهو عبارة عن كتبٍ في التفسير أوقفها الواقفُ المذكور على الطلّاب الذين يدرسون في مدارس المدينة المنورة راجيًا من ذلك شفاعة الرسول- صلّى الله عليه وسلّم-[421].

ومن الخدماتِ التّعليمية التي تمّت للحرمين، القيام بعملية تجليد الكتب الموجودة بالمدينة، وجعلها في حـالةٍ يمـكن الاستفادة منها، وتخصيص المجلّدين المَهَرة لذلك العمل ودفع أجرتهم[422].

ب- أوقافُ العمارات ودور الشفاء

أسّست العماراتُ الخيرية بهدف تقديم أهمّ الاحتياجات الإنسانية كالغذاء والملبس لذوي الحاجة، أمّا في مكّة والمدينة فكانت تلك العمارات تخدم القادمين لزيارة الأماكن المقدّسة، وتقديم يدِ العون من احتياجات أساسية كغذاء وملبس لذوي الحاجة مِن الذين يعيشون في مكّة أو المدينة، ولهذا

السبب أسّست الأوقاف في الحرمين الكثيرَ من العمارات الخيرية والأربطة التي تؤدّي نفسَ الوظيفة والدور.

وأوّلُ عمارات أنشئتْ في عهد الحرمين في العهد العثماني أنشئت على يدِ القانوني باسم خرم سلطان [423]، ونفس الشّيء مع السّلطان سليم الثاني فقد أمر ببناء عمارة في المدينة وعمارة في مكّة، وأسّس لهما الأوقاف في مصر لتنفق عليهما، واستأجر مركبيْن لإرسال المحاصيل التي يحصل عليها من الأراضي الموقوفة إلى مكّة، وأحسنَ على كلّ فرد من الأفراد العاملين في النقل بأقجتين يوميًّا[424].

أمّا السّلطان مراد الثّالث فقد قرّر إنشاء مطبخ في المدينة المنورة لمواجهة احتياجات الفقراء من الخبز، وطلب من الإداريّين الموجودين بالمدينة تخصيص قطعةِ أرض مناسبة لهذا الغرض، وقد أسّس على هذه القطعة في وقتٍ قصير عمارةً وسبيلًا أطلق عليهما- فيما بعد- التّكية المُراديّة، التي كانت تعرف بأنها أكبرُ العمارات الموجودة في المدينة حتّى ذلك العهد، ثمّ بني عليها- أيضًا- رباط لأهالي قرية قبة، و14 منزلًا لإقامة الخدم، وكان يوجد بتلك العمارة الكثير من الأفران والمخازن والمطابخ والطواحين، وإلى جانب أنها كانت توزّع الخبز المعتاد توزيعُه بشكل يومي، كانت توزّع- أيضًا- الحلوى والأرز يومي الجمعة والسّبت [425]، وقد أوقف السّلطان 20 قرية في مصرَ لتأمين احتياجات هذه العمارة، أمّا الحاصلات السّنوية التي كان يتحصّل عليها من تلك القرى فكانت تبلغ 100، 2 [426]أردبًّا من الحبوب، وخصّص مِن وقف تلك العمارة عملتيْن ذهبيّتين سنويًّا لكلّ عامل يعمل في صنع الخبز أو توزيعه[427].

كما كان المطعم الذي أسّسه محمود أفظا أفندي الأسكداري في المدينة يوزّع الطّعام اليومي على أصحاب الاحتياجات، وطبقًا للعريضة المؤرّخة بتاريخ 11/ محرم/ 1083هـ 9/ 5/ 1672م خصّص لشمسي أبو بكر المقيم في المدينة وأزواجه وأبنائه 40 أقجه يوميًّا من المطعم المذكور[428].

أمّا المستشفيات فكان يعبّر عنها في العهد العثماني باصطلاحات مختلفة كدار الشفا وبيمارخانه.

أمّا أوّل مَن أنشأ مستشفى باسم "خسته خانه" فهي بزم عالم والده سلطان، ولا تزال تلك المستشفى تعمل حتّى اليوم باسم (مستشفى الأوقاف للمغتربين)[429].

وتلك هي الخدماتُ الصّحية التي تحقّقت في الحرمين في العهد الذي نحن بصددِه: دار الشّفاء التي أمر صقوللو محمد باشا بإنشائها عام 984هـ 1576م بجوار الكعبة، وقد خصّصت لها الأوقاف الكافية لتكون المستشفى جاهزة في وقت الحجّ أو في الأوقات الأخرى لاستقبال المرضى والفقراء وعلاجهم على أكمل وجه[430].

وتعدّ العمارة الخيريّة ودار الشّفاء التي أمرت السيدة كلنوش والده سلطان زوجة السّلطان محمد الرّابع؛ من أهمّ العمارات ودور الشفاء التي تأسّست في الحرمين. وقد أوقفت السيدة كلنوش دخلَ الكثير من الأراضي الواقعة بمصر للإنفاق على تلك المؤسّسات، والنّسخةُ الأصلية من وقفيّة السيدة كلنوش والده سلطان مرقومة برقم 143- 144 VGMA بالأرشيف العثماني، وتظهر الوقفية بوضوح تامّ جلَّ الخدمة التي كانت تؤدّى في تلك المؤسّسات الخيرية التي أنشأتها السّيدة كلنوش، ولغة الوقفيّة لغة تركية تفهم بسهولة ما عدا الأقسام التي تحتوي على تركيباتٍ عربية وفارسية.

تبدأ الوقفيّة بالبسملة، وبعد الحمدُ والصّلاة والسّلام على النبي، توجد الآيات الكريمات والأحاديثُ النبوية الشريفة التي توضّح أهمية الوقف وعمل الخير، والضّرر الذي سيراه الممتنع عن عمل الخير وهو مُستطيع[431].

وبالوقفيّة مدحٌ وإطراء طويل فيمَن قام بعمل الأوقاف من المُنْتسبين للأسرة العثمانيّة ورجال الدّولة أصحاب المناصب العليا.

وقد يصل هذا المدح في بعض الوثائق إلى منتصف الوثيقة تقريبًا، وقد تحقّقت معاملة الوقف للسيدة كلنوش والده سلطان بشهادة كلّ من عثمـان أغا ابن عبد المنان وعثمان أغا ابن عبد العزيز، أمّا المتولّي العامّ للوقف فهو خضر أغا ابن موسى، أمّا وكيل الواقفة فهو سليمان أغا ابن فرهاد، وتلك هي الأموال والأبنية الموقوفة طبقًا لما بيّنه سليمان أغا: عمارة، ودار للشّفاء في مكّة، سفينة يطلق عليها "بارجح" وصندليْن يكونان في البحر الأحمر والسّويس لنقل المحاصيل التي سيتمّ الحصول عليها من الأراضي في مصر إلى ميناء جدّة، عنابر للحفاظ على أموال الوقف في السّويس وجدّة وبولاق، خمسة أوعية كبيرة لطهي الطعام في العمارة، فرن بجوار العمارة لعمل الخبز، وعاء كبير لتخمير العجين، 30 قطعة من المعالق مصنوعة من النحاس طاحونة لطحن القمح وسائر الحبوب الأخرى[432].

وتلك هي الأراضي الموجودة في مصر، والتي أوقفتها السيدة كلنوش والدة سلطان لتأمين كلّ احتياجات الوقف، ومساحة تلك الأراضي:

اسم الأرض	المساحة
قرى بيرما والمنية وأبو الطماس	078، 4 فدان وقيراطين.
قرية نتابة	215، 1 فدان 15،5 قيراطًا.
قرية ملوى	545، 1 فدانًا، 18 قيراطًا، 0،5 حبة
قرية كفر المعصورة	299، 2 فدانًا، 5،5 قيراطًا، 1 حبة.
قرية الريرمون (الديدمون)	889 فدانًا
جزيرة الأيلولة	455،1 فدانًا، 22 قيراطًا.
جزيرة المؤنسة وجرف البراغيث	67 فدانًا، 3 قراريط، 2 حبة.
قرية قلاندون	15 فدانًا، 2،5 قيراط، 1 حبة، 2 قطعة.
منشآت الغوري المغالقة	544،1 فدانًا، 2 قيراط، 2 حبة.
قرية أم القمص	520، 1 فدانًا، 21 قيراطًا.
البركة وخليج الذهب	393، 1فدانًا، قيراطان.
قرية فلبة	541، 1 فدانًا، 22،5 قيراطًا.
جزيرة سكرة	419 فدانًا، 17 قيراطًا.

جرف الهجرة	11 فدانًا، 5،1 قيراط.
جرف السندون	----
جزيرة المستجدة	60 فدانًا.

القائمون بالوظائف في دار الشّفاء التي أسّستها السيدة كلنوش والده سلطان، ورواتبهم:

الوظيفة	العدد	الراتب
الناظر	1	12 زوج خبز و24 عملة
رئيس الأطباء	1	10 زوج خبز و30 عملة
الطبيب الثاني	1	5 زوج خبز و10 عملات
الجراح	1	8 زوج خبز و20 عملة
الجراح الثاني	1	4 زوج خبز و10 عملات
الكاتب	1	6 زوج خبز و 12 عملة
الكاتب الثاني	1	6 زوج خبز و 10 عملات
كاتب اللغة العربية	1	5 زوج خبز و8 عملات
البواب	1	2 زوج خبز و4 عملات
رئيس البوابيين	1	2 زوج خبز و4 عملات

الفراش	3	2 زوج خبز و4 عملات
رئيس عمال النظافة	1	2 زوج خبز و4 عملات
عمال المفارش	8	2 زوج خبز و4 عملات
رئيس عمال المفارش	1	2 زوج خبز و4 عملات
مغسل الموتى	2	4 زوج خبز و4 عملات
رئيس المغسلين	1	2 زوج خبز و4 عملات
عامل القناديل	2	2 زوج خبز و4 عملات
المجموع	27	76 زوج خبز ويومي 160 عملة[433].

أمّا الأثر الثّاني الذي أنشأته السيدة كلنوش والده سلطان في مكّة المكرمة فهو العمارةُ التي أسّستها بجوار دار الشفاء، وهذا بيان بعدد الموظفين بها ورواتبهم:

الوظيفة	العدد	الراتب
الشيخ	1	5 زوج خبز، 15 باره
موزع الخبز	1	1 زوج خبز، 3 باره
الذي يقوم بالدعاء	1	4 زوج خبز، 8 باره
وكيل الخرج	1	4 زوج خبز، 8 باره

الفران	1	4 زوج خبز،8 باره
المخزنجي	1	2 زوج خبز،4باره
بواب العمارة	2	2 زوج خبز،4باره
رئيس بوابي العمارة	1	2 زوج خبز،4باره
بواب باب العمارة	1	2 زوج خبز،4باره
رئيس عمال النظافة	1	2 زوج خبز،7 باره
رئيس الطهاة	1	3 زوج خبز،5باره
وكيل الطهاة	1	2 زوج خبز،5باره
طباخ الحساء	1	2 زوج خبز،5باره
معاوني الطباخ	4	2 زوج خبز،4باره
رئيس منظفي المطبخ	2	2 زوج خبز،3باره
معاونو موزع الطعام	2	2 زوج خبز،4باره
مملح الطعام	2	2 زوج خبز،5باره
منظف القمح	5	2 زوج خبز،2باره
رئيس المنظفين	3	2 زوج خبز،4باره
الدشاش	1	2 زوج خبز،2باره

عجان الدقيق	2	2 زوج خبز،2باره
وزان القمح	3	2 زوج خبز،2باره
جامع القمامة	1	2 زوج خبز،6باره
راعي الخيول	1	2 زوج خبز،6 باره
حامل القمح	1	2 زوج خبز،4باره
صانع الخبز	6	3 زوج خبز،3باره
عامل الطاحونة	1	2 زوج خبز،5باره
القائم على مجرى المياه	1	2 زوج خبز،4باره
رئيس عمال جدة	2	3 زوج خبز،3باره
عامل المخزن في جدة	1	500 باره
البواب في جدة	1	2 زوج خبز،
القنطارجي في مكة	1	2 زوج خبز،
الصراف في مكة	1	2 زوج خبز،
السقاء الموجود بالعمارة	1	2 زوج خبز،

وبذلك يكون المجموع 54 وظيفة، عددهم 24، يومياتهم 84 زوج خبز، 1.166 بارة[434].

وخصّص مبلغ 5000 عملة لشراء 264 أردبًّا من الأرز، و30 قنطارًا من العسل، و90 قنطارًا بصل، وأربعة قناطير من زيت بذر القطان، وعشرين حملًا من الأموال تخصّص لشراء 12 حملًا من الحطب ليستخدم في إشعال الأفران و7500 عملة لشراء ستّة خيول لتستخدم في الطّواحين التي تعمل بالخيول، و10 آلاف عملة سنويًّا للطواحين التي تطحن الدّقيق في العمارة، وذلك كله ليطهى الطّعام في العمارة ويوزّع على الفقراء[435]، وقد اشترطت الواقفة السيدة كلنوش أنْ يستخرج أولًا من الطعام المذكور حصّة المرضى الموجودين بدار الشفاء، ثمّ بعد ذلك يوزّع الباقي على ذوي الحاجة[436].

الشّروط المتعلّقة بنقل الأرزاق التي سيتمّ الحصول عليها من الأراضي المذْكورة في الوقفية، والتي سيتمّ نقلها إلى الحرمين:

العمل الذي سيتمّ	المال المخصّص له
الصناديق والشمع والمستلزمات الأخرى للصرّة	410 بارة
مصاريف النقل من بولاق إلى بندر السويس	685، 5 بارة
نقل الأغراض الأخرى	680، 13 بارة
نقل محصول قرية ملوى والقرى الأخرى إلى بولاق	038، 44 بارة
النقل من ميناء بولاق إلى مخازن بولاق	810، 2 بارة
الإبل التي ستؤجر لنقل الصرّة	400، 2 بارة
الاحتياجات العاجلة	5000 بارة
لإصلاح مخازن بولاق والسويس وجدة	6000 بارة
مصاريف الحسبة التي ستتمّ في القاهرة ومصر	5000 بارة

وبالتّالي سيكون مجموع تلك المصاريف السنوية 523، 80 بارة. ولعل هذا الرقم فقط يكون كافيًا لإدراك عظمة وكبَرِ الوقف الذي أسّسته السيدة كلنوش والده سلطان للحرمين.

أمّا الأشياء والأدوية المخصّصة للمرضى الذين يرقدون في دار الشّفاء فهي كالآتي:

لشراء وسائد وألحفة ومفارش للمرضى	7300 بارة
لشراء الأدوية المعجونية والشراب	20 ألف بارة
لشراء المراهم وما شابهها للجرحى	10 آلاف بارة
150 حصير للفرش على الأرض	2400 بارة
لتكفين وتجهيز الموتى في دار الشفاء	10 آلاف بارة
ويكون مجموعه بذلك	49700 بارة

الشّروط الأخرى الموضوعة في الوقفية للاحتياجات الأخرى في العمارة ودار الشّفاء:

لشراء القناديل ومستلزماتها	1500 بارة
مستلزمات الفرن والمطبخ في العمارة	5000 بارة
مصاريف الحطب في الطبخ والفرن	86400 بارة
مصاريف ستة خيول للطاحونة التي تعمل بالخيول	7200 بارة
لحفظ المواد التي ستطحن في الطاحونة	10 آلاف بارة
مصاريف النقل من جدة إلى مكّة	101480 بارة

وبذلك يكون مجموعه	211580 بارة.

كما اشترطت الواقفة في الوقفية تحميل 1600 حمل من أرزاق الوقف على السفينة المخصّصة للنقل من السويس إلى جدّة، ويتم توزيع هذه الكمية على ما يلي:

لشريف مكّة	755 حملًا
لناظر الوقف ومتوليه	34 حملًا
للحرمين الشريفين تبرّكًا	3 أحمال
للكاتب	12 حملًا
للخدم الموجودين في السويس	12 حملًا
للطوائف الموجودة في السفن	254 حملًا.

وبذلك سيكون مجموع مقدار الأرزاق التي ستصل إلى مكّة بعد استخراج هذه المصاريف 2442 أردبًّا، يخصّص منها 1800 أردبًّا لمكّة المكرمة، واشترطت في الوقفية أنْ يؤخذ 3 أردب قمح من تلك الكمية لتخبز وتوزّع على المرضى والفقراء الموجودين بدار الشّفاء، واثنين أردب لتطهى كحساء في العمارة.

أمّا التفرّعات المتعلقة بالطعام الذي يطهى ويوزّع في العمارة فهو كالآتي:

يؤخذ من المائتين ستة وأربعين أردبًّا من قمح التي تصل لمكّة نصف أردب يوميًّا ويطهى كحساء للمرضى والفقراء، كما يطهى أردب ونصف أرز ليلة الجمعة من كلّ أسبوع لتوزّع على المرضى والفقراء، وطلبت الواقفة عدم إعطاء أي حصة أثناء توزيع الطعام لمَن ليسوا إداريّين في الوقف[437].

وأوضحت الواقفة في الوقفيّة أنّ مجموع ما يتحصل من أراضي الوقف بخلاف الحبوب 690985 بارة، يرسل منه 340360 بارة كصرة لمكة للإنفاق على الأشياء الضرورية، كما

يخصّص 233247 باره لتنفق على المصروفات الضّرورية للوقف في مصر، أمّا المبلغ المتبقي وهو 102686 بارة فيحفظ ليضَمّ لدخل السّنة التالية[438].

وطلبت الواقفة أنْ يتمّ توزيع محصول الأوقاف بالشكل المناسب على يد قاضي مكّة وشريفها وسائر الحكّام الآخرين، وعدم السّماح باستثمار محاصيل تلك الأوقاف، وأنّه في حالة عدم التمكّن من إرسالها إلى أماكنها المحدّدة لأيّ سببٍ ما فيجب حينذاك توزيعـها على الفقراء[439].

اشترطت- أيضًا- في الوقف تخصيص مبلغ 21000 بارة وأربعين أردبًّا من القمح لأغا دار السّعادة يوسف أغا بن عبد المنان الذي عهد إليه بإدارة هذا الوقف، كما عهد إليه بإدارة أوقاف الحرمين الأخرى؛ وذلك نظير خدمته للوقف.

وخصّص لباقي إداريي الوقف ما يلي:

الوظيفة	العدد	المكان	الراتب
الناظر والمتولي	1	استانبول	21ألف بارة و40 أردبًا من القمح
الكاتب الرومى	1	مصر	3600 بارة، و24 أردبًا من القمح
الكاتب العربي	1	مصر	3600 بارة و24 أردبًا من القمح
الشاهد	2		880 بارة و12 أردبًا من القمح
موقع الوقف	1	مصر	2500 بارة و12 أردبًا من القمح
الصراف	1		1800 بارة و12 أردبًا من القمح
الجابي	1		3600 بارة و12 أردبًا من القمح
المشد	5		1800 بارة و8 أردبًا من القمح
مخزنجي العنبر	1		2160 بارة و12 أردبًا من القمح

بواب العنبر	1	بولاق	2160 بارة و12 أردبًا من القمح
القواس	12		4320 بارة و36 أردبًا من القمح
مشد العنبر	1	السويس	2520 بارة و12 أردبًا من القمح
الكاتب العربي	1	السويس	2160 بارة و12 أردبًا من القمح
المخزنجي	1	السويس	450 بارة و6 أردب من القمح
بواب العنبر	1	السويس	500 بارة و6 أردب من القمح

وبذلك يكون مجموع الوظائف 15 وظيفة مختلفة بها 31 شخصًا، لهم سنويًّا 53050 باره و228 أردبًّا من القمح[440].

أمّا القسم الذي يشمل الجُمل الدعائية والتّاريخ من الوقفية فهو على ما يلي:

"فمَن بدلّه بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه إنّ الله سميع عليم"[441] ، ومَن غيّره بعد ما علمه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين" "وأجر الواقفة على الملك الجواد المعين " إنّه يجزي المتصدّقات والمتصدقين ولا يضيع أجر العاملين" "جرى ذلك وحرّر في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة تسعين وألف من هجرة مَن له نهاية غرف الشرف " (27/ رمضان/ 1090هـ 2/ 11/ 1679م)[442].

جـ - أوقافُ النّظافة والحمامات

أنشأ وأوقفَ الواقفون العثمانيون الحماماتِ التي هي مِن عناصر الحضارة الإسلامية في مكّة والمدينة، وذلك لطهارة ونظافة أهالي البلدتين أو الزوار الذين يفدون إليهما، وهذا إلى جانب أبنية الأوقاف الأخرى التي أسّسوها، والتي ذكرناها سابقًا كالمدارس والمكاتب ودور الشفاء.

ولا مثيل لحمّام صقوللو محمد باشا وحمـام سنـان باشا في مكّة من ناحية الكبر والفخامة[443].

وبخلاف هذيْن الحمّاميْن يوجد 145 حمّامًا آخر تمّ إنشاؤهم في النزل وفي الأماكن التي ينزل بها المسافرون إلى مكّة أو المدينة[444]، وكانت هذه الحمّامات تدار من دخل الأوقاف كبقية

الآثار الأخرى.

وبخلاف الحمّامات الموجودة بداخل العمارات الخيرية الموجودة بالمدينة المنورة، يلفت الانتباه حمّام السّلطان مراد الثالث.

أمّا بالنسبة للنّظافة فقد خصّص محمد أغا من أغوات دار السّعادة 200 قرشًا من حاصلات المزارع والقرى التي أوقفها، واشترط أنْ يعطى هذا المبلغ لأصحاب القبيلة التي تقيم بالقرب من الموقع المسمّى المعلا بمعرفة أمير الحجّ المصري والشّامي، وذلك مقابل أنْ تقوم تلك القبيلة بتنظيف وتطهير مكّة المكرمة وما حولها من القاذورات والدّواب النافقة وفضلات الدّواب التي تضرّ بالحجّاج[445].

ومِن خلال هذه الوقفيّة التي أوقفها أحدُ أغوات القصر العثماني قبل أربعمائة عام تقريبًا يتّضح لنا أنّه ضرب نموذجًا رائعًا للحفاظ على البيئة التي يُنادى بها في الوقت الحالي، وهو- أيضًا- أبرز مثلٍ على أنّ العثمانيّين وكلّ المسلمين إنما فعلوا ذلك ابتغاء مرضاة الله فقط، وأنّ ما قاموا به إنّما هو نابع من الأخلاق والتربية التي تربّوا عليها من الإسلام.

وفي عام 999هـ 1591م امتلأت المراحيضُ التي أسّسها السّلطان قايتباى والسلطان الغوري قبل ذلك، فنتجَ عن ذلك انتشارُ الروائح الكريهة، ولأنّ هذه الروائح الكريهة امتدت حتّى باب السّلام وباب شيبة فقد صدر حكمٌ لشريف مكّة وطلبَ منه أنْ يقوم بتطهير تلك المراحيض على الفور من الأموال التي تجمع من متولّي الأوقاف، وأن يتّخذ التّدابير التي تعوق ظهور مثل تلك القاذورات مرّة أخرى[446]

وفي العام **التّالي لذلك كانت بيوتُ الخلاء التي في مكّة وما** حولها قد أشرفت على الخراب فتمّ ترميمها كلّها قبل موسم **الحج، وورد بالحكم أنه إذا لم تكفِ أموال ومخصّصات الأوقاف** لذلك فلقاضي مكّة أنْ يأخذ من أموال النّذور والصدقات[447].

القسْمُ الثّاني

الأوقافُ المخصّصة لمَن يعيشون بالحرمين

أولا : أوقافُ الفقراء

كان نصيبُ الفقراء من الأوقاف المخصّصة للحرمين نصيبًا عظيمًا، فقد أوضح بعضُ الواقفين في وقفيّاتهم أماكن صرف المخصّصات التي خصّصوها للحرمين، وكذا نوعها وشكل إدارتها، وبعضهم استخدم في وقفيّاته الألفاظ التي تدلّ على التّعميم كأن يقول "ينفق هذا الوقف على فقراء الحرمين"، أو "أهالي الحرمين"، أو "الفقراء الذين يعيشون في مكّة والمدينة"، ويتمّ تعيين مخصّصات هذا الوقف بعد وصوله إلى مكانه المحدّد عن طريق الصّرّة بمعرفة موظّفي الصّرّة والإداريين المحليّين للمنطقة التي سيوزّع بها الوقف، وتلك هي الأوقاف التي كانت لها مكانة مهمّة بين الخدمات المقدّمة للحرمين كقيمة مادية ومعنوية:

فقد أوقف السّلطان مراد الثّاني 3500 فلوريًّا لفقراء مكّة، ومثلها لفقراء المدينة، و200 فلوريًّا لفقراء القدس من دخل أمواله الموجودة بصاروخان في مغنيسيا (في تركيا)[448] ، والمخصّصات التي كانت تخصّص لفقراء القدس كانت نادرةً بالنسبة لخدمات الأوقاف، فالأغلبُ الأعمّ أنّ تلك المخصّصات كانت تذهب لفقراء مكّة والمدينة.

وأوقف محمود جلبي بن قاضي عسكر لفقراء الحرمين عام 868هـ 1464م دخلَ قرية القاضي التابعة لسنجق جيمن، وتبلغ وارداتها السنوية 4572 أقجه، ومن الواضح أنّ أوّل قرية أوقفت للحرمين من غرب الرّومللي كانت تعود لعهد السّلطان القانوني، حيث يستنبط من وقفيّتها أنّها أوقفت للمدينة فقط[449].

كما خصّص الشراب دار حمزة بك أحد ولاة إيالة الروم عام 1481م 886هـ، ربع دخل قرى مشة لي وآق بردي وباليقلى الذين كانوا ملكًا له ويقعون في ناحية (أركنه) لفقراء المدينة[450].

وفي نفس هذا العهد أوقف شخصٌ يُدعى محمود بن إسفنديار على المدينة المنورة قرى قايا جيق وآق الآن وحلاج مود وجكردكلى وأقجه الآن وباليق يولو، وهي قرى تابعة لديموطيقا في تراقيا الغربية، وجزء من إيرادات مزرعته الواقعة بكوي نوكلو، وقد بلغ دخل تلك القرى عام 1572م 980هـ 94314 أقجه[451].

وخصّص السّلطان بايزيد الثّاني 400 دينارًا أشرفيًّا لفقراء المدينة، وكذا الأموال التي تكفي لإطعام فقراء الحرم الشريف، وذلك من وقفه المؤرّخ بتاريخ شهر جمادى الأخرى 901هـ فبراير 1496م[452].

كما أوقف السّلطان بايزيد الثّاني وقفًا باسم زوجته "كلبهار خاتون" والدة السّلطان سليم الأوّل، يقضي هذا الوقف بإرسال 1000 فلوريّ لفقراء المدينة سنويًّا، وقد بلغ دخلُ هذا الوقف عام 1590م 998هـ 75 ألف فلوري[453].

وخصّصت سلجوق سلطان إحدى بنات السّلطان بايزيد الثّاني مبلغ 1800 أقجه لتوزّع على فقراء المدينة سنويًّا من وقف المدرسة الواقعة في سرز المؤرخ بتاريخ رجب 914هـ نوفمبر 1508م[454]، واشترطت السيدة "شهزاده شاه خاتون"[455] ابنة السّلطان بايذير الثّاني وزوجة نصوح بك أنْ يخصّص دخل إحدى القرى التي تملّكتها في ديماطوقة وهي قرى (قورت أوغلو ويعقوب وبيوك أتلا أغاجي وأومور) لفقراء المدينة المنورة[456].

كما خصّص سنان يوسف أغا من علماء وكبار رجال الدّولة في عهد بايزيد الثّاني مبلغ 100 ألف أقجه من ثروته وأوقافه في استانبول لخدمات مكّة ومثلها لخدمات المدينة[457].

وأوقف إياس أغا الخادم عام 890هـ 1485م دخل قرية قور محمود التابعة لديما طوقه لفقراء المدينة المنورة[458].

كما اشترط مولانا علاء الدين بن علي في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ أوائل شعبان 926هـ يوليو 1520م أنْ يرسل الدخل المتحصّل من إيجار ثلاثة منازل وحانوتيْن له في حي سمان ويران باستانبول لفقراء مكّة، وذلك بمعرفة متولٍّ مشهود له بالأمانة[459].

وقد ذكرنا قبل ذلك الأوقاف المختلفة التي أوقفها السّلطان سليمان القانوني في الحرمين، وأنّه أحسن على فقراء مكّة والمدينة، وأنّ تلك الأوقاف كانت بمثابة الأساس لكلّ أوقاف الحرمين فيما بعد. وأوّل تلك الأوقاف الصّدقةُ التي كانت تسمّى "الصّدقة الكثيرة"، حيث أمر السّلطان بأنْ توضع أموال تلك الصّدقة أمام الكعبة، ويأخذ منها ذوو الحاجة [460]، أمّا الصّدقة الثانية فكانت عبارة عن 10 آلاف أردبٍّ من الحبوب لمكّة و4 آلاف أردبٍّ للمدينة، بخلاف وقف الدشيشة[461].

وأرسلت السيدة مهرماه سلطان 2500 فلوريًّا خالصة العيار لمكّة، ومثلها للمدينة، واشترطت أنْ يكون ذلك بمعرفة وبواسطة أمين الصّرة، وطلبت أنْ توزّع تلك الأموال على القضاة وأئمّة المذاهب الأربعة، والفقراء[462]، واشترطت السيدة مهرماه- أيضًا- في وقفيّة أخرى لها إرسال 3000 سكة من دخل الأراضي التي أوقفتها من أملاكها في حيّ تتار بازاري، ويكون ذلك- أيضًا- بمعرفة أمين الصّرّة واشترطت توزيع تلك الأموال على فقراء المدينة ومكة وذوي الحاجة والمساكين[463].

أمّا "سميز علي باشا" الهرسكي الأصل الذي عيّن صدرًا أعظم عام 1561م 968هـ، فقد خصّص مبلغًا محدّدًا من الوقف الذي أسّسه قبل عامين من وفاته ليوزّع على فقراء مكّة والمدينة، وأوّل شروط تلك الوقفية وهو شرطٌ يلفت الانتباه، بل إنّه يعدّ خاصيّة غير موجودة في أيّ وقفية أخرى، وهي أنّه اشترط تخصيص 500 ذهبًا لتجهيز وتكفين الموتى الفقراء في مكّة والمدينة الذين تصعب عمل جنازاتهم بسبب فقرهم[464]، وهذا الشّرط يعدّ مؤشّرًا هامًّا يُظهر مدى الارتباط الكبير الذي أظهره رجالُ الدّولة العثمانيّة للحرمين.

وخصّص السّلطان مراد الثالث 6000 سكة لفقراء الحرمين من وقفه الذي أسّسه في أدرنة[465]، كما كان يرسل الهدايا المختلفة في شهر رمضان من كلّ عام لتوزّع على 500 فقير من فقراء مكّة المكرمة[466].

أمّا سنان باشا فاتح اليمن فقد خصّص 40 ألف أقجه لتوزّع على فقراء مكّة والمدينة، وخصّص مبلغ ألفي أقجه لكلّ قاضٍ من قضاة مكّة والمدينة وشيخي الحرمين الذين سيضطلعون بتوزيع تلك الأموال[467].

وأوقف برتو محمد باشا 10 آلاف أقجه للحرمين من وقفيته الكلية المؤرخة بتاريخ أوائل محرم عام 980هـ مايو 1572م، واشترط فيها أنْ توزّع تلك الأموال على أفقر الفقراء وأعجز العاجزين السّاكنين والمتوطنين في أستانة السعادة العلية بمعرفة قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم، وأكّد على عدم منح مَن ليس فقيرًا مِن تلك الأموال[468].

وطبقًا للوقف الذي أسّسته ماه الدوران خاتون ابنة عبد الله عام 996هـ 1588م، فقد اشترطت أنْ يكون منزلُها الواقع بالقرب من جامع إبراهيم باشا بحي بالي أغا لأبنائها من بعدها ثمّ

لفقراء المدينة بعد فناء أولادها[469].

ولأنّه قد أرسل إلى المدينة 720 أقجه عام 1042هـ 1688م[470]، فإن هذا يدلّ على أنّ أولاد الواقفة المذكورة انقرضوا قبلَ هذا التاريخ، أمّا دفتر الصرّة الهمايونية المرقوم برقم 411 فيسجّل أنّ هذا الرقم كان 9 سكات حسنة[471].

كما خصّص غضنفر أغا- وهو من أغوات دار السعادة- ربعَ محصول جزيرة كسندره التي ملّكها له السّلطان مراد الثالث ليوزّع على فقراء الحرمين الشّريفين (أواخر جمادى الأولى 1004هـ يناير 1596م)[472].

واشترط خرم جاوش بن عبد المنان في أواخر ذي الحجة عام 1013هـ مايو 1605م أنْ يؤجّر منزله الواقع بحي صوغان أغا بحي بايزيد باستانبول بعد وفاته وأنْ يخصّص مبلغ الإجارة على روح شخصٍ مدفون بفناء الجامع المجاور لمنزله، ولكنّه غيّر شرط الوقفية حالَ حياته ليكون شرطها أنْ يرسل مبلغ 2000 أقجه من إيجار المنزل سنويًّا للمدينة المنورة، وأنْ يوزّع هذا المبلغ على الفقراء بمعرفة الناظر هناك[473].

وأوقفت السيدة هاني خاتون في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ أوائل رمضان من عام 1014هـ يناير 1606م منزلها البالغ مساحته 780 ذراعًا بحي ديوانه علي بك بايزيد باستانبول، ليؤجّر، وأنْ يوزّع ناتج إجارته على الفقراء في المدينة المنورة[474]، وبلغ دخل هذا الوقف عام 1077هـ 1666م 2000أقجه[475].

أمّا قباد جاوش فقد أوضح في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ ربيع الأول 1018هـ يونيو 1609م أنّه سيتمّ تشغيل ثروته البالغة 40 ألف أقجه، وأن يتمّ تأجير منازله الموجودة في استانبول، وسيقسّم المبلغ المتحصل إلى ثلاثة أقسام؛ الأوّل لمكّة والثّاني للمدينة والثّالث ليوزّع على الفقراء والصالحين في استانبول[476].

أمّا مراد باشا بن عبد الرحمن الذي اشتغل واليًا على الشّام وصدرًا أعظم فقد أوقفَ في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ 28 رمضان 1018هـ 25/ ديسمبر 1609م 53 حانوتًا كبيرًا و8 حوانيت صغيرة بها حرفٌ مختلفة في سوق باب البريد بالشام، و9 حوانيت بالمنطقة المعروفة بباب العربي بالشّام أيضًا، وكذا الكثير من الأموال غير المنقولة الموجودة في نواحي الشّام على فقراء الحرمين

الشّريفين وذوي الحاجة وأبناء السبيل ابتغاءَ مرضاة الله تعالى وسعادة رسوله الكريم[477]، وبلغ مقدار ما كان يتحصّل لفقراء المدينة فقط مِن وقف هذا الباشا 24572 أقجه[478].

أمّا اسكندر أوغلو بايزيد أحدُ أبناء بايزيد الذي اشتغل في مناصب هامّة في مرعش، والذي كانت له أوقافٌ كثيرة فقد خصّص في وقفيّته المؤرّخة بتاريخ أواسط ذي الحجة 1072هـ ديسمبر 1618م 16 فلوري من دخل الطاحونة الموجودة بحي ديواي علي بمرعش، 12 منها للشّيخ الذي يخدم في الروضة المطهرة، وثلاثة من الأربعة المتبقّية لشراء زيت الزيتون، أمّا العملة الذهبية الباقية فتقسم وتوزّع على فقراء المدينة، ولا يزال هذا الوقف يعمل حتّى الآن، وقد بلغ حجم إنفاقه عام 1995م 494 مليون و918 ألف ليرة تركية[479].

أمّا صفر أغا الذي كان أمينًا للصّرة لسنوات طويلة فقد وهب كلّ ثروته وممتلكاته عدا منزله الموجود باسكدار لفقراء المدينة المنورة، وذلك في غرة شعبان 1033هـ مايو 1626م[480]، وكان الدخل العامّ لكلّ وقفه قد بلغ 20240 أقجه، كان يصل إلى المدينة منها على حسب شرط الواقف 15900أقجه[481].

كما خصّص بيرام كتخدا ثلاثَ سكّات لكلّ فردٍ من الفقراء الموجودين في الحرمين سنويًّا من الدّخل المتحصّل من إيجار منزله الموجود بحي يني محلّة باستانبول، وذلك في أوائل جمادى الأولى 1038هـ يناير 1629م[482].

وتشتمل وقفيّة بيرام كتخدا هذه على خاصية يندر تصادفُها بين الوقْفيّات من حيث الوقف على الحرمين؛ لأنّ معظم الواقفين من هذا النّوع يجعلون ما أوقفوه وقفًا للحرمين بعد انقراض أولادهم، ولكنّ هذا الواقف اشترط إرسال ثلاث سكات حسنة من بادئ الوقف.

أمّا وقفية سروآزاد ابنة عبد الله المؤرّخة بتاريخ ذي القعدة 1044هـ أبريل 1653م، فقد اشترطت بها أنْ تكون الأربعة منازل المملوكة لها لأولادها من بعدها، ثمّ لفقراء المدينة بعد فناء أبنائها[483]، وقد أُرسل مِن وقف سروآزاد لفقراء المدينة عام 1042هـ 1633م 304 سكة[484]، أمّا في عام 1077هـ 1666م فأرسل ستين قرشًا أسديًّا[485].

كما أوقفت السيدة خورشيد خاتون في 12/ شعبان/ 1047هـ 30/12/ 1637م منزلَها الواقع بحي نيشانجي محمد باشا باستانبول لأولادها، ومن بعدهم لفقراء المدينة[486]، ومنذ عام 1052هـ

1642م أصبحت مخصّصات هذه الوقفيّة المرسلة للحرمين ترسَل بالتقسيط، وبالرّغم من تخصيص الوقفية لفقراء المدينة إلّا أنّه في بعض الأحيان كان يرسل مِن دخل هذا الوقف لفقراء مكّة، على سبيل المثال أرسلت 20 سكة حسنة إلى فقراء مكّة مِن هذا الوقف في 1100هـ 1689م[487].

كما أوقف محمد باشا الباش دفتردار في 20/ ذي الحجة/ 1065هـ 21/ 9/ 1655م منزله وحوانيته ومزرعته والكثير من أراضيه الواقعة بجزيرة كريت لتشغيل الجامع والعمارة والمدرسة التي أمر بإنشائهم، واشترط محمد باشا في وقفيّته أنْ ينفق على المدرسة والجامع والعمارة المذكورين أولًا، ثمّ يرسل الزيادة ليوزّع على فقراء المدينة المنورة سنويًّا بمعرفة شخص معتمَد وأمين[488]، ولا يوجد مقدارٌ ثابت للأموال المرسَلة للحرمين في مثل هذه الأوقاف، وذلك لأنّ الدخل الضّروري للأوقاف لم يكن ثابتًا في كلّ وقت.

لذا فإنّ زوائد الوقف التي ترتفع في إحدى السّنوات تنخفض جدًّا بعد إخراج المصروفات غير المنتظرة، بل إنّه أحيانًا لم يعط أي زيادات قط.

وقد اشترط محمد باشا كوبورلو في 18/ رجب/ 1070هـ 30/ 3/ 1660م إرسال 1000 فلوري من وقفِه بالرّومللي والأناضول وسيواس وحلب، وأن ترسل إلى فقراء الحرمين بمعرفة ناظر الوقف وأمين الصّرة[489]، كما يوجد تسجيل آخر في مصادر الدخل لمحمد باشا كوبرلو المؤرّخة بتاريخ أواخر ذي الحجة 1070هـ سبتمبر 1660م بأنّه اشترط توزيع 4 آلاف فلوري على فقراء الحرمين[490]، وبذلك أصبح مجموع ما يرسَل من وقف محمد باشا 5 آلاف فلوري، وقد أسّس فاضل مصطفى باشا أحدُ أفراد أسرة كوبرلو وقفًا لنفس الغرض، فطبقًا لما ورد بوقفيته المؤرّخة بتاريخ 25 / صفر/ 1089هـ 18/4/ 1678م أنه اشترط إرسال 500 فلوري لمكّة، ومثلها للمدينة؛ مِن دخل إيجار منازله وحوانيته الموجودة بقانديه وبلغراد وإزمير، كما خصّص الزّائد عن ذلك لوالدته السيدة عائشة خاتون، أمّا بعد وفاتها فيصير نصفُ ما كان مخصّصًا لها للحرمين، أي أنّه طلب زيادة المبلغ المرسَل إلى الحرمين 1000عملة أخرى[491].

أمّا همايون خاتون فقد أوقفتْ في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ 19/ محرم/ 1072هـ 14/ 8/ 1661م منزلها الواقع بحي غالطة شاهسوار باستانبول لأولادها ثمّ لمكّة المكرمة من بعد أولادها الذين حافظوا على المنزل الذي كانت مساحته 343 ذراعًا ونصف، وذا طابقيْن؛ جيدًا وتركوه لفقراء مكّة من بعدهم[492].

وتحصّل من الوقف عام 1077هـ 1666م 6000 أقجه، كان يرسل منها 50 سكة حسنة لمكة[493].

كما أوقفت السيدة أمّ هاني ابنة عبد المنان مبلغ 400 قرش أسدي، ومنزلًا لها في حي داود باشا، ومنزلًا بحديقته في حي يني قابي، وحقلًا لها يقع أمام حديقة رجب باشا بطوب قابي، وورشة لصنع القوارب بالقرب من أوقاف زال محمود باشا بحي أيوب، واشترطت لهذا الوقف ما يلي: أنْ يتمّ تشغيل مبلغ الأربعمائة قرشٍ المذكورين بطريق الاسترباح[494] ويكون دخل هذا المال لأولادها مِن بعدها، ثمّ بعد وفاة أولادها يتمّ جمع هذا المال مع الدخل الذي سيتحصل من تأجير الأملاك غير المنقولة، ويرسَل من هذا الدخل سنويًّا 2680 أقجه لفقراء مكّة والمدينة بشرط أنْ يرسل هذا المبلغ مع الصّرّة، ويؤرّخ لهذه الوقفية بأوائل شوال 1078هـ 1667م[495].

أمّا وقفية محمد باشا بن حسين المؤرّخة بتاريخ 3/ محرم/ 1081هـ 23/5/ 1670م فقد اشترط بها الواقف أنْ يرسل مبلغ 1500 أقجه من دخل إيجار منزله الواقع بحي قارة باش باستانبول، والذي يضمّ 30 غرفة، و3 مخازن، وبئرًا للمياه، وأربعة حوانيت إلى فقراء الحرمين الشريفين[496].

أمّا محمد بك الذي كان أميرَ سنجق لابطا بقبرص فقد أوقف لفقراء المدينة المنورة دخل مزرعته الواقعة بلابطا، وثبت أنّه قد أرسل من دخل هذا الوقف للمدينة عام 108هـ 1599م 783 سكة حسنة [497]، أمّا محمد بك ابن أبي بكر أمير سنجق باف فقد اشترط في وقفيّته أنْ يرسِل إلى فقراء المدينة مبلغ 7200 أقجه من دخل المزرعة التي أوقفها[498].

وخصّص عباس أغا أحد أغوات دار السّعادة مبلغ 7200 قرشًا أسديًّا لفقراء الحرمين من الوقف الذي أسّسه من تأجير منازله الواقعة بقصبة إسماعيل كجيد على ضفاف نهر الطونة[499]، وقد كانت كلّ تلك المخصّصات بتمامها للمدينة المنورة فقط[500].

وخصّص مصطفى أغا أحد أغوات دار السّعادة مبلغ 1280 سكة لفقراء المدينة، ومبلغ 900 سكة لفقراء مكّة، وكان وقف مصطفى أغا هذا له أهمية كبرى لأنّه كان يخصّص جزءٌ من أموال الوقف للفقراء بالشام[501].

أمّا ذو الفقار أفندي دفتردار التّرسانة العامرة فقد أوقف في غرّة ربيع الأول عام 1097هـ 1/3/1686م 10 أقجات يوميًّا للمدرّسين الذين يدرسون العلم في آيا صوفيا، وأربعة أقجات يوميًّا لكلّ طالب، وشراء مجموعة من الكتب وتوزيعها على الطلاب والأساتذة، وتخصيص مبلغ 100 أقجه للشخص الذي يعتني بالكتب، وما تبقّى من مال يرسل لفقراء المدينة المنورة مع الصّرّة[502].

كما أوقف محمد أغا بن عبد الرحمن دخل إيجار منازله الواقعة بجوار آيا صوفيا لأولاده، ثمّ للمدينة المنورة بعد أولاده، أمّا منازل الواقف المذكور الموجودة بقاضي كوى وأسكدار فتؤجّر ويقسّم الدخل المتحصّل من هذا الإيجار إلى قسمين: الأوّل لفقراء الحرمين، والقسم المتبقّي يخصّص للجامع الذي يؤسّسه الواقف المذكور[503].

أمّا مصلّى أغا فقد أوقف الأربع والعشرين قطعة فضية المتبقية من إنشاء الجامع والعمارة الخيرية اللّتيْن أسّسهما الواقف في مصر على أنْ يكون عشرة منها لفقراء مكّة ومثلها لفقراء المدينة، والأربعة الباقية لفقراء القدس، كما خصّص بخلاف ذلك 30 قطعة فضية أخرى للفقراء في مكّة والمدينة بشرط أنْ يتمّ توزيعها بمعرفة مشايخ الحرمين[504].

أمّا سنان بك الرقاص الذي اشتغل في وظيفة ملتزم الأوقاف في الروملّي فقد خصّص مبلغ 36 ألف أقجه للحرمين من الوقف الذي أسّسه في قارين آباد[505].

كما خصّص مبلغ 120 قرشًا أسديًّا لفقراء المدينة من الأوقاف التي في مكّة والمدينة[506].

ويمكن أنْ نجمل الأوقافَ التي أسِّسَت للفقراء على ما يلي:

اسم الواقف	الجهة	مقداره
السلطان مراد الثاني	لفقراء مكة	3500 فلوريًّا
السلطان مراد الثاني	لفقراء المدينة	3500 فلوريًّا
السلطان مراد الثاني	لفقراء القدس	200 فلوريًّا
محمد جلبي	لفقراء الحرمين	4572 أقجه[507]

حمزة بك الشراب دار	لفقراء المدينة	دخل القرية
محمود بن اسفنديار	لفقراء المدينة	دخل القرية
بايزيد الثاني	لفقراء المدينة	400 دينارًا أشرفيًّا
إياس أغا الخادم	لفقراء المدينة	دخل القرية
بكتاش خليفة	لفقراء المدينة	7659 أقجه [508]
عبد السلام بك[509]	لفقراء الحرمين	23000 أقجه [510]
سليمان القانوني	لفقراء مكة	صدقة كثيرة
مراد الثالث	لفقراء الحرمين	600 سكة
شهزاد شاه سلطان	لفقراء المدينة	دخل القرية
سلجوق سلطان	لفقراء المدينة	1800 أقجه
مهرماه سلطان	لفقراء الحرمين	2000 فلوري
برتو محمد باشا	لفقراء المدينة	10000 أقجه
سنان باشا	لفقراء المدينة	40 ألف أقجه
كمانكش مصطفى باشا	لفقراء الحرمين	2500 سكة[511]
محمد باشا الدفتردار	لفقراء المدينة	من زوائد الوقف
محمد باشا كوبرلو	لفقراء الحرمين	ألف فلوري
كوبرولو محمد باشا	لفقراء الحرمين	4000 فلوري
فاضل مصطفى باشا	لفقراء الحرمين	ألف فلوري

محمد باشا بن حسين	لفقراء الحرمين	1500 أقجه
قوجة مصطفى باشا	لفقراء الحرمين	150 قرشًا أسديًّا [512]
يحيى باشا	لفقراء الحرمين	1001 قرشًا أسديًّا [513]
أحمد باشا دالقيج	لفقراء المدينة	275 سكة[514]
يوسف باشا	لفقراء المدينة	100 سكة[515]
داود باشا	لفقراء الحرمين	211 سكة[516]
خرم باشا	لفقراء المدينة	12 ألف أقجه[517]
درويش باشا	لفقراء مكة	54 ألف و600 أقجه [518]
محمد بك	لفقراء المدينة	783 أقجه[519]
غضنفر أغا	لفقراء الحرمين	دخل الأراضي
مصطفى أغا	لفقراء مكة	900 سكة
مصطفى أغا	لفقراء المدينة	1280 سكة
عباس أغا	لفقراء المدينة	127 أقجه
هانى خاتون	لفقراء المدينة	2000 أقجه
سراو زاد خاتون	لفقراء الحرمين	304 سكة
خورشيد خاتون	لفقراء مكة	20 سكة
همايون خاتون	لفقراء مكة	50 سكة

أم هاني خاتون	لفقراء الحرمين	2680 أقجه
فاطمة خاتون بنت فرهاد	لفقراء الحرمين	200 أقجه[520]
أمينة خاتون	لفقراء الحرمين	189 سكة[521]
طايه خاتون	لفقراء الحرمين	85 سكة[522]
أصفهان شاه خاتون	لفقراء الحرمين	-
فاطمة خاتون	لفقراء مكة	30 سكة [523]
فروح شاه خاتون	لفقراء المدينة	1440 أقجه [524]
ماهى جهره خاتون	لفقراء المدينة	54 سكة [525]
أسماء خاتون زوجة حسن	لفقراء المدينة	189 سكة [526]
الخاتونية في طرابزون	لفقراء الحرمين	240 قرشًا [527]
حميدة خاتون في صفران	لفقراء الحرمين	5 قروش أسدية [528]
أسبيل خاتون في مصر	لفقراء المدينة	250 بارة[529]
خديجة خاتون في مصر	لفقراء المدينة	1200 أقجه[530]
ست شاه خاتون ابنة شيخ الإسلام على جلبي	لفقراء مكة	1000 أقجه[531]
عائشة خاتون ابنة قاسم أغا	لفقراء المدينة	30 ألف أقجه[532]
عائشة خاتون ابنة قاسم أغا	لفقراء مكة	30 ألف أقجه[533]
خرم جاوش	لفقراء المدينة	2000 أقجه

عبد الرحمن أفندي	لفقراء الحرمين	5750 أقجه[534]
مصطفى أغا جبه جى باشي	لفقراء الحرمين	13 ألف أقجه[535]
خوجه آيدين بك	لفقراء الحرمين	3000 أقجه[536]
بواب الكتخدا القديم اسكندر	لفقراء المدينة	42 سكة[537]
سنان بك الصغير	لفقراء المدينة	100 سكة[538]
كوبرولو محمد كتخدا	لفقراء المدينة	105 سكة[539]
حسين أفندي	لفقراء المدينة	772 أقجه[540]

وبهذا يكون مجموع الأوقاف التي كانت مخصّصة للفقراء في الأماكن المقدّسة 64 وقفًا، 24 منها لفقراء الحرمين، 30 منها لفقراء المدينة، 9 منها لفقراء مكّة، وواحدٌ منها للقدس، وإذا ما وجد تعبير فقراء الحرمين في الوقْفيّات أو في دفاتر الصرّة فإنّ أموال هذا الوقف حينئذٍ توزّع مناصفة بين مكّة والمدينة؛ على سبيل المثال الخمسة آلاف فلوري التي اشترطها محمد باشا كوبرولو لفقراء الحرمين كانت توزّع مناصفة بين فقراء المدينة ومكة.

وثمّة خاصية تلفتُ الانتباه في الجدول المذكور وهي عدم التوازن الموجود بين مكّة والمدينة من حيث مقدار الأموال المرسَلة، ومن حيث عدد الأوقاف المخصّصة لكلّ واحدة منهما، وهنا تظهر حقيقةٌ تاريخيّة ألا وهي أنّ الأوقاف والأعمال الخيرية التي تمّت للمدينة المنورة على مدار التاريخ الإسلامي كانت تفوقُ ما تمّ لمكّة، وذلك لأنّ الموجودين في مكّة منذ عهد الجاهلية كانوا تجّارًا يشتغلون بالتجارة، كما أنّ الوافدين للكعبة كلّ يومٍ من أيّام العام أعطى الانتعاش لتجارتها، أمّا المدينة فمصدرُ دخلها الأساسي هو الزراعة، وبالرغم من أنّها كانت محجمةً بهذا المصدر الوحيد للتّعيش إلّا أنّ الأهالي كانوا يضطرّون للبحث عن سبلٍ ومصدرٍ جديد للرّزق والتعيش؛ لذا كانوا يشعرون بأنّهم في حاجة للصدقة القادمة من الخارج.

وقد تمّ تسجيل الفقراء في مكّة والمدينة في دفاتر الصّرّة على شكل جماعات، وكانت هناك بعضُ الدّفاتر التي تكتب الأهالي بشكل عام، والحصص المقرّرة لهم، وبعضها الآخر كان يكتبها بشكل مفصّل، أي يكتب اسم كلّ جماعة والمبلّغ المقرّر لهم، ومن خلال تلك المعلومات الواردة بالدّفاتر يمكننا تصنيف الجماعات التي تعيش في المدينتيْن على هذا الشكل:

1- الفقراءُ القاطنون في مكّة والمدينة (المجاورون)

بالرّغم من أنّ كلمة المجاورين تستخدم أكثر ما تستخدم للتعبير عن المجاورين لرسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة المنورة، إلّا أنّ دفاتر الصّرّة أطلقت تعبير المجاورين على مَن يعيشون بالمدينة ومكّة- أيضًا- من الفقراء.

وهؤلاء هُم الذين كان لهم نصيبٌ من المخصّصات في المدينة المنورة عام 1049هـ 1639م:

الاســـــــــــــــم	عدد الأشخاص	البارة لكل حجرة	المجموع
الحجرات القديمة	769	1 حسنة	769 سكة
الحجرات الجديدة	692	4 حسنة	2768 سكة
خارج الحجرات القديمة والجديدة	546	1.5 حسنة	819 سكة
في الزوايا الثلاث	32	2 حسنة	64 سكة
المقيمون في منازل المدينة الباقية	4351	1.5 حسنة	62265 سكة
المجموع	6930		109465 سكة[541]

وفي عام 1100هـ 1689م أضيف مبلغ 10 سكات لهذا الرقم المذكور خصّصت لعشرةِ أفراد يقيمون في زاوية السّلطان، وعلى هذا كان بالمدينة المنورة في تلك السّنة المذكورة 6940

فردًا يأخذون 11.046.5 سكة حسنة [542]، كما أنّ مجموع السكة الحسنة التي أرسلت للمدينة في هذا العام المذكور زادت إلى 26 %.

ويمكن رؤية مجموع الأموال التي كان يأخذها الفقراء في الحرمين بشكل أوْضح من خلال صرّة عام 1077هـ 1666م[543].

مجموع الصرة	مكّة المكرمة	المدينة المنوّرة	الحرمين
63.848	2.659	18.634	27.618.5

وعلى هذا يتّضح أنّ مجموع إجمالي الصّرّة بلغ 48.911.5 سكة، كانت نسبة ما يأخذه الفقراء منها 76.6%، ممّا يظهر أنّ أكبر حصة من الصّرّة والأوقاف في الحرمين كانت من نصيب الفقراء.

2- الجماعات

أثناء توزيع مخصّصات الأوقاف في دفاتر الصّرّة المختلفة كان يذكر بها أسماءُ الجماعات، وكانت تلك الجماعات تذكَر بكلماتٍ تعني أسماءها، وأحيانًا كانت تستخدم بعض المفاهيم الخاصّة بها، على سبيل المثال ما ورد في دفتر الصّرّة المرقوم برقم 411 فقد ذكر الخدم في تلك الدّفاتر على أنهم جماعة.

أ - الجماعاتُ الموجودة بمكة

الجماعات الموجودة بمكة والمخصّصاتُ التي يحصلون عليها:

اسم الجماعة	مقدار التخصيص
جماعة التكية الجلشنية وخدامها	96 سكة حسنة

السادات الأشراف	335 سكة حسنة
الأروام المجاورون للكعبة	1.924.5 سكة
الأعاجم المجاورون للكعبة	1.281 سكة
الخطباء والأئمة	9 سكات
خدام البيت الشريف	24 سكة
بقية الخدام	9 سكة
القراء	12 سكة
جماعة مؤذني الحرم	47 سكة
الفراشون	20 سكة
خدام المقامات الأربعة	12 سكة
الوقادون	18 سكة
نواب الباب	74 سكة
أغوات الحرم الثلاثة عشر	39 سكة
جماعة مستدين مطاف الحرم	30 سكة [544]
المجموع	3.894.5 سكة

ب- الجماعات الموجودة بالمدينة

أمّا الجماعات الموجودة بالمدينة المنورة وكان لها نصيبٌ من صرّة استانبول فهي:

اسم الجماعة	عدد الأشخاص	النصيب المقرّر لهم
خدام مخازن المدينة المنورة	36	582 سكة
خدام مخازن ينبع	7	175 سكة
فقراء رباط كتخدا قادين	6	62
مواجب الحوران التوجهات القديمة	140	700
المحافظون	90	450
خدام عين الزرقا	20	100
التوجهات الجديدة	90	450
أشراف بني الحسين	300	1.500
متعلقات الشريف الحسين	115	555
فقهاء أهل المدينة وسائر أهل المدينة	578	2.890
جماعة أغوات خدام الحرم	31	150
جماعة المشد بالحرم	144	717
المجموع	1.557	8.331 سكة

ج- الجماعاتُ الأخرى التي وفدت من الخارج واستقرّت بالحرمين:

لم تمنعِ الإدارة العثمانيّة أيّ شخص من القدوم إلى مكّة المكرمة أو المدينة المنوّرة والاستقرار بهما، بل على النقيض كانت الإدارة العثمانيّة تخصّص لهم الأموالَ لتأمين الاحتياجات اللازمة لهم، عن طريق الأوقاف أو عن طريق الصّرة، وكان الإداريون المحليّون يقومون بإدراج

أعداد هؤلاء الأشخاص والأماكن التي جاءوا منها، لتخصّص صرّة بالقدر الذي يكفي لكلّ جماعة، وتلك هي الجماعات التي كانت تعيش بالمدينة وكان لها نصيبٌ من الصّرة:

اسم الجماعة	العدد	المقرّر لهم
جماعة مصر	145	722
جماعة الروم	315	1.576
جماعة القدس والشام وحلب وبغداد	38	162
جماعة العجم	145	726
جماعة الأكراد	7	32
جماعة العرب	48	243
جماعة التكرور	5	24
جماعة مصر	35	243
جماعة الجنوب	8	40
جماعة اليمن	104	521
جماعة..	8	40
جماعة الهنود	33	164
جماعة العتقاء	50	250
جماعة النساء	122	611
جماعة نساء الأروام	248	1.239

جماعة نساء الهنود	21	104
جماعة نساء العتقاء	32	156[545]
الذي يوزع بيد مرتضى باشا	214	1.070
المجموع	1.578 شخصًا	7.923 سكة[546]

ومِن خلال الجدول السّابق يتضح أنّه كانت هناك مخصّصات للسبعة عشر جماعة التي وفدتْ من خارج المدينة واستقرّت بها، والتفريق بين الرجال والنساء في تلك المخصّصات يلفت الانتباه.

وأنّه بفضل المخصّصات الخاصّة التي كانت ترسل عن طريق الصّرّة أو الأوقاف المؤسّسة للفقراء، كان الفقراء في مكّة أو المدينة يحصلون على ما خصّص لهم من أوقاف سنويّة عن طريق الصرّة.

ثانيا : الأوقافُ التي أسّسَت للموظّفين الموجودين بالمدينة

يمكن تقسيمُ الموظّفين الذين يعملون في الأوقاف إلى قسميْن: الأوّل هُم الموظّفون الإداريّون المسئولون عن شئون الوقف كالنّاظر والمتولي والمحاسب والجابي، أمّا الثاني فهُم الموظّفون المكلّفون بتحقّق هدف وغاية الوقف، والموظفون في هذا القسم- أيضًا- ينقسمون إلى قسميْن؛ موظّفين يقومون بأعمال محدّدة كالتدريس والخطابة والطبابة، أمّا الثاني فهُم الموظّفون الذين تعتمد أعمالهم على الحرفة والصنعة[547].

1- الوظائفُ الإدارية

متولي الوقف هو المسئولُ عن هذا الوقف بشكل عام، أمّا في العهد العثماني فكان أغا دار السّعادة هو أعلى درجة بين إداريي الأوقاف المؤسسة للحرمين، وكان المتولّون وأغوات دار السّعادة يديرون الأوقاف ويحصلون دخولها، وينظرون شئونها بالشكل المحدّد والمشترط في

الوقف، أمّا إدارة مخصّصات الأوقاف التي كانت ترسَل إلى الحرمين فكان ينظر في شئونها طبقةٌ إدارية أخرى في مكّة والمدينة على رأسها مشايخُ الحرم، وها هم الإداريّون طبقًا لما ورد بدفاتر الصّرة: شيخ الحرم في مكّة المكرمة (الوالي)، حامل مفتاح البيت المعظم، مدير الحرم الشريف، نائب الحرم، رئيس العلماء والخطباء، قضاة المذاهب الأربعة، شيخ الأغوات، رئيس المؤذّنين، رئيس الفرّاشين، رئيس الأدلّاء، رئيس السّقائين، شيخ المشهدين، رئيس البوّابين؛ أمّا في المدينة المنورة: شيخ الحرم، نائب الحرم، الأغا المتسلّم، رئيس الأغوات، مدير الحرم الشّريف، قضاة المذاهب الأربعة، رؤساء المؤذّنين والفرّاشين والخطباء، نقيب الأئمّة.

ويمكن أنْ يكون للوقف الذي أسّس لتيسير الخدمات في مكّة والمدينة ثلاثة نظّار؛ واحدٌ في المكان الذي أسّس فيه الوقف، والثّاني في مكّة، والثّالث في المدينة، على سبيل المثال كان أحدُ أغوات دار السّعادة ينظر في شئون كلّ أوقاف السّيدة خديجة طورخان سلطان، وبخلاف هذا الأغا دار كان يوجد ناظرٌ ينظر في شئون الأربعين شخصًا الذين سيقرءون القرآن الكريم في مكّة ويدْعون للسيدة الواقفة، والمئة وعشرون شخصًا الذين سيقرءون القرآن على روح رسول الله وأهل القرآن، وناظرٌ آخر للنظر في شئون الأشخاص الذين سيقرءون القرآن في الروضة المباركة على روح رسول الله ويدْعون للسّلطان هناك، وناظرٌ آخر للنظر في شئون توزيع الأموال المرسَلة مع الصّرّة[548].

ونفس الشيء مع الوظائف الإدارية الأخرى كوظيفة الكاتب والمحاسب فهم- أيضًا- كالنظّار يمكن أنْ يزيدوا عن واحدٍ طبقًا لمحلّ واختلاف الخدمة التي يؤدّونها.

وقد استخدم الكثيرُ من الموظّفين في المدارس ودور الشفاء والأربطة والعمارات وغيرها من الآثار الخيرية التي تعدّ كلّ واحدة منها بمثابة الوقف في مكّة والمدينة، هذا فضلًا عن أنّه قد خصّصت المخصّصات بمقادير تلفت الانتباه للمُشتغلين بعناية ونظافة الأماكن المقدسة، وعلى رأسها الكعبة والمسجد النبوي، والمؤسّسات الأخرى التي تخدم الأهالي.

وتلك هي التّسجيلاتُ المتعلّقة بهذه الخاصية، والتي رأيناها في الوقْفيّات المختلفة:

أوقف الحاج إيواز باشا أحدُ أكبر قادة عصر محمد جلبي أملاكه الموجودة بالمنطقة على مدرسته وزاويته بأيوب اللتيْن أمر بتأسيسهم في طوقاد، وقد اشترط الواقف تخصيص 10000

درهمًا لخدمة الأماكن المقدسة في مكّة والمدينة، وذلك بعد إخراج مصاريف المدرسة والزاوية، واشترط الواقف المذكورُ تخصيص مبلغ 2000 درهمًا لخدّام الرّوضة المطـهّرة، و100 درهمًا لخدام الكعبة المعظمة[549].

أمّا السّلطان بايزيد الثّاني فقد أوقف في وقفه المؤرّخ بتاريخ جمادى الأخرى/ 901هـ فبراير 1496م

300دينارًا أشرفيًّا سنويًّا لمَن يقومون بالوظائف المختلفة بروضة رسول الله صلّى الله عليه وسلم[550]، أمّا علي باشا الخادم الذي كان أحد الصّدور العظام لعهد السّلطان بايزيد الثّاني، وكان يولي أهميةً كبرى للعلم والخير إلى جانب سلطته السياسيّة فقد أوقف مبلغ 140 سكة لمَن يقومون بالوظائف التّسع الآتي بيانُها فيما يلي من جملة 8.260 سكة هي ريع الوقف الذي أسسه عام 915هـ، هذا بخلاف خيرات[551] الجامع والحمّام الذي أمر بإنشائهما باسمه في قرّة جمرك باستانبول. وتلك هي الوظائف والمخصّصات المقرّرة لها:

الوظيفة	مقدار النقود
ناظر الحرم	10
خطيب الحرم	10
الإمام الحنفي بالمدينة المنورة	10
مؤذنو الروضة المطهرة	10
خدام الروضة المطهرة	20
فراشو الروضة المطهرة	20
بوابو الروضة المطهرة	10
سقاءو الروضة المطهرة	10

مجاورو الروضة المطهرة	40

وسجلت نفس الأرقام السابقة في دفاتر التحرير باستانبول المؤرّخة بتاريخ 953هـ 1546م[552].

كما طلب مصطفى باشا الشهيد (938هـ 1529م) صرف 300 سكة سنويًّا للصّالحين بالمدرسة التي بناها في المدينة المنورة ولخدّام الروضة المطهرة وذلك بعد إخراج نفقات المدرسة والعمارة اللتيْن أمر بإنشائهما من ريع أملاكه الكائنة باستانبول والأناضول وديماطوقه ويانبولى، وإينة باختى، وأولونيا[553].

أمّا السّلطان محمد الرّابع الذي كانت فترة سلطنتِه أطولَ فترة سلطنة في القرن السّابع عشر، فقد خصّص للموظّفين الموجودين في مكّة والمدينة من مصادر دخله الموجودة بمصر والأناضول ما يلي:

مكان الصرف	اسم الوظيفة	الكمية
مكة	أئمة الكعبة	100 قرش
مكة	الأغوات	65
مكة	أئمة المذاهب الأربعة	345 ذهبًا و776 قرشًا
مكة	خدام الكعبة	473 ذهبًا و 1.064 قرشًا
مكة	الخدم	1.700 قرشًا
المدينة	أئمة المسجد النبوي	100 قرشًا
المدينة	الأغوات	65
المدينة	أئمة المذاهب الأربعة	345 ذهبًا و 776 قرشًا

المدينة	خدام الروضة المطهرة	473 ذهبًا و 1.064 قرشًا
المدينة	الخدم	1.700 قرشًا [554]

وتلك هي المخصّصات المقرّرة للموظّفين الموجودين في الحرمين في وقفية كوسم والده سلطان التي ذكرنا خدماتِها قبل ذلك:

الوظيفة	المقرّر لها
لخدام بئر زمزم	10 سكات
للشخصين الذين يقومان بوظيفة الإمامة في مكة	10عملات ذهبية
لكلّ مشد بمكة	5 عملات ذهبية
لكلّ مشد بالمدينة	10 عملات ذهبية
للشخصين الذين يعملان سقائين بالروضة المطهرة	10 عملات ذهبية
المجموع	95 فلوري[555]

وهذا الرّقم يمثّل 15 % من جملة مصاريف الحرمين البالغة 6000 فلوريًّا، وإذا ما علمنا أنّ الواقف أوقف 30 فلوريًّا لمَن يقوم بوضع وفرش سجادة إمام المسجد النبوي سيتّضح لنا مدى أهمية تلك الوظيفة.

كما خصّصت السيدة خديجة طورخان سلطان مبلغ 300 قرشٍ أسديّ لمَن يشتغلون بفرش الرّوضة المطهرة[556].

كما أوقف جعفر باشا بن عبد المنان[557] أحدُ عبيد قليج على باشا، والذي عملَ محافظًا لطرابلس الغرب وأمير أمراء على قبرص؛ جزءًا من ريع الأراضي التي تملّكها في جزيرة قبرص، وهي على ما يلي:

40 ألف أقجه من ريع الأراضي والحديقة والمنزلين ذي الطابقين الكائنين بقرية.. [558]التابعة لقضاء لفكوشا بقبرص، 20 ألف أقجه توزّع بالتساوي بين الخطيب والمؤذنين والقائمين بخدمة الروضة المطهرة، وبذلك يكون مجموع ما يرسله سنويًّا 60 ألف أقجه[559]، وقد تمّ التحقّق من أنّ مخصّصات هذا الوقف وصلت عام 1101هـ 1690م إلى 401 سكة[560].

أمّا المخصّصات التي خصّصها حسين كتخدا للأغوات في المدينة من دخل تأجير صابون خاني الواقع بقبرص، فتحتلّ أماكن كثيرة في دفاتر الصّرّة، وبلغ مقدارُ الأموال التي أرسلت إلى المدينة من هذا الوقف عام 1008هـ 1599م 500 سكة حسنة[561].

وكما هو واضحٌ أنّ مِن الواقفين مَن اشترط بشكلٍ صريح نوعيّةَ الوظيفة المخصّص لها الأموال، ومنهم مَن اكتفى بذكر موظّفي الكعبة وخدام الروضة المطهرة فقط.

- أهلُ القرآن وأهلُ الدعاء

ويشكّل مَن يقرءون القرآن الكريم على أرواح صحابة رسول الله وعلى آل البيت في الكعبة والروضة المطهرة؛ قسمًا هامًّا من الوظائف التي كانت تستخدم في أوقاف الحرمين، ويرى من خلال الوقْفيّات أنّ الواقفين اشترطوا قراءة القرآن الكريم والدّعاء لسلطان العصر، أو الدّعاء لهم في الأماكن المقدسة.

وكان هذا القسم يسجَّل في دفاتر الصّرّة بشكل عام على شكل "الأجزاء خانان والصّلوات خانان".

وأوّلُ مَن تصرّف بهذا الشكل بين الواقفين العثمانيين هو السّلطان مراد الثّاني، فقد أوصى في وصيّته المؤرّخة بتاريخ 7/ جمادى الأولى/ 850هـ 8/1/ 1446م بما يلي: يوزّع بعد وفاته 20 ألف فلوريّ سنويًّا من أملاكه الموجودة بصاروخان على مكّة والمدينة والقدس بالشكل التالي:

الوظيفة	المال المخصص

لمن يقرءون كلمة الشهادة في الكعبة	500 ذهبية
لمن يقرءون كلمة التوحيد في المسجد النبوي	500 ذهبية
لمن يذكرون الله تعالى في مكّة والمدينة والقدس ويختمون القرآن	10 آلاف فلوري[562]

كما خصّص محمود باشا أحد وزراء الفاتح مبلغ 560 فلوري من وقف الجامع الذي أسّسه في الحي الذي يحمل اسمَه في استانبول، وذلك لتوزّع على فقراء مكّة والمدينة ومَن يقرءون الخاتمة على روح النبي- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة، وقد وزّعت على ما يلي:

المقصد	الموظف	المبلغ
قراءة القرآن كلّ يوم في الروضة المطهرة	30 شخصًا	300 ذهبية
قراءة المصحف الشريف	الخطيب الحنفي	10 ذهبيات
الصلاة والسلام على النبي كلّ يوم بالروضة	10 أشخاص	100 ذهبية
المجموع	44 شخصًا	410 ذهبية[563]

كما أحسن محمود باشا مِن وقفه على الطلاب الذين يدرسون وينقلون علم الحديثِ في الرّوضة المطهرة، وهذا اختلاف عن بقية الواقفين الآخرين.

أمّا صوفي فاطمة سلطان فقد اشترطت في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ جمادى الأخرى 907هـ/ نوفمبر 1501م أنْ يصرف أقجتين يوميًّا لشخص من السادات مقابلَ قراءته جزءًا من القرآن الكريم وإهداء ثواب تلك القراءة لروح الرسول صلى الله عليه وسلم[564]، وهذه المخصّصات لفاطمة سلطان تأخذ مكانًا أكثرَ وضوحًا في دفاتر الصّرّة ودفاتر حساب أوقاف الحرمين، فطبقًا لما ورد في دفتر حساب أوقاف الحرمين المرقوم برقم 1806 نجد أنّ هذه السيدة طلبت أنْ يرسل إلى المدينة المنورة

في شهر صفر من كلّ عام 8640 أقجه من أوقافها في استانبول، وأن يخصّص 742 من نفس الوقف لقراءة جزءٍ لروح رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- في المدينة كلّ يوم[565].

أمّا عائشة سلطان ابنة السّلطان جم فقد خصّصت 85 فلوريًّا لمَن يقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرّات والفاتحة مرّة واحدة بعد صلاتي الصّبح والعصر كلّ يوم، ويجعل ثوابَها لروح رسول الله[566].

أمّا مسيح باشا أحد الصّدور العظام لعهد بايزيد الثاني فقد اشترط في وقفه الذي أسّسه من ريع المال المتحصّل له من أملاكه الموجودة بمصر، أنْ يخصّص 24 فلوريًّا أشرفية للإمام الشافعي بمكّة الشيخ شهاب الدين أحمد ومثلها لشيخ الحرم المدني الشيخ يحيى بن صالح مقابل قراءتهم خمسة أحزاب يوميًّا وإهداء ثوابها لروحه بعد موته، كما خصّص- أيضًا- 24 فلوريًّا أشرفية للاثني عشَرَ حافظًا الذين سيقرءون خمسة أحزاب ويهبون ثوابها لروحه[567].

كما خصّص السّلطان سليم الأوّل 3 عملات ذهبية يوميًّا لثلاثين من أهل القرآن يقرءون الخاتمة يوميًّا[568].

كما خصّص شخصٌ يدعى محمد بن محمد كان يقيم في عينتاب دخل أرضه التي تبلغ أربعة أذرع بحدودها من وقفه المؤسّس بتاريخ 2/ ربيع الأول/ 942هـ 31/8/ 1535م لقراءة القرآن على روح رسول الله، وعيّن قاضي عينتاب متوليًا على هذا الوقف[569].

أمّا مهرماه سلطان ابنة السّلطان سليمان القانوني فقد خصّصت 189 أقجه لثلاثة وتسعين شخصًا في مكّة والمدينة وخليل الرحمن، على أنْ يكون 83 منهم قرّاء، وثلاثة رؤساء للقرّاء، وثلاثة نوقطجي، وثلاثة نظّار، ويكون لكلّ واحد منهم أقجتان[570]، كما اشترطت- أيضًا- تخصيص 10 عملات ذهبية لكلّ فرد من الثلاثين شخصًا الذين هُم من أهل القرآن وسيقرءون جزءًا يوميًّا بعد صلاة الظهر في مقام إبراهيم، ويهبون ثوابها لروح الواقفة، واشترطت- أيضًا- تخصيص 10 عملات ذهبية لكلّ فردٍ من الثلاثين الذين سيقرءون القرآن كلّه في المسجد النبوي يوميًّا، على أنْ يكون ثواب العشرة أجزاء الأولى لروح رسول الله، والثانية لروح صحابته الكرام، والثالثة لروح الواقفة[571].

كما خصّص رستم باشا 20 سكة سنويًّا لكلّ شخص من أهل القرآن الكريم سيقرأ جزءًا من الثلاثين جزءٍ التي أرسلها الواقف المذكور من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح يوميًّا في الحرم

الشريف، واشترط رستم باشا أنْ تكون قراءة آخر ثلاثِ سور (الإخلاص- الفلق– الناس) والفاتحة بصوتٍ مرتفع، وأنْ يهدى ثوابها لروح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخصّص- أيضًا- 3 عملات ذهبية للشّخص الذي سيقوم بتوزيع الأجزاء وجمعها والمعرف[572].

أمّا فاطمة خاتون التي لا نعرف شيئًا عن حياتها سوى اسمها من الوقفية، فقد خصّصت 800 أقجه من وقفها المؤرّخ بتاريخ أواخر رمضان عام 980هـ يناير 1573م لروح رسول الله، وأضافت للشّرط تخصيص 1.5 أقجه يوميًّا لمَن سيقرأ القرآن في الروضة لروح رسول الله ولروح الواقفة[573].

كما اشترط محمد باشا صقوللو أنْ يقوم 30 شخصًا بقراءة القرآن الكريم كاملًا في الحرم، وأنْ يقوم 30 شخصًا- أيضًا- من المسبّحين بذكر كلمة الشهادة يوميًّا، ويهدون ثوابها لروح رسول الله، وأنْ يقرأ القرآن الكريم- أيضًا- يوميًّا في مسجد قباء[574]، ولم يوضّح الباشا مقدار المال المخصّص لهذا، إلّا أنّه من المؤكّد أنّه خصّص الأحمال من الأموال لهذه الخدمات من أوقافه التي يصل ريعُها السنويّ إلى ملايين الأقجات.

أمّا الوزير الأعظم محمد باشا فقد خصّص 300 سكة ذهبية لثلاثين شخصًا سيقرءون القرآن الكريم يوميًّا في الرّوضة المطهرة، و50 فلوري لثلاثة أشخاص سينقلون الحديث الشريف، و100 فلوري لعشرة من الأشخاص سيصلّون على النبي في الروضة المطهرة يوميًّا[575].

أمّا صفية سلطان زوجة السّلطان مراد الثّالث، فيفهم من دفاتر الصّرّة المرتّبة باسمها ومِن وقفيّتها الموجودة أنّها أسّست وقفًا لختم القرآن الكريم في الأوقات المختلفة في مكّة والمدينة. وأوّلُ دفتر للصّرّة مستقلّ يشتمل على أوجه إحسانها فمؤرّخ بتاريخ 25/ جمادى الأخرى/ 1074 هـ 24/ 1/ 1664م، أمّا آخرُ دفتر مرتبط بالفترة التي نتحدّث عنها فمؤرّخ بتاريخ 29/ جمادى الأخرى/ 1100هـ 22/4/ 1689م، وهذه هي المخصّصات التي خصّصتها "الوالدة سلطان" المذكورة، والخاصّة بقراءة القرآن الكريم في مكّة من خلال ما ورد بتلك الدّفاتر:

المقصد	لمَن سيعطى	المقدار
النظارة	شيخ الحرم	14 فلوري

قراءة القرآن عند صلاتي الصبح والظهر	60 من أهل القرآن	308 ذهبية
قراءة القرآن عند صلاة العصر	31 من أهل القرآن	154 ذهبية
الدعاء بدوام الدّولة بعد صلاة الصبح يوميًّا في المقام الحنفي	40 شخصًا	204 ذهبية
المجموع	132 شخصًا	680 ذهبية[576]

أمّا تفصيل صرة المدينة المنورة فعلى ما يلي:

المقصد	**لمَن سيعطى**	**المقدار**
النظارة	شيخ الحرم	14 ذهبية
قراءة القرآن عند صلاة الصبح	31 من أهل القرآن	154 ذهبية
قراءة القرآن عند صلاة الظهر و العصر	60 من أهل القرآن	308 ذهبية
الدعاء بدوام الدّولة بعد صلاة الصبح يوميًّا في الروضة	40 شخصًا	404 ذهبية
قراءة سورة الأنعام في الروضة يوميًّا لدوام الدولة	40 أغا	400 ذهبية
المجموع	172 شخصًا	880 ذهبية[577]

وكما سيتّضح فإنّ صفية سلطان خصّصت من وقفها سنويًّا 1560 ذهبية لـ 304 شخصًا سيقرءون القرآن في مكّة والمدينة وسيدعون للدّولة بدوامها.

أمّا التّسجيلات الموجودة بدفتر الصّرّة المرقوم برقم 422 والخاصة بالوقف المذكور لصفيّة سلطان، فيستدلّ منها على أنّها خصّصت 20 سكة حسنة لشخصيْن سيقرءان جزئين من القرآن يوميًّا في الروضة على روح ابنها السّلطان محمد الثّالث، وخصّصت 9 سكات حسنة أخرى لكلّ فردٍ من الثلاثين الذين سيقرءون القرآن الكريم كاملًا كلّ يوم بعد صلاة الصبح على روح ابنها أيضًا، كما خصّصت 9 سكات حسنة لكلّ فردٍ من العشرة الذين سيقرءون 10 أجزاء من القرآن الكريم بعد صلاة الظهر، وبذلك يكون مجموع ما ترسله من سكات 460 سكة[578]، كما خصّصت 41 سكة لعشرة أشخاص سيقرءون ويقومون بالصلاة على النّبي في الرّوضة المطهرة سبعين مرّة قبل صلاة الصبح يوميًّا، ومثلها لعشرة أشخاص أخرين سيقرءون الفاتحة سبعَ مرّات والإخلاص عشرَ مرّات والبقرة من أوّلها وحتّى آية المفلحين، وذلك بعد صلاة العصر يوميًّا، وخصّصت- أيضًا- لروح ابنها محمد الثّالث 10 سكات يوميًّا مقابل قراءة جزءٍ من القرآن يوميًّا في الرّوضة المطهرة، وبذلك يكون مجموع هذه المخصّصات 485 سكة[579].

أمّا شمس روخسار سلطان إحدى زوجات السّلطان مراد الثالث فقد أسّست وقفًا في أواخر ربيع الآخر عام 1022هـ يونيو 1613م بالمال المتحصّل لها من تشغيل 1100 سكة ما يعادل ثلث ثروتِها، وخصّصت من هذا الوقف 16 أقجه لثمانية أشخاص يقرءون 8 أجزاء من القرآن الكريم يوميًّا في الرّوضة المطهرة، على أنْ يكون ثوابُها للواقفة، كما طلبتْ أنْ يعطَى للحاجّ مصطفى أغا الذي كان مِن أقدم خدمِ القصر القديم وأصبح يعيش في المدينة المنورة مبلغ 22 سكة سنويًّا مقابلَ دعائه لروحها في الرّوضة، وخصّصت السيدة شمس أقجتيْن يوميًّا لنواب الحرم الذين سيكونون مسئولين عن إدارة الوقف[580]، وقد أرسل إلى المدينة 74 سكة في أعوام 1054هـ 1644م 1100هـ 1689م[581].

أمّا خاندان سلطان رئيسة محظيّات السّلطان محمد الثالث فقد أوقفت أراضيها التي تملُكها في منامن وكليزمان، وخصّصت 200 سكة من دخل هذا الوقف لقراءة القرآن في المدينة[582].

أمّا الشّروط التي وضعتها كوسم والده سلطان لقراءة القرآن الكريم فهي على ما يلي:

الشرط	الوظيفة	المبلغ
النظارة	شيخ الحرم	20
قراءة الفاتحة مرّة والإخلاص ثلاثَ مرّات بعد كلّ صلاة عند الكعبة	30 فرد	300
قراءة جزء من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح في مكّة	19	190
يقرأ الأغوات الموجودون بالمدينة يوميًّا سورة الإخلاص ثلاث مرّات والفاتحة مرّة واحدة	65	650
النظارة	نائب الحرم	30
النظر في الشئون المالية	الخزينه دار	30
قراءة جزء من القرآن عند وقتي الصبح والعصر	32	320
الموظف المكلف بجمع الأجزاء وتوزيعها	1	8
المجموع	150	1548 [583]

وقد خصصت خديجة طورخان سلطان المخصّصات المالية لقراءة القرآن في مكّة والمدينة، ويمكن جمع تلك المخصّصات في هذا الجدول:

المقصد	الشرط	الوظيفة	المبلغ
النظارة		شيخ الحرم	14

هبة لروح رسول الله وصحابته ولروح الواقفة	ختم القرآن خمس مرّات في أوقات الصبح والظهر والعصر	150	750
الدعاء لروح السلطان	قراءة سورة الأنعام بعد صلاة الصبح في الروضة	40	200
هبة لروح رسول الله	قراءة القرآن بعد صلاة الصبح لروح الرسول وصحابته الكرام	30	150
هبة لروح الخلفاء الراشدين	ختم القرآن بعد صلاة الظهر	30	150
هبة لروح الواقفة	قراءة القرآن بعد صلاة العصر على يد الزهاد والمجاورين لرسول الله	30	150
جمع الأجزاء وتوزيعها وحفظها		5 معرفين	48
نظارة شئون الأعمال التي ستتمّ	ناظران	28	
المجموع		288	1.490[584]

واشترطت السيدة "كلنوش والده سلطان" أنْ يقوم 30 شخصًا من أهل القرآن بقراءة القرآن كاملًا يوميًّا في دار الشّفاء التي أنشأتها بمكة، وأن يحصل هؤلاء القرّاء على أموالهم من مال الواقفة المذكورة، وأمرتْ بإنشاء غرفة واسعة على النّافورة التي تتوسّط دار الشّفاء ليقوم القرّاء فيها بقراءة القرآن فيها، وقد حددت السّيدة كلنوش وظائف هؤلاء الأشخاص على هذا الشكل:

الوظيفة	العدد	المبلغ المخصّص لهم بالعملة المصرية
الذي يقوم بالدعاء	1	4
مَن يقوم بتوزيع وحفظ الأجزاء	1	4
قرّاء القرآن الكريم	28	2
المجموع	30	64 [585]

كما خصّص مصطفى أغا ابن عبد المنان أغا دار السّعادة أقجتين يوميًّا لخمسة عشر شخصًا من الصّالحين، وذلك مقابل تجمّعهم يوميًّا في وقت محدّد في المسجد النبوي، ويقرأ كلّ واحدٍ منهم جزءًا من القرآن ويهبُ ثوابه لروح الواقف[586]، كما خصّص مبلغ 580 سكة حسنة لمَن سيقرءون الفاتحة مرّة واحدة والإخلاص ثلاث مرّات، ويستغفرون عشر مرّات في الكعبة بعد كلّ صلاة مكتوبة.

أمّا بيرام كتخدا فقد خصّص مبلغًا من الوقف الذي أسّسه عام 1026هـ 1617م ليكون لثلاثةٍ مِن حفظة القرآن الكريم يقرأ كلّ واحد منهم جزءًا من القرآن بعد صلاة الصّبح يوميًّا في المسجد النبوي، على أنْ يكون ثوابُها لروح رسول الله، وقد خصّص الواقف ستة أقجات يوميًّا لكلّ قارئ.

أمّا عنبر أغا بن عبد الله أحدُ أغوات القصر القديم فقد أسّس وقفًا من ثلث ماله، وذلك بعد استئذان السّلطان وموافقةِ ورثته، واشترط في هذا الوقف ما يلي: إرسال المبلغ المتحصّل من هذا الوقف إلى المدينة المنورة مع الصّرة، بعد إخراج حصّة متولّي الوقف وتبلغ 11 أقجه، ويخصّص من هذا المال أقجتان يوميًّا لنائب الحرم نظير نظارته، وأقجتان لكلّ شخص من الخمسة عشر من أهل القرآن في الحرم النبوي وذلك مقابل قراءتهم 15 جزءًا يوميًّا على روح الواقف، وفي حالة عدم التمكّن من تنفيذ هذا الشّرط، يوزّع المبلغ بأكمله على فقراء المدينة (ربيع الأخرى/ 1022هـ مايو/ 1613م)[587].

كما خصّص محمود جلبي بن إبراهيم 24 فلوري من أوقافه الواقعة بإزنيك لقرّاء القرآن الكريم في الروضة[588].

وكما رأينا فإنّ الكثير من الواقفين أوقفوا الأوقاف، وخصّصوا الأموال من أوقافهم لقراءة القرآن الكريم في مكّة والمدينة لجلب الرحمة والدعاء لهم، على سبيل المثال أرسل لمكّة والمدينة عام 1077هـ 1666م 23447 سكة ذهبية لتوزع على 1102 شخصًا من قرّاء القرآن الكريم [589]، وليس هذا المبلغ المذكور هو كلّ المبلغ المجموع من الأوقاف المذكورة سالفًا؛ لأنّ السلاطين- أيضًا- كانوا يرسلون الأموالَ مع الصّرة، بخلاف الأوقاف المذكورة، ومن ذلك في عام 1052هـ 1642م خصّص السّلطان إبراهيم مبلغ 1000 سكة حسنة[590]. ويمكن أنْ نجمع المبالغ المرسَلة لقراءة القرآن والدّعاء والصّلاة على النبي في هذا الجدول:

الواقف	عدد الموظّفين	المبلغ
مراد الثاني		10000 ذهبية
بايزيد الثاني		300
محمود باشا	71	560
صوفي فاطمة سلطان	1	6
عائشة سلطان ابنة جم سلطان		85
السلطان سليم الأول	30	90
محمد بن محمد		دخل الأراضي
مهرماه سلطان	60	600
رستم باشا	20	2.100
فاطمة خاتون	1	50
عائشة سلطان ابنة مراد الثالث	5	30
شمس رخسار سلطان	8	1.100

خديجة طورخان سلطان	290	1.782
محمود جلبي ابن إبراهيم باشا	24	24
صفية سلطان	348	2.045
خاندان سلطان		200
كوسم والدة سلطان	73	1.944
كلنوش والدة سلطان	43	1.155
صقوللو محمد باشا	60	
محمد باشا	10	100 سكة
مصطفى أغا	15	580
عنبر أغا	15	120
كلندر أغا	13	200
رئيس الأطباء موسى أفندي	35	335
محمد أغا أغا دار السعادة		180
من أوقاف جامع آيا صوفيا		400
السلطان سليم الثاني		400
سروازاد خاتون		60
على باشا		120
حسين أفندي		124
المجموع	1.132	25.547 ذهبية

وهناك أوقاف أخرى أسّست لقراءة القرآن الكريم في المساجد المختلفة على روح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد اشترط الكثيرُ من الواقفين العثمانيّين اجتماعَ واحد أو مجموعة من القراء في المساجد القريبة من الأوقاف التي أسّسوها أو في الأوقاف نفسها لقراءة القرآن في أوقات محدّدة على روح رسول الله، وإلى جانب هذا كان بعضُ الواقفين يشترط تدريسَ العلوم الإسلامية الابتدائية والعالية في المساجد السلطانية في غير أوقات الصّلاة إلى جانب اشتراطه بقراءة القرآن على روح رسول الله، وبالتالي كانت تتحقّق فائدتان من هذا؛ تحقيق شرطِ الواقف، ونشرُ العلم بين الناس، وقد كانت هذه الخدمة الجليلة منتشرةً حتّى وقتٍ قريب في بعض المساجد السلطانية، ولكن مع الأسف أصبحت عقيمةً في الوقت الحالي، ويمكن درجُ بعض الأوقاف التي يمكن أنْ تكون نماذج على ذلك في هذا الجدول:

اسم الوقف	التخصيص	الموظف	الشرط
إياس أغا		1	القرآن الكريم على روح الرسول [591]
فريدون بك			الفاتحة والإخلاص على روح الرسول والأنبياء[592]
محمد باشا	1		القرآن الكريم في مسجده على روح النبي صلى الله عليه وسلم[593]
نوربانو سلطان	10 أقجه	5	قراءة القرآن في مسجدها على روح الرسول وأزواجه الطاهرات وابنته فاطمة[594]
عائشة سلطان	10أقجه	5	قراءة القرآن على روح الرسول والخلفاء الأربعة[595]
صنوبر خاتون	14 أقجه	7	القرآن الكريم على روح سلطان العصر

صنوبر خاتون	إيجار		دعاء الشاربين من السبيل لروح رسول الله [596]
صنوبر خاتون	إيجار		قراءة القرآن على روح رسول الله[597]
محمد الثالث			قراءة القرآن على روح الرسول وصحابته الكرام[598]
أحمد الأول		10	الصلاة والسلام على النبي 1000 مرة[599]
حواء خاتون	30	15	جزء من القرآن يوميًّا لروح رسول الله [600]
محمد أفندي	أموال وإيجار	15	ثواب 10 أجزاء لروح رسول الله [601]
سروازاد خاتون	1أقجه	1	سورة يس لروح رسول الله[602]
سروازاد خاتون	6أقجه	3	القرآن الكريم لروح سلطان الأنبياء[603]
سروازاد خاتون	21	1	القرآن لروح النبي[604]
سروازاد خاتون	2	1	القرآن لروح النبي[605]
سروازاد خاتون		6	القرآن الكريم لروح صحابته الكرام[606]
محمد أغا		10	10 أجزاء من القرآن على روح الأنبياء من آدم وحتى نبينا الكريم[607]

محمد أفندي			الفاتحة والإخلاص ثلاث مرّات لرسول الله ولأمة محمد
محمد أفندي	1000		الدعاء لأرواح أمة أهل الإيمان[608]
محمد أفندي	1500		تقديم الطعام للفقراء والمساكين يوم عاشوراء ودعاؤهم بعد تناول الطعام للحسن والحسين([609])
محمد أغا	20	30	ختم القرآن: 20 جزءًا منه لروح الخلفاء الأربعة والصحابة الكرام[610]
الغازي على باشا	60	30	الصلاة والسلام إحدى عشرة مرّة على روح النبي [611]
يوسف أغا			الفاتحة والإخلاص ثلاث مرّات لروح النبي [612]
إياس أغا	17	1	سورة يس لروح النبي
إياس أغا	12	2	الفاتحة والإخلاص لروح النبي[613]
إياس أغا	20	10	القرآن الكريم لروح النبي وصحابته الكرام وكل أهل الإيمان[614]
إياس أغا	6	3	جزء من القرآن والفاتحة لروح الرسول والواقف وأهله وعياله[615]
إياس أغا	20	1	قراءة سورة يس في المحراب. صلاة الصبح وسورة البقرة بعد صلاة العشاء لروح رسول الله.
إياس أغا	15	3	الفاتحة والإخلاص بعد الخمسة فروض والسنن
إياس أغا	30	3	جزء من القرآن يوميًّا على روح رسول الله

			وصحابته وكافة أهل الإيمان[616]
علي أغا	5	5	القرآن الكريم لروح الرسول والخلفاء الراشدين والسيدة فاطمة والحسن والحسين [617]
مصطفى خليفة	4	2	يقرأ الأطفال والمنتفعين بأموال الوقف يوميًّا جزءًا من القرآن لروح رسول الله، أمّا الذين لا يعرفون فيقرءون الإخلاص ثلاث مرّات [618]

ثالثا: الأوقافُ المخصّصة للسّادة والأشراف:

الشّريف هو حفيدُ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- الذي ينتسب إلى الحسن، أمّا السيد فهو حفيدُ النبي- صلّى الله عليه وسلّم- الذي ينتسب إلى الحسين.

وبمرور الزمن ازداد عددُ السّادة والأشراف وتفرّقوا في أرجاء الدنيا، وكانت لهم مكانةٌ كبيرة بين المسلمين نظرًا لأنّهم من نسلِ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- ولحبّ المسلمين للنبي، هذا بالإضافة إلى أنّ الدول- أيضًا- اعترفت لهم بمجموعة من الامتيازات.

وأعدّت الدّولة العثمانيّة- منذ عهد بايزيد الأول- مجموعةً من التنظيمات للسّادة والأشراف الذين يعيشون داخل حدود أراضي الدّولة العثمانية، فأسّست مؤسّسة "نقابة الأشراف" بهدف تأمين الحياة الكريمة والرّاحة لهم[619]، وقام يلدريم بايزيد بتنصيب السيّد علي النتا بن محمد أحد طلّاب أمير البخاري أشهر مشايخ العلم والفكر والتصوّف في عصره؛ كأوّل نقيبٍ للأشراف في الدّولة العثمانية، وأحسنَ عليه بتولّي زاوية الإسحاقية في بورصة[620].

وكانت نقابةُ الأشراف منصبًا يعني نظارة كلّ السادة والأشراف الذين يعيشون في الدّولة العثمانية، وضبط وتسجيل كلّ شجرات نسبهم[621]، وكان نقباء الأشراف يقيمون في مركز الدّولة، ولأنّهم من ذوي المقام العالي في التشريفات فإن انتخابَهم يكون مِن بين أمْهر وأخْيَر العلماء، حتّى أنّ بعض قضاة العسكر ومشايخ الإسلام الذين كانوا ينحدرون من نسل الرسول كانوا يعيّنون نقباء للأشراف بعد عزلهم من مناصبهم[622].

وكان لنقيب الأشراف نوّابٌ في القصبات المختلفة يعنون بالنظر في شئون تلك القصبات بالوكالة عن نقيب الأشراف، وكانوا يشتغلون بشئون السادة والأشراف في المكان الموجودين فيه فيقومون بتسجيل تواريخ الميلاد والوفاة للسادة والأشراف، ويعملون على عدم صدور أفعال تخالف الأخلاق الإسلامية من هؤلاء الأشخاص، بل ويعاقبون مَن يقوم منهم بعمل أي فعل مخجل[623].

كما أنّهم لا يسمحون للسّادة أو الأشراف بالعمل في مهنة عادية، ولا يسمحون بتزويج فتياتهم إلى مَن ليسوا من الأشراف أو السادة[624].

وبمرور الوقت تشكّل زيّ خاصّ بالسادة والأشراف بهدف تأمين حياة أكثر راحةً، ونوعًا من التحكّم الاجتماعي، كما خصّصت لهم عمامة خضراء[625].

كان نقيب الأشراف بمثابة المساعد المعنوي للسّلطان، دائمًا ما يكون بجانبه، فهو الذي يقلّد السّلطان الجديد بالسّيف في جامع أيوب سلطان، وكان يسير إلى جانب الرّاية الشريفة في الحملات[626].

وإذا كان الاهتمامُ بالسادة والأشراف الذين يعيشون خارج نطاق الحرمين هكذا؛ فما بال السّادة والأشراف الذين يعيشون في مكّة والمدينة. فبالإضافة إلى الإمكانيّات المارّ ذكرُها خصّصت الأوقاف للسادة والأشراف الذين يعيشون في الأراضي المقدسة، وكانت تعرف بأوقاف الحرمين، ونفس هذه الدرجة من الرفاهية كانت تمنح للسّادة والأشراف الذين يتركون مكّة والمدينة لسببٍ ما ويرتحلون لأي مدينةٍ من مدن الدّولة العثمانيّة، وعلى رأسها استانبول وإزمير وأدرنة، فقد خصّصت لهم- أيضًا- الأوقاف[627].

وأوّل سلطان عثماني قام بتخصيص الأوقاف للسادة والأشراف هو السّلطان مراد الثّالث، فقد كان يتصـدّق كلّ عام بذهب يعادل 1000 سكة للسادة والأشراف[628].

كما قام السّلطان محمد الفاتح بإرسال 7000 فلوري من أموال الغنائم التي حصلَ عليها من فتح استانبول لتوزّع على الفقراء والنواب والحكماء والسادة في مكّة والمدينة[629].

أمّا السّلطان سليم الأوّل فقد اضطلع بعملٍ مُغاير لذلك فقد وظّف 30 سيدًا لقراءة القرآن، وخصّص لهم وقفًا لقراءة القرآن كلّ يوم بالروضة[630].

وبينما كانت المخصّصات المخصّصة للأشراف والسادة الذين يعيشون في الحرمين قد بلغت 93.616 بارة فيما بين عام 1004هـ 1082هـ 1596- 1671م، بلغت تلك المخصّصات عام 1671م 158.170 بارة، وكان يتم تدارك تلك الأموال من وقف المحمدية بمصر [631].

لذا فإنّ أشراف مكّة كانوا أصحاب دخلٍ خاصّ لهذا السبب، وبسبب الوظائف الإدارية أيضًا، وذكر أوليا جلبي في رحلته أنّ الخاصة السلطانية التي كانت تُمنح لأشراف مكّة كانت 1000 فلوري، كما كانت نصف الحاصلات السّنوية لمينائي جدّة وينبع 200 كيسًا[632].

ولأنّ السّلاطين العثمانيين كانوا يظهرون الاحترام والرعاية للأشراف لشخصيّاتهم واحترامًا لجدّهم النبي- صلّى الله عليه وسلّم- كانوا يقفون لهم عند مُقابلتهم، فقد كان السّلاطين العثمانيون لا يقفون عند استقبال أيّ إداري، بل على العكس كان هؤلاء الإداريّون يقبّلون طرفَ ثوب السّلطان تعظيمًا له، والاستثناء الوحيدُ في هذا كان لأشراف مكّة.

ولم تكتفِ إدارةُ الدّولة العثمانيّة بعمل المخصّصات للسادات فحسب، بل كانوا يعيّنون المخصّصات لأي شخص عادي من أهالي مكّة أو المدينة يفد إلى مركزِ الدّولة ويظهِرُ احتياجه للمال، وذلك كرامة لأنّه من مجاوري الرسول، وتلك هي بعض تلك التعيينات:

في عام 967هـ 1560م أتى شخصٌ من السّادات يدعى حسن بن النعمان إلى شريف مكّة، وأوضح له أنّه في احتياج للمال وطلب منه المساعدة، وبعد التحقّق من أقواله خصّص له ما يكفيه من الصّرة[633].

ونفس الشيء حدثَ مع شخص يدعى حسن من ساكني مكّة حيث أتي لشريف مكّة في 23/ محرم/ 979هـ وأخبره أنه يعيش في فقر مدقع وأنه يريد المساعدة فخصّص له من الصّرّة 20 فلوريًّا [634]، وخصص لأحمد بن علي 10 عملات[635]، وخصّص لشخص يدعى أحمد بن علي من ساكني مدرسة قايتباي بمكّة 8 فلوريًّا[636].

وفي 27/ ربيع الأوّل/ 979هـ 19/ 8/ 1571م وفَدَ إلى استانبول عمر بن عبد العزيز، وعليّ بن عبد الله، وعليّ بن برهان، وإبراهيم بن محمد؛ من ساكني المدينة، وأوضحوا أنّهم من أهالي المدينة ويعيشون في فقر، فخصّص لكلّ واحد منهم 10 سكات[637].

وفي أحد الأيام التي أعقبت هذا، وفَدَ إلى استانبول شخص يدعى بدر الدين أوضحَ أنّه يقيم في المدينة، وأنّه اشتغل فترة طويلة في طريق مياه مكة، وطلب أنْ يعْهَد إليه بوظيفة المرمّم[638] أحمد الذي يعمل مرمّمًا لوقف مهرماة سلطان براتب 30 أقجه، وذلك بعد وفاة المرمّم أحمد[639].

أمّا في عام 1084هـ 1673م فقد أمر بمنح الشريف القادم من مكّة إلى استانبول كيلتيْن ونصف من الشعير وقطعة خبز كبيرة يوميًّا[640].

ومن التّطبيقات الأخرى التي طبقتها الدّولة العثمانيّة للسادة والأشراف إعفاؤهم من الضّرائب، وبالرّغم من أنّ هذا الإجراء دعا بمرور الوقت إلى ظهور مجموعة من المُحتالين الذين ادّعوا كذبًا أنّهم من السادة والأشراف لكي يتمّ إعفاؤهم من الضرائب، إلّا أنّ الإداريّين- وعلى رأسهم النقيب- تدخّلوا في الموضوع وأعاقوا مثلَ تلك الحيل بسبب جودة إدارتهم لمؤسّسة نقيب الأشراف، وهذا التّطبيق يظهر أمامنا كواحدٍ من الخدمات الهامّة التي قامت بها الدّولة تجاه السّادة والأشراف.

رابعا : الأوقافُ التي تأسّست لأداء فريضة الحجّ بالوكالة

أدّى معظم السّلاطين العثمانيّين وزوجاتُهم ورجالُ الدّولة العثمانيّة فريضةَ الحجّ التي هي أحدُ فروض الإسلام عندما تتسنّى لهم الظروف والإمكانيات بذلك، لأنّ أداء فريضة الحجّ في هذا الوقت كان يتطلّب فترة زمنية تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر ذهابًا وإيابًا، وزمن الرّحلة نفسها، ويرجع هذا الطبع إلى ظروف المواصلات في هذا العهد؛ ولأنّ السّلاطين العثمانيين لم يروْ من المناسب بقاءهم مثلَ هذه الفترة الطويلة بعيدين عن مركز الدولة، وأفتى العلماء بإمكانية أداء فريضة الحجّ بالوكالة، واستنادًا على هذه الفتوى لم تكتفِ زوجات السّلاطين أو بناتُهم وبعضُ الوزراء والإداريّون بأداء الحجّ بالوكالة بل أسّسوا الأوقاف لعمل الحجّ باسمهم كلّ عام.

وكان الشّرطُ الأساسي في هذه الأوقاف هو أداءَ الأشخاص المقتدرين على تنفيذ شروط الحجّ لهذه الوظيفة، وهناك خاصية أخرى في هذه الأوقاف وهي أنها اشترطتْ على هذا الشخص الذي سيقوم بهذه الوظيفة أنْ يؤدّي الحجّ الذي هو مرّة واحدة في العمر كلّ عام، وأوّل مَن أسّس وقفًا لتأدية الحجّ باسمه من السلاطين العثمانيّين هو السّلطان سليمان القانوني، وطبقًا لما ورد بوقفية هذا

السّلطان أنّ الشّخص المقتدر الذي سيؤدّي الحجّ نيابةً عن السّلطان سيمنَح سنويًّا 5000 أقجه، على أنْ يزور الأماكن المقدّسة وعلى رأسها المسجد النبوي، ويدعو للقانوني هناك[641].

وطبقًا للوقفيّة المؤرّخة بتاريخ 10 /رمضان/ 964هـ 24/ 7/ 1557م، فقد طلبَ السّلطان سليم بن السّلطان سليمان القانوني أنْ يكون الشخص الذي سيؤدي فريضة الحجّ نيابة عنه شخصًا مقتدرًا صالحًا من أهل السنة، ويكون قد أدّى الحجّ قبل ذلك، وأن يُعطى نظير ذلك 5000 أقجه، والمذهب الذي يؤيّد هذا الرأي هو المذهب الحنفي[642].

أمّا مهرماه سلطان فقد عيّنت ثلاثة أشخاص ليؤدّوا فريضة الحجّ بالنيابة عنها، وأن يعطى لكلّ واحدٍ منهم 6000 أقجه، وبذلك يكون مجموع ما خصّصته لذلك 18 ألف أقجه[643].

أمّا نوربانو سلطان فقد اشترطت في وقفيّتها المؤرّخة بتاريخ أوائل صفر/ 90هـ 2/ 1582م أنْ يخصّص شخصان قادران على أداء الحج، ويمنح كلّ واحد منهما 200 دينارًا، مقابل قيامهم بأداء الحجّ نيابة عنها، وطلبت السيدة نوربانو أنْ لا يقوم هذان الشّخصان بأداء أيّ عمل آخر غير الحجّ، وأن لا يحوّل هذا العمل إلى أشخاص آخرين إلّا في الضّرورة القصوى[644]، أمّا عائشة سلطان ابنة السّلطان مراد الثالث فقد خصّصت 24 ألف أقجه للشخص الذي سيؤدي فريضة الحجّ نيابة عنها، وأنّه بعد عودته إلى استانبول يهب ثواب الحجّ إلى روحها[645].

كما خصّص المعماري الشّهير المعمار سنان ذلك المعماري الماهر الذي جابت شهرتُه كلّ أرجاء العالم الإسلامي والدّولة العثمانيّة بآثاره 5 أقجات يوميًّا ما يعادل 1.825 سنويًّا للشّخص الذي سيؤدّي الحجّ عنه بالنيابة، واشترط أنْ يكون هذا الشّخص قادرًا على أداء فريضة الحجّ[646].

كما خصّص زال محمود باشا المال لمَن سيؤدّون الحجّ عنه بعد وفاته[647].

أمّا آخر مثالٍ نتحدّث عنه في هذا الموضوع فهو مختلف عن كلّ ما سبق، وهو لفاتح اليمن سنان باشا الذي خصّص الأموال من الوقف الذي أسسه لأداء فريضة الحجّ بالنيابة عنه، بالرّغم من أنّه أدّى فريضة الحجّ بنفسه عام 978هـ 1571م، واشترط في هذا أنْ يقوم أربعةٌ من أهالي المدينة بأداء فريضة الحجّ عنه بعد وفاته على أنْ يتقاضى كلّ واحد منهم 4000 أقجه[648].

VGMAالاسم	الدخل السنوي
بك كوى	51.234
مزرعة قزانلى	5.380
صو صيغيريق	6.664
أخلاطلى	1838
قورد قوفاجة	16739
مزرعة خضر الفقيه	6.931

القسْمُ الثّالث

أوقافُ الحرمين طبقًا لأنواعها،
وحصصُ الحرمين السنوي

أولا : أنواعُ أوقافِ الحرمين

ليست كلّ الأوقاف التي نطلق عليها أوقاف الحرمين واحدة باعتبار الماهية، فبينما انحصر دخلُ بعض الأوقاف على المجالات المختلفة لخدمات الحرمين، وجدنا البعضَ الآخر خصّص لهذه الخدمات إمّا بشرط وإمّا بشكل مباشر، وبالرغم من قلّة عدد الأوقاف التي خصّص دخلُها كلّه لخدمات الحرمين بالنسبة للأوقاف الأخرى إلّا أنّها أغنى من حيث مصادر الدّخل، أمّا الأوقاف التي تدخل ضمن المجموعة الأخرى فتنقسمُ إلى قسمين؛ الأوّل الأوقاف المؤسّسة للخدمات المختلفة وفيها يخصّص جزءٌ من الدّخل لبعض خدمات الحرمين، أمّا الثاني فهي الأوقاف المربوطة بشرط، ويمكن ضمّ أوقاف الذرّية لهذه المجموعة، ويدخل ضمن أوقاف الحرمين أوقافُ الأراضي المشروطة على الحرمين، والمخصّص كلّ دخلها أو قسم منه أو ضريبتُه للحرمين، وكذا أوقاف الدّشيشة التي تأسّست في مصر وما حولها.

1- الأوقافُ المشروط كلّ دخلها على الحرمين

لقد أوضحنا سابقًا أنّ تلك الأوقاف كانت قليلةً من حيث العدد كثيرة من حيث الدّخل، غنيةً من حيث مصادر الدّخل، ولأننا شرحنا كلّ المعلومات المتعلقة بهذه الأوقاف في الأقسام السّابقة فسنتعرّض هنا للأسماء التي قامت بتأسيس تلك الأوقاف فقط:

وقف مهرماه سلطان [649]

وقف مدرسة رستم باشا

وقف لاله مصطفى باشا

وقف معمار سنان لأداء الحجّ بالنيابة

وقف أوزدمير أغلو مصطفى باشا

وقف صفية سلطان

وقف شمس رخسار سلطان

وقف جانفدا خاتون[650]

وقف جعفر باشا

وقف مراد الرّابع

وقف كوسم سلطان

خديجة طورخان سلطان

أوقاف كلنوش والده سلطان

وقف محمد بك أمير سنجق لابطا

وقف مصطفى أغا بن عبد المنان

وقف موصلي أغا

وقف محمود جلبي ابن إبراهيم باشا

2- الأوقافُ المشروط قسمٌ من دخلها للحرمين

معظمُ الأوقاف الواردة في هذه الدّراسة بخلاف المذكور قبل قليل يدخل ضمنَ هذا القسم، وفي هذا القسم من الأوقاف يخصّص الواقفون قسمًا من زوائد أو من مَصادر دخل الوقف للحرمين، أو يخصّص قسمٌ من المال للحرمين إذا كان الوقف وقفَ أموال.

وأحدُ الأمثلة التي يمكن أنْ نضربها على هذه الأوقاف، وقفيّة "ذو الفقار أغا بن عبد الرحمن" أحد دفتردار الترسانة العامرة، وهي وقفيّة مؤرّخة بتاريخ غرة ربيع الآخر/ 1097هـ مارس/ 1686م، فقد جعل الواقف أملاكَه المالية الموجودة بأسكدار وما حولها بمثابة الوقف، وخصّص 10 أقجات للمدرس وأربعة لكلّ طالب في المدرسة الموجودة بجامع آيا صوفيا من الدّخل

الذي سيتحصل عليه من الوقف، كما خصّص 100 أقجه للشخص الذي سيعتني بالكتب، وما بقي من تلك الأموال يرسَل إلى المدينة سنويًّا مع الصرّة[651].

وتدخل وقفيّة زينب سلطان ضمن هذا النّوع من الوقفيات، وهي كأي وقفيّة تبدأ بالبسملة والحمد والصّلاة والسلام، فالحمد لله على نعمه، والصّلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد البسملة والحمد والصّلاة، تأتي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشّريفة التي تحثّ على عمل الخير لنفع الناس ولإرضاء الله، والمكافأة التي سيمنحها الله لمَن يقوم بهذا الخير، ويأخذ هذا القسم مساحة قصيرةً للغاية بعد اسم الواقفة في وقفيّة زينب سلطان، فقد تفكّرت زينب سلطان في النّعم التي أنعم الله تعالى بها عليها، ووكلت إبراهيم أغا بن محمد ليؤسّس لها وقفًا، وطبقًا لما ذكره هذا الوكيل إبراهيم أغا بن محمد أنّ هذا الوقف كان يشتمل على مزرعة و300 رأس من الأغنام، و60 كيلة من القمح، و3 أوان من النحاس، ومجموعة أشياء صغيرة، وكانت تلك المزرعة بمشتملاتها تقع بالقرب من المزرعة المعروفة حاليًا باسم مزرعة جوهر سلطان الواقعة بالقرب من سمنديرة.

وقد حدّدت الواقفة أولًا قيام وكيلها بتأجير الوقف، وتخصيص جزء من المال المتحصّل عليه من الإيجار للمشتغلين في جامع آيا صوفيا، وقد عهد بنظارة هذا الوقف إلى أغوات دار السّعادة لأنّهم كانوا هم المسئولين عن أوقاف المنتسبين للقصر، وقد طلبت زينب سلطان أنْ يوظّف جابي ومعتمد وأمين لجمع أموال الوقف، وبالرّغم من أنّ معظم الواقفين كانوا يعهدون بتولية الوقف لأشخاص أهل لهذا العمل، إلّا أنّ زينب سلطان عملت خلاف هذا وتولّت هي بنفسها شئون وقفها حتّى موتها، ومن بعد مماتها يعهد بتوليته إلى أحد الكتخدا، وهناك شرطٌ آخر يعدّ من الشّروط اللافتة للانتباه ألا وهو إمكانية تغيير بعض الشروط في هذا الوقف على يد أغوات دار السّعادة. والشّرط المتعلّق بالحرمين في وقفية زينب سلطان مختلف- أيضًا- عن بقيّة الوقْفيّات الأخرى، في مثل معظم تلك الأوقاف نجد الواقف يحدّد جزءًا من المال ويخصّصه للحرمين بشكل مباشر، أمّا الواقفة المذكورة فطلبت في وقفها أنْ يوزّع دخل وقفها على فقراء الحرمين في حالة عدم التمكّن من تنفيذ الشروط الواردة بالوقفيّة، كما أنّ قسم الخاتمة في هذه الوقفية أقصر نسبيًّا من الوقْفيّات الأخرى، أمّا تاريخ تنظيم الوقف فهو 21 / صفر/ 1053هـ 11/ 5/ 1643م.

3- الأوقافُ الذّرية

بخلاف بعض الأوقاف التي ذكرناها كالخدمات الخيرية والعمارات والمدارس، كان هناك نوعٌ من الأوقاف اشترط فيه الواقف أنْ يخصّص له المال المتحصّل من الوقف حالَ حياته، ثمّ يكون لزوجاته وأولاده من بعده ثمّ لأحفاده، ويطلق على هذا النوع من الأوقاف عمومًا "الأوقاف الذريّة".

وقد أدّى تصرفٌ كهذا إلى خلق نوعٍ من النزاع بين العلماء، لأنّ الوقف هو تخصيص الملكية والمال للمنفعة العامّة لإرضاء الله تعالى، أي أنّ تخصيص دخل الوقف للخدمات الخيرية شرطٌ فيه، أمّا الوقف الذّرّي يخالف هذا الشرط، ويكون بمثابة الميراث.

كما أنّ مسألة الميراث أوضحت بشكلٍ جيد ومفصّل للغاية في سورة النساء في الآيات من 11-14 وفي الآية 176 [652]، وبالتالي سيظهر لنا علم يسمّى علم الفرائض يختصّ بتنظيم الميراث.

وهناك تفسيرٌ آخر متعلّق بتأسيس الأوقاف الذرية وهو أنّ مَن يؤسّسون تلك الأوقاف يظنّون أنّهم بذلك حافظوا على أموالهم من المصادرة، وذلك لأنّ كلّ الموظفين الذين كانوا يعملون في الدّولة العثمانيّة من أصغر موظفٍ لأكبر موظف كان يجرى عنهم تفتيش، وإذا ما ثبت أنّ أحدهم كوّن ثروة طائلة في فترة قصيرة أثناء خدمته من طريق غير مشروع؛ فإن الدّولة كانت تصادر أمواله، ولهذا السبب كان معظمُ رجال الطّبقة الكبرى يقفون أموالهم وثروتهم على أولادهم[653].

إلّا أنّ بعض الواقفين قاموا بتقسيم أموالهم وثرواتهم في وقفيّاتهم طبقًا لأسس الميراث الإسلامي، واشترطوا- أيضًا- في وقفياتهم قطع مخصّصات الوقف في حالة عدم توافق أولادهم مع الشّروط الأخلاقية، على سبيل المثال في ذلك أراد لالة مصطفى باشا تقسيمَ المال المتحصّل من دخل وقفه الذي أسّسه على أولاده في الشّام طبقًا لأسس الميراث الإسلامي[654]، ونفس الشيء فعله يورجوتش باشا عندما طلب في وقفيّته التي أوقفها على أولاده تقسيمَ أموال وقفه عليهم طبقًا لأسس الفرائض الإسلامية[655].

والجانبُ الذي يتعلق بموضوعنا من هذا الوقف هو تخصيص بعض الواقفين لجزءٍ من دخل وقفه، أو كلّ دخل وقفه، للحرمين بشرط انقراض نسله وذريته.

أ - مسألةُ انتقال أوقافِ الأولاد إلى الحرمين

في الأوقاف الذّرية نجد الواقفين يشترطون تخصيصَ دخل أوقافهم لزوجاتهم أو لأولادهم مِن بعدهم، ويلاحظ وجود عنصر الاستمرارية الذي يفهم من جملة "نسلًا بعد نسل، وفرعًا بعد فرع"، أمّا بعد انقطاع هذه الذرية فنجد بالوقفية كيفية التصرّف بالأموال المذْكورة، والشّرط الذي يلفت الانتباه في هذا النوع من الأوقاف هو أنّ معظم الواقفين كانوا يخصّصون أموالهم لفقراء المدينة المنورة بعد انقطاع ذريّتهم. وبالرّغم من أنّ هذا النوع من الأوقاف بشرطه الذي يدلّ على الاستمرارية يوحي لنا بأنّه من الصّعب انتقال هذا الوقف للحرمين أو لفقراء المدينة إلّا أننا أثناء بحثنا في هذا الموضوع عثرنا على بعض الوثائق التي تدلّ على ذلك.

على سبيل المثال، كُتِبَ حكمٌ لأمير أمراء الشّام في 17/ رمضان/ 981هـ 10/ 1/ 1574م بضرورة عمل مراجعة جديدة لكلّ الأوقاف التي كانت مخصّصة للورثة ثمّ تنتقل للحرمين بعد انقطاع ذرية هؤلاء الورثة؛ لأنّ هناك الكثير من تلك الأوقاف أخفيَ أمرُه حتّى لا يئول إلى الحرمين، ويظلّ في حوزة المنتفعين به، لذا يرجى عملُ مراجعة وحصر لكلّ تلك الأوقاف حتّى تستخدم بما يتوافق مع شرطها[656].

كما أوقفت السيدة همايون خاتون منزلها الواقع بحي غالاطة شاه سوار، واشترطت أنْ يكون هذا الوقف لأبنائها، ولأنّ أبناءها انقرضوا طبقًا لما ورد بالحجة الشّرعية المؤرّخة بتاريخ 19/ محرم/ 1072هـ 14/9/ 1661م، فإنه يجب انتقال دخلِ هذا الوقف لفقراء مكّة المكرمة، وتمّ تعيين الحاجّ حسن خليفة بن عمر من معماري الخاصّة السّلطانية، ومعه بعض الأشخاص، ليقوموا بعمل مراجعة وفحْص للمنزل المذكور ومحتوياتِه حتّى يتّخذوا اللازم حياله، وبالمعاينة تبين أنّ المنزل عبارة عن طابقين على مساحة 343 ذراعًا، فتمّ استئذان متولّيه، وأصبح للإيجار، وذلك لصرف ما يتحصّل من إيجاره على فقراء مكّة منذ ذلك التاريخ[657].

وهذه وقفيّة أخرى من هذا النوع تلفت الانتباه بالشّرط الوارد بها، وهي وقفية لامرأة تدعى هما خاتون بنت محمد حيث أوقفت منزلَها الواقع بحي خوجه خليل باستانبول لنفسها حالَ حياتها ثمّ لامرأةٍ أخرى تدعى محسنة خاتون بعد وفاتها ثمّ لزوجها ثمّ لأولادها ثمّ لفقراء المدينة المنورة بعد انقراض أولادها، ولأن متولي الوقف تحقّق من انقراض أولاد الواقفة في أواخر ذي القعدة عام 1006هـ يوليو 1598م جعل دخل الوقف مخصّصًا لفقراء المدينة، وكتب حكمًا موقّعًا بإمضاء القسام العسكري في استانبول بضرورة إخلاء السّيدة لاله روح المنزل لأنها كانت المستخدمة له في

تلك الأثناء، وادّعت هذه السيدة أنّ المنزل مشروطٌ لها، فُطلب منها إظهار البيّنة على ذلك، فأحضرت السيدة لاله روح سبعة أشخاص من الرّجال والنساء من سكّان الحي، وشهدوا بأنّها كانت من إماء السيدة "هما خاتون" وأعتقت، وأنّ الواقفة اشترطت المنزلَ لها، وبالتالي تأخّر منح هذا الوقف لفقراء المدينة[658].

كما أوقف كلّ مِن علي وبيرام بن خليل منازلهم الواقعة بحي قازغانى سعدي في "قوم قابي" لأولادهم، ثمّ لفقراء المدينة بعد انقراض أبنائهم، وبعد فترة انقطع نسلُ الاثنين، وانتقل دخلُ المنزلين إلى فقراء المدينة، إلّا أنّ سيدة تدعى عائشة خاتون ادّعت أنّها من نسل الواقفين، وبعد التحقيقات اللازمة تبيّن صدق السيدة وأنّها الأحقّ بالمنازل فتُركَت لها[659].

ومِن الأوقاف التي خصّصت للأبناء ثمّ آلت لفقراء الحرمين بعد ذلك الوقفُ الذي خصّصه أبو بكر أغا زاده محمد أغا متولي أوقاف الحرمين، فقد أوقف منزله الكائن بحي الكاتب قاسم باستانبول لأولاده بعد وفاته، ثمّ من بعد أولاده لفقراء المدينة المنورة، وبعد انقطاع ذريّة الواقف قام المتولي بعمل كشفٍ وأجّر المنزل بأجرِ المثْل[660].

وإذا ما وضعنا الشّرطَ الأساسي في مثل تلك الأوقاف وهو (انقطاع الذّرية) نصبَ أعيننا سنجدُ أنّه يبدو وكأنّه بمثابة الحيلة الشرعية، ولكن بالعكس عندما ننظر إلى العصور التي تأسّست فيها تلك الأوقاف سنجد أنّ الوفيات التي كانت تتأتّى بسبب الحروب والظروف الأخرى كانت ستفتح الطريقَ ليس لفناء أسرة بأكملها بل لفناءِ قرية أو قصبة بأكملها، وإذا ما وافقنا على أنّ تلك الأوقاف المذكورة تأسّست في السّنوات التي تلت فتح استانبول، سنجد أنّها أصبحت للحرمين بعد 150 سنة تقريبًا.

وبطبيعةِ الحال يوجد منها ما انتقلَ للحرمين في غضون فترة قصيرة، وهذا بالطّبع يجعل ادّعاءات مَن ينتقدون الأوقاف الذّرية بشدّة بلا أهمية.

ب - بعضُ الأوقاف الذّرية التي تشترطُ انتقالها للحرمين

يمكن رؤيةُ بعض الأوقاف التي تشترط انتقالَ الوقف إلى الحرمين بعد انقراض ذريّة الواقف في هذا الجدول:

اسم الواقف	مكان التأسيس	النّوع	التّاريخ	الشّرط
الحاج إيواز باشا	طوقاد دره قرية قيزيق	أراضي	القرن الـ15	المدينة
إيلالدي خاتون				مكة
فروح شاه خاتون	استانبول			مكة
علي جلبي	استانبول	161390 أقجه		المدينة[661]
محمود باشا	استانبول	7000 ذهبية	878/1473	المدينة
طوتى بنت عبد الله	استانبول دايه خاتون		930/1524	المدينة
قمر خاتون	حلب		939/1532	المدينة[662]
يوسف بن عبد الله	استانبول صارقيز	منزل	950/1543	المدينة
سنان بك	استانبول محلة الحاج أحمد	منزل	968/1561	ساكنو المدينة[663]
أمير محمود جلبي	استانبول	منزل	القرن الـ15	فقراء المدينة[664]
سياوش باشا	استانبول حي الحاج حمزة	أراضي ومنزل	986/1578	المدينة[665]
خوما خاتون	استانبول	خانة	996/1588	المدينة[666]
قاسم أغا	مانياس	خانة	1006/1598	المدينة [667]

آيدين بك	استانبول	منزل	1013/1604	المدينة[668]
حسين أغا	استانبول صوفيالي	خانة	1016/1607	المدينة[669]
حسن باشا	رودس	منزل وأراضي	1017/1608	المدينة [670]
محمد جلبي	استانبول بلاط طوقلو ددة	منزل	1021/1612	المدينة[671]
أحمد باشا	استانبول	منزل	1022/1614	المدينة[672]
محمود بن عبد الله	استانبول	دار	1025/1616	المدينة[673]
خير النساء هانم	استانبول		1029/1620	المدينة[674]
ستى خاتون	غالاطة	3 منازل	1030/1621	المدينة[675]
صفر أغا	أسكدار	أراضي ومنزل	1035/1626	المدينة[676]
صنوبر خاتون	استانبول	إيجار	1038/1629	المدينة [677]
كنجي نهان خاتون	جراح باشا	دار	1042/1633	5 أقجات للمدينة[678]
عبد الكريم بن أحمد	إزمير واستانبول	3 منازل	1047/1637	فقراء المدينة[679]
خورشيد خاتون	استانبول قوم قابي نيشانجي باشا	دار	1047/1637	المدينة[680]

محمد بك	قبرص لفكا	منزلان	1049/1639	لفقراء المدينة[681]
عثمان أغا	أسكدار	منزل وحمام	1051/1641	لفقراء المدينة[682]
على باشا بن إدريس	جزيرة صاقيز	حديقة	1054/1644	المدينة[683]
أم هانى خاتون	استانبول	مزرعة	1067/1657	لفقراء المدينة[684]
مولانا صاري محمد	غالاطة	1340 أقجه	1069/1659	لساكني المدينة[685]
عبد الباقي أفندي	استانبول	أموال	1078/1667	لفقراء المدينة[686]
إلياس أغا	استانبول	منازل	1091/1680	
أمير محمود جلبي	بورصة			نصفه للمدينة[687]

4- أراضي الأوقافِ المخصّصة للحرمين

بالرّغم من وجود أوقاف مخصّصة للحرمين بخلاف الأوقاف المذكورة سابقًا في دفاتر الأوقاف الخاصّة بالقرنين السّادس والسّابع عشر، إلّا أنّ هناك أراض وقُف دخلُها كلّه أو جزء منه أو ضريبتها للحرمين حتّى وإن لم يذكر مؤسّسها، وكانت تلك الأوقاف تُدار بواسطة نظارة الأوقاف الهمايونية مثلها مثل بقية الأوقاف الأخرى، وشاهدنا الكثيرُ من الأراضي في القصبات والقرى والمزارع الموجودة بإيالات الدّولة العثمانيّة، وعلى رأسها الأناضول والرّومللي، وقفت للحرمين، ويمكن حصر أوقاف الأراضي في ثلاثِ مجموعات:

والأراضي العشرية والخراجية التي أصبحت أوقافًا موجودة بشكل عام في مصر وسوريا.

وهي أراض موقوفة طبقًا للنظام الديواني والتّملّك، وحصة الوقف في هذه الأراضي تخصّص من ملكيّة الأرض وليس من المتحصّل منها، وعادة ما تكون تلك الحصّة 5/1 أو 10/1. (مثل أوقاف كلين كيراس).

أو أنْ توقف الضّرائبُ التي تحصّل من الأشخاص الذين يعيشون على تلك الأراضي (مثل أوقاف أريكلي)[688].

وتلك هي الأراضي التي كانت لها حصّة هامّة في أوقاف الحرمين:

أ - إيالة الأناضول

بورصة:

توجد الكثيرُ من الأراضي الموقوفة للحرمين، وخاصّة المدينة المنورة، في بورصة التي كانت عاصمة الدّولة العثمانية.

وقد بلغ دخلُ الأراضي الموقوفة باسم السّلاطين بها عام 937هـ 1530م 1.168.870 أقجه، منها 113.397 كان يجمع من أوقاف المدينة، أمّا في قضاء يني شهر الذي بلغ مجموعُ محصول أوقافها في تك السنة 78.605 أقجه فقد تمّ التحقّق من أنّ هذا الرقم كان 3.302 أقجه[689].

أمّا مجموع دخل أوقاف المدينة المنورة المرتبط بأقضية بورصة وكيته وميخاليج ومانياس ويني شهر في الفترة من عام 1540 إلى عام 1543م؛ فقد بلغ 382.643 أقجه[690].

أوقافُ الحرمين في بيركي:

تقع بيركي حاليًا في حدود إزمير، وكان دخل الضرائب المحصّلة منها ومن المناطق المحيطة بها يخصّص لفقراء الحرمين، مثل أوقاف كلين كيراس[691].

وبينما كانت الأموال المخصّصة للحرمين في الفترة من عام 1588م 1589م قد بلغت 328.829 أقجه[692]، إلّا أنها انخفضت إلى 196.584 أقجه عام 1616م[693].

قره سي (باليق أسير):

كانت أراضي قريتي "بابا درة سي" و"درة" موقوفةً للحرمين، وقد جلبتا دخلًا يقدّر بـ 35.586 أقجه عام 1588م، وفي العام التّالي جلبت دخل يقدر بـ 34.414 أقجه، وبذلك تمّ تسليم 70000 أقجه لمتولّي الوقف ويُدعى إبراهيم بن الحاج نور الله[694].

أنقرة:

كان دخلُ ضرائب قرى باليق حصار وبيدوز وأولوبينار وقارجالى، وكونلر، وجقوردان، وقورقا التابعة لقضاء جوبوق؛ مخصّصًا لفقراء مكّة المكرمة، وقد بلغت تلك المخصّصات عام 1530م 937هـ 21.671 أقجه[695]، وصل هذا الرقم في عام 1588- 1589م إلى 85.870 أقجه[696]، وكما يرى فإنّ دخل أوقاف الحرمين في أنقرة بلغ في خمسين عامًا أربعة أضعاف.

وثمّة وثيقة غيرُ كاملة محفوظةٌ بأرشيف طوب قابي تذكر أنّ السّلطان بايزيد الثاني خصّص دخل قرية تابعة لأنقرة للحرمين[697].

أمّا عيسى بك ابن بايزيد باشا فقد أوقف للمدينة المنورة نصف دخل قرية ياد كار التّابع لقضاء باي بازار بسنجق خداوندكار، وقد أرسل من هذه القرية للمدينة 22.948 أقجه عام 995هـ 1587م[698].

قسطموني:

انحصر دخلُ أوقاف المدينة المنورة في قسطموني بأكمله لخدمات الروضة المطهّرة، وتلك هي الأماكنُ الموجود بها تلك الأوقاف والحصّالات السّنوية لها:

في أعوام 1589- 1590م 189 أقجه من الأوقاف الموجودة بناحية كول[699]، 144 أقجه رسم جباية[700]، و100 أقجه رسوم، و150 رسم الأغنام، 3119 أقجه دخل المزرعة، وبذلك يكون مجموع المتحصّل 3693 أقجه.

أمّا الأوقاف الموجودة بقضاء أراتج فكانت في نفس الفترة 1709 أقجه [701]، كما وقف من ناحية كول للرّوضة المطهّرة 550 جوالًا من القمح، و 240 جوالًا من الحبوب الأخرى، أمّا قضاء

أراج فقد خصّص منه 605 جوالًا من القمح، و480 جوالًا من الحبوب الأخرى[702].

وبلغ إجمالي الحاصلات من تلك الأوقاف في أعوام 1589- 1590م 174.000 أقجه[703].

سينوب:

كانت قرية قرة سراي التابعة لبوياباط، المرتبطة حاليًا بسينوب، موقوفة للمدينة المنورة، وقد احترق الدّخلُ السنوي لتلك القرية ويبلغ 27 مدًّا و5 كيلات من القمح والشعير، وهذا واضحٌ من خلال الحكم الصادر لقضاة بوياباط بأن يذهبوا إلى القرية المذكورة ويتحقّقوا من هذا الأمر[704]، أمّا الدخل السنوي لوقف الروضة المطهّرة بسينوب فكان 10 أقجات[705].

ب- إيالة الرّوملّي:

كانت توجد أراضٍ مشروطةٌ للحرمين في ينيجة واردار التابعة لسلانيك التي كانت أحد مراكز السّناجق الهامّة بالروملي[706]. وتلك هي المبالغ التي جمعت وأرسلت إلى الحرمين من هذه الأوقاف عام 997هـ 1589م:

اسم الواقف	مكان الوقف	المتحصّل منه
من أوقاف الحاج يونس	ينيجه واردار	1500
عيسى بك بن أورانوس	ينيجه واردار	2500
أحمد بك بن أورانوس	ينيجه واردار	5000
المجموع		9000 أقجه[707]

تمّ وقفُ بعض القرى الموجودة بالروملي، وعلى رأسها قرية سكبان التابعة لسليسترة للحرمين[708]، وقد كان يحصّل من رعـايا يانبولو عام 1042هـ 1633م 200 ألف أقجه[709].

ج- الأراضي الموقوفةُ للحرمين في أريكلي

أريكلي مركز أحد الأقضية التّابعة لقرمان حاليًا، وهي أوّل أراضٍ خصّصت للحرمين كوقفٍ في الأناضول، وكان عُشْر محاصيل الأربعة وعشرين قرية والستة عشرة مزرعة التابعة لها يخصّص للمدينة المنورة.

القرى الموقوفةُ للمدينة المنورة في أريكلي:

أويوقارقي، أورتاق حاجي، دورلاس، قالبورجر، طونت، يوا، يونديوان، زامباسين، أدالي، قزيلجة، قوجان، أوريز، حيدر أوغلو، آه قويوق، كيلسمة، كيرلي، جوازن، كوربا، ماغرنا، جوماج، جوركس، يورنوس، بويجا، بوغاز.

المزارعُ الموقوفة للمدينة المنورة في أريكلي:

يعقوب أغلو، أرمغان، شوياب، كورت حاجي، قارجة، ويران، صاري أوغلو، جفلتيكي، أغرايس، ألوان أغلوا، أودال، أوجي جيفتلكلي، طاشاجيل، أوديل طاهر، بايريلي، بيوجك أغا[710].

وعلينا الآن أنْ نوضّح أنّه ليس معلومًا بشكل مؤكّد متى أسّست تلك الأوقاف، وعلى يد مَن أسّست، وقد أوضح إسماعيل حقي القونيوي، ذلك المؤرّخ الكبير الذي أرّخ لمدينة أريكلي والكثير من مدننا التركية، أنّ تلك الأوقاف كانت موجودةً وبنفس الشّكل في عهد سلاجقة الأناضول وعهد القرمانيين، حتّى أنّ هذا المؤرّخ ذكر أنّ إبراهيم بك القرماني ذكر في بعض رسائله أنّ تلك القرى كانت موقوفة للمدينة، إلّا أنّه غير معروف على يدِ مَن أصبحت أوقافًا، ومتى كان ذلك[711].

أمّا فريدون نافذ أوزلوك الذي اضطلعَ بعمل تاريخ للقرمانيّين فيختلف مع القونيوي في رأيه، ويذكر أنّ هذه القرى أصبحت أوقافًا في عهد القرمانيين[712].

وإذا ما وضعنا نقطةَ أسلمة منطقة أريكلي في عهد سلاجقة الأناضول سنقول- وبكلّ راحة- إنّ الاحتمال الأقوى في مسألة وقف تلك القرى كان في عهد سلاجقة الأناضول.

والوقفُ طبقًا للقانون الإسلامي هو تصرّف مؤبّدٌ طوال الفترة التي تستمرّ فيها مصادرُ الدّخل[713]، ولا يمكن تغيير أو إلغاء شروط الوقف، ومن هذا المنطلق فإنّ القرمانيّين حافظوا على الأوقاف التي أسّسها سلاجقة الأناضول للحرمين، وعملوا على استمرارها بنفس الشّكل، وهو ما يوحي بأنها أسّست في عهد سلاجقة الأناضول.

وقد دخلت إمارةُ القرمانيّين في الحكم العثماني عام 881هـ 1476م على يد كديك أحمد باشا، وبعد ضمّها للدّولة العثمانيّة تمّ تسجيل كلّ أراضي الوقف كما تمّ تسجيل كلّ الأراضي الأخرى، وكان لأريكلي مكانٌ في القانون نامه الصادرة في هذا العهد[714]، وهذا يوضّح لنا أنّ الدّولة العثمانيّة كانت تتصرّف من منطلق الأسس والقوانين الإسلامية، وأنها كانت تحافظ على كلّ المؤسّسات الموجودة والسّابقة لها، كما أنّ أوقاف أريكلي كان لها مكان في القانون نامه الصادرة بعد ذلك، وحافظ العثمانيون على وجودها حتّى آخر عهدهم[715].

وفي عام 924هـ1518م أرسل للمدينة المنورة 488 أقجه من محصول قرية تولجة التابعة لأريكلي، وثلثي دخل قرية قبالى، وعشر مجموع دخل قرية سناندي البالغ 2573 أقجه[716].

أمّا في عام 992هـ 1584م وصلت مجموع حاصلات القرى الموقوفة للحرمين من أريكلي 5.800 ذهبية[717].

وفي أعوام 996-997هـ 1588- 1589م جمع السيد صفر أغا متولّي أوقاف أريكلي 585315 أقجه من أوقاف المدينة المنورة في أريكلي، 35.025 أقجه منها متبقية من الأعوام السابقة، و269.390 أقجه دخل عام 1588م، والباقي وهو 228.025 أقجه دخل عام 1589م 997هـ، وقد سلمت هذه الأموال لكلّ من مصطفى وأحمد وعثمان بير أغلو من بوابين الدركاه العالي ليرسلوها إلى استانبول، كما تمّ تسليم مبلغ 52.855 أقجه من دخل قرية قايي التابعة لقضاء نيكده لمَن يهمّه الأمر ليرسلها للقدس[718].

ومع نهايات هذا العهد الذي هو موضوع دراستنا أرسل لفقراء المدينة المنورة من هذه الأوقاف المذكورة 1.928 قرشًا أسديًّا[719].

د- إيالة الروم

أوقافُ الحرمين بقضاء كلين كيراس في أماسيا

أصبح دخلُ بعض المزارع والقرى المرتبطة بنظام الدّيواني والتملك بقضاء كلين كيراس التابع لأماسيا؛ بمثابة الوقف ليرسَل لفقراء المدينة ومكة، ومن غير المعروف- أيضًا- متى تحوّلت هذه الأراضي إلى أوقاف، وعلى يدِ مَن تحوّلت، وطبقًا لنظام التملّك والديواني فإنّ دخل هذه

الأوقاف التي تتكون من 33 قرية و3 مزارع تابعة كلّها للقضاء المذكور بلغت عام 926هـ 1520م قد وصلت إلى 129482 أقجه، بلـغ في عام 984هـ 1576م 172074 أقجه[720].

وتلك هي قرى الوقف التابعة لقضاء كلين كيراس، والدّخل السّنوي لكلّ قرية:

اسم القرية	دخلها عام 984هـ 1576م
قرية العلويّين التابعة لناحية أركوما	9000 أقجه
قرية بوز بكي	30.648 أقجه
قرية فيروزي	9.305 أقجه
قرية قيران	5.587 أقجه
قرية علي شار	15.450 أقجه
قرية يني جه	6.458 أقجه
قرية أميرلي	7.615 أقجه
قرية الحاج يعقوب	8.819 أقجه
قرية أق بينار	8.818 أقجه
قرية كجيد	5.974 أقجه
قرية أولو التابعة لسما إيل	الحاصلات السنوية
قرية قواجيق	الدخل السنوي
قرية المالي	9.173 أقجه
قرية أسكي دن	12.221 أقجه

قرية قرة داكين	7.398 أقجه
قرية حمزه لي	4.398 أقجه
قرية جواني	13.113 أقجه
قرية شهري	5.578 أقجه
قرية قوز سراي	7.165 أقجه
قرية بوغاجيق	3.606 أقجه
قرية قوتلاق	1.920 أقجه
الدخل السنوي لقرية يني جه	12 أقجه
قرية يميشان	6.771 أقجه
قرية أوة جيق	811 أقجه
من أوقاف السّلطان مراد الثالث	ديوان صافجي صنقور
الدخل السنوي لقرية قورقود 8686 أقجه	حصة مكتوبة من البدايتين
قرية قوزلوويران	4.599 أقجه
قرية عمرجة	2.864 أقجه
قرية أوبروك	2.864 أقجه
حصة الضيعة وهي الربع من قرية بان التابعة لأركوما	175 أقجه
قرية قرة داكين	5.250 أقجه

قرية بولاق	22000 أقجه
قرية توطون التابعة لناحية كلد لان	حصة ديوانية
قرية أغاجا ويران	5.900 أقجه
مزرعة جالبولاس التابعة لناحية أشتا قول	ضيعة سنوية
قرية جام أغاجي	دخل سنوي
مزرعة الحاج هالك	1.326 أقجه
مزرعة تورجوت	5000 أقجه [721]

سنجق قيصري:

خصّصت نواحي قرة خويويق ومرعى الشّجر ومراعي القمر بسنجق قيصري لفقراء المدينة المنورة، وقد بلغ مقدار ما وصل المدينة المنورة منها عام 992هـ 1584م 5.950 تيمار ديواني [722]، كما اشترطت أنْ تكون الضرائب المأخوذة من دخل بعض القرى مخصّصةً لفقراء الحرمين، على سبيل المثال تمّ إرسال 616 أقجه كانت حصيلة ضريبة ستة قرى تابعة لهذا القضاء عام 1082 هـ 1671م للمدينة[723]، وكانت أوقاف المدينة المنورة الموجودة بسنجق قيصري تعامل نفس معاملة أوقاف كلين كيراس[724].

طوقاد:

اعتبارًا من عام 984هـ 1576م خصّص لمكّة والمدينة نسبة 10 % من جملةِ المتبقّي من حصيلة الأراضي الموقوفة التّابعة لزاوية وضريح قابيل زاده، وذلك بعد إخراج المصاريف الضّرورية، وطلب أنّ يقوم أمراء مكّة والمدينة بإنفاق هذا المال على خدمات الحرمين وعلى المجاورين، وقد بلغ محصول الوقف المذكور في السنة المذكورة 467 مدا، و15.056 أقجه[725].

هـ- إيالة ذو القادر:

خصّص عشر رسوم مزارع قرية جمولكان التابعـة لمرعش للمدينة المنورة[726].

وقد بلغ مجموعُ دخل أوقاف المدينة المنورة من مزرعة كاوير التابعة لعينتاب في الفترة من عام 1536م إلى عام 1574م 2800 أقجه [727]، كما خصّص جزء من دخل قرية تلفارة البالغ 4281 أقجه للمدينة المنورة في نفس تلك الفترة المذكورة[728].

و- إيالة ديار بكر:

كلّ المعلومات المتعلقة بأوقاف الحرمين الموجودة داخل حدود إيالة ديار بكر بدأت تسجّل في دفاتر التحرير بدءًا من عام 972هـ 1564م، وتلك هي المخصّصات السّنوية وأوقاف الحرمين الموجودة في ديار بكر وما حولها:

اسم الأرض	المحصول بالأقجه
محصول قرية زينل	5887
محصول قرية بلبل	2230
أراضي أوساط	560
إيجار خمسة أبواب خانات	2476
إيجار 47 مخزنًا	4932
3 محاصيل من قضاء حصن كيفا	660
3 قطع أرض	140
إيجار حانوت	40
حديقتان في قضاء أيل	1100

ضريبة مزرعة بدر بك في قضاء جرزه	720
مزرعة قصر الديلان	180
محصول أراضي الزراعة في الرقة	5000
محصول قرية خاص جوندريك في عادل جواز	400
إيجار 32 حانوتًا في ماردين	7400
مقطعات 95 حديقة وبستانًا	5733
إيجار الحوانيت في نصيبين	600
محصول مزرعة أرجيك في حينيص	1000
مزرعة خوشنيك في بتليس خويين	1000
ضرائب قرى أضا وباغ وأغا وألورينا وسلو يران	25130
قرى ميروانك وبيلور وبيرخوش وخانموجاي وكورت في أرجيش	20000
المجموع	89.332 أقجه [729]

كان يخصّص من هذا المبلغ 31.178 أقجه للمصروفات الضرورية في الحرمين، ثمّ يرسل الباقي وهو 58.154 أقجه لمكة والمدينة[730].

أورفا:

أوقف شخصٌ يدْعَى خان من أهالي المدينة الكثير من أملاكه غير المنقولة لمكّة والمدينة عام 924هـ 1518م، وكان هذا الوقف يقضي بأن يتمّ إنفاق المصروفات الضّرورية من المال المتحصّل

عليه من إيجار الأملاك المذكورة قبل موسم الحجّ كلّ عام، ثمّ يرسل الباقي لفقراء مكّة والمدينة[731].

وقد ثبت دخل أوقاف أورفا للحرمين في الفترة من عام 924- 974هـ / 1518- 1566م على ما يلي:

1518/924	1530/929	1548/955	1566/974
13.180 أقجه	15112	27080	66771[732]

أمّا تسجيلات الصّرّة المرسلة عام 1077هـ/ 1666م فقد أثبتت أنّ أوقاف أورفا للحرمين بلغت 30 قرشًا أسديًّا[733].

وان:

أسّس شخص يدعى "سير" أوقافًا للحرمين بمدينة وان وما حولها قبل عام 972هـ 1564م، وكان الدّخل السّنوي لتلك الأوقاف على ما يلي:

المكان الموجود به الوقف	المحصول بالأقجه
قرية أدرميت	29.000
قرية قرة باش	4.900
قرية طورنة مباشري	480
عقار شمران صويي	5.630
قرية خانكي	4.330
مزرعة صوربان	1670
المجموع	46.010 أقجه [734]

أمّا في عام 1077هـ 1666م فقد وصل هذا الرقم إلى 70 قرشًا أسديًّا[735].

ز- أراضي الأوقاف في ولاية الشام:

كانت الشّام تحوزُ على أهمّية كبرى من الناحيتين السياسية والاستراتيجية بين الأراضي العربية التي كانت تديرها الدّولة العثمانية، وكانت الشّام تعدّ بمثابة المركز الثّاني بعد مصر في تيسير شئون الحرمين، لذا أوقف الإداريون والكثيرُ من الأهالي المقتدرين هناك الأوقافَ للحرمين، وأوقاف الشّام من أكبر الأوقاف التي أوقفت للحرمين سواء من حيث العدد أو الكمية، ولهذا كانت ترتّب صرّة من الشّام تلحق بصرّة مصر وصرّة استانبول[736]، وفي عام 1051هـ 1641م بلغ مقدارُ الأموال التي أرسلت للمدينة المنورة من أموال أوقاف الحرمين التي تأسّست في الشّام 853.917 أقجه، منها 654.760 أقجه من دخل الصناديق، و119.985 أقجه كان يجمع بيدِ متولّي أوقاف الحرمين، والباقي وهو 79172 أقجه كان يسلّمه متولّو بقية الأوقاف الأخرى[737]، ونفس الرقم المذكور موجود في دفتر الصّرّة المرقوم برقم 401 والمؤرخ بتاريخ 1099هـ 1688 م.

وهذا- أيضًا- يظهر أنّه لم تحدث أيّة زيادة أو نقص في دخل أوقاف الحرمين التي كانت ترسَل مع صرة الشّام في شريحة زمنية تقترب من النصف قرن، وهذا- أيضًا- يجعلنا نخرج بنتيجةٍ أخرى وهي أنّ الإداريين والنظار الذين كانوا يُديرون الأوقاف في الشّام كانوا يديرونها طبقًا لشروط وغاية الوقف.

ولأنّ مدينة دمشق تقع على طريق الحجّ فإنّ كلّ الحجّاج- باستثناء حجاج مصر- يجتمعون بها، لهذا ظهرت بعض الاحتياجات في بعض الأوقات المحددة، ولكي تنظّم الدّولة العثمانيّة هذا الوضع، ولكي تحلّ بسهولة ويسْرٍ كافّة الخصائص المتعلّقة بالحجّ والحجّاج؛ فإنّها قد حقّقت الخدمات في الشّام بواسطة الأوقاف الموجودة بها أو بواسطة الأوقاف الموجودة في الأماكن الأخرى[738].

وطبقًا للتّسجيلات الموجودة في دفتر الإجمال بالشام المرقوم برقم 1034 فإنّ 21 مزرعة بقصبة الغوطة كانت وقفًا للحرمين[739]، كما كانت قرية كستيفا التّابعة لناحية المرج، ومبلغ 17195 أقجه كان يتحصّل سنويًّا من ناحية قورنة، ومزرعة المرج في بيروت، والأراضي المعروفة باسم إقليم شمر في صيدا كانت كلّها وقفًا للحرمين.

وفي عام 967هـ 1559م بلغ إجمالي دخل التسعة عشر وقفًا للحرمين الموجود بالشام 981.317 أقجه[740].

وفي عهد سليمان بك متولي أوقاف الحرمين في حلب بلغت هبات أصحاب الخير لفقراء الحرمين 55.619 أقجه، وذلك طبقًا لدفتر المحاسبة والمواجب والواردات الخاصّة بالأوقاف في الفترة من غرة شوال 1018هـ حتّى رمضان 1019هـ، وكان محصول الأراضي والحمامات والخانات والحوانيت التابعة للوقف المذكور في نفس الفترة قد بلغ 18.550 أقجه، كان يرسل من هذا المبلغ المذكور إلى مكّة والمدينة 278.798 بارة.

والمعلوماتُ المذكورة سابقًا مسجّلة في دفاتر المحاسبة، وثمّة معلومات أخرى عن كيف كانت تصرف الأموال التي تجمَع وترسَل إلى المدينة، وعلى حسبِ ما ورد بتلك المعلومات كان يخصّص للموظّفين 68.326 بارة، و19.481 لمصاريف الطريق، والباقي وهو 191000 بارة كان يرسل نصفه لمكة ونصفه للمدينة[741].

بغداد:

كان يُحصّل من أوقاف الحرمين ببغداد عام 999هـ 1591م سبعة أحمال من

الأقجات، وكانت ترسل إلى استانبول [742]، وقد تمّ تحصيل مبلغ 169.032 أقجه من أوقف الحرمين الموجودة بالموصل وأراضي الرضوانية في أعوام 997-98 هـ/ 1589- 1590م[743]، أمّا في عام 1077هـ 1666م فقد أرسل من أوقاف الحرمين الموجودة بالموصل وما حولها 70 قرشًا أسديًّا، ومن كركوك وما حولها نفس المبلغ[744].

ح- مخصّصاتُ الحرمين من القرى غير المسلمة:

كان يخصّص للحرمين جزءٌ من دخل الجزية، وذلك طبقًا لما ورد بالوثائق الموجودة في الأرشيف العثماني، وفي حين كانت العديدُ من الفرمانات والأحكام الموجودة في دفاتر المهمّة هي التي تنظّم هذا الإجراء، كان هناك تصريح واضح بمخصّصات جزية الجبران مذكورة في دفاتر

الصّرة، على سبيل المثال أرسل للحرمين مع الصّرّة عام 1077هـ 1666م 3.400 قرشًا أسديًّا كانت جزية عن الأرْمن الذين يعيشون على حدود كلين كيراس[745].

أمّا ما ذكر في دفتر المحاسبة المرقوم برقم 5999 من الدّفاتر المحوّلة من المالية، فيدلّ على وجود تسجيلات لرسوم كانت تحصّل من القرى الأرمينية، وأنه اشترط إرسال جزءٍ من المال الذي كان يحصّل سنويًّا من الأرمن الذين يعيشون في قضائي ميخاليج وعربكير ويبلغ عددهم 3.605 شخصًا، وكان يحصّل عن كلّ شخص 3 بارات كرسوم، وكان المبلغ المجموع من قرى هذين القضاءين 21.612 أقجه[746].

أمّا في عام 1047هـ 1637م فقد ثبت دخل الجزية من الرعايا التابعين لنظارة أوقاف الحرمين الشريفين والموجودين بأراضي الدّولة العثمانيّة المختلفة وعلى رأسها استانبول والمدن الثلاثة، وهي (أيوب وغالاطة، وأسكدار) فكان على ما يلي:

المكان	مقدار الأموال
غالاطة	1.704.640
شهير أميني	775.920
أوقاف استانبول	126.073
الرومللي	
من ألوية ولاية الرومللي	488.612
قضاءا خانقان ومرشان بالروملي	788.830
قضاء يني شهر بالروملي	827.547
أوقاف الحرمين الشريفين	
رعايا كلين كيراس وأرمن استانبول التابعين للحرمين الشريفين	454.080

أوقاف الحرمين الشريفين	42.030
أوقاف الحرمين الشريفين	420.000
أوقاف الحرمين الشريفين	2.960
أوقاف الحرمين الشريفين بقبرص	561.000
من رعايا الحرم	18.000
رعايا أوقاف السلطان	
أوقاف السّلطان علاء الدين	112.869
أوقاف أورخان الغازي	73.160
أوقاف يلدريم بايزيد ببورصة	11.773
أوقاف السّلطان سليم خان	237.500
أوقاف السّلطان سليمان	801.180
أوقاف السّلطان سليمان بمصر	490.000
أوقاف السّلطان سليمان باستانبول	1364.700
أوقاف السّلطان مراد باستانبول	178.600
أوقاف السّلطان مراد بقضاء باش كوبرو	136.700
أوقاف السّلطان مراد	11.520
أوقاف السّلطان مراد	232.750

أوقاف السّلطان مراد	12.840
أوقاف السّلطان مراد	142.500
أوقاف والدة السّلطان مراد	1.603080
أشخاص آخرون	
أوقاف أمير سلطان	690
أوقاف سعدي باشا	48080
أوقاف سنان باشا	4.738
أوقاف سليمان باشا	183.120
أمراء الشام	33.355
أوقاف الشيخ صدر الدين	3960
القدس	127.500
من رعايا الأوقاف	73.200
المجموع	14932.111[747]
أوقاف الحرمين الشريفين	12%.44=1.857.570

5- المخصّصاتُ التي كانت تحصّل من قبائل اليوروك التركية:

من المعروف أنّ الوطنَ الأصليّ للأتراك هو وسط آسيا، وأنّهم كانوا ينتقلون لأوطانٍ جديدة لأسباب مختلفة، وأنّهم ظلّوا فترة طويلة يعيشون على مبدأ التنقل والتّرحال، وبعد أنْ فتحت الأناضول للإسلام على يد الأتراك المسلمين، بدأ الأتراك يتوطّنون هناك وينشرون الإسلام، وبذلك

استقرّ بالأناضول الكثير من القبائل التّركية التي كانت تعيش على حياة التنقل والتّرحال في إيران والقوقاز، ومنذ بدء تشكيل الدّولة العثمانيّة بدأ الأتراك الرّحّل سواء الموجودون في الأناضول أو الموجودون في الأماكن الأخرى وعلى رأسها الرومللي التي فتحت للإسلام حديثًا؛ بدأوا يتوطّنون في الأماكن المناسبة من الأناضول، وبذلك بدأت تلك الأمّة التي اعتادتْ على حياة التنقّل والتّرحال تعيش حياة الاستقرار وتعرف العيش المنظم، وأصبحوا بذلك أصحاب أملاك وبضائع.

ولم تنتقلْ قبائل اليوروك التركية كغيرها من القبائل إلى حياة الاستقرار بل استمرّت في بداوتها وحياة التنقل والتّرحال، ولكنّهم بالرغم من ذلك أعلنوا إسلامهم كبقيّة القبائل التركية الأخرى وتخلّقوا بخلق الإسلام، وكانوا يطبّقون أحكام هذا الدّين الحنيف، ونظّموا حياتهم الاجتماعية طبقًا للأسس الإسلامية.

وقد خصّص قسمٌ من هؤلاء اليوروك الذين كانوا يعيشون بمنطقة مغنيسيا حتّى وقت قريبٍ ضريبتهم لأوقاف السّلطان مراد وأمير البخاري الموجودة في بورصة على أنْ ترسل سنويًّا لفقراء المدينة المنورة، وفي عام 983هـ 1575م سجّلت سبعة منازل في تلك المنطقة لأوقاف المدينة[748].

كما أنّ قسمًا من عشائر اليوروك في نواحي نهر جيحون الذي يفيض على جقور أوه في الجنوب كانوا من رعايا الحرمين[749]، كما كانت تصدر بعض الأحكام والفرمانات بإسكانِ بعض هولاء اليوروك في مقطعات أوقاف الحرمين في منطقة طوروس[750].

هذا بالإضافة إلى أنّ قسمًا من اليوروك الذين يعيشون في سنجق جيرمن كانوا من رعايا المدينة المنورة ([751])، وجماعة يوروك الجوندوذ لو كانوا من رعايا أوقاف الحرمين[752].

6- المنازلُ والحوانيتُ الموقوف أجرُها للحرمين:

دخل إيجار الحوانيت والمنازل كان- أيضًا- نوعًا من أنواع أوقاف الحرمين، وكان الواقفون في هذا النّوع من الأوقاف يوقفون إيجار منازلهم أو حوانيتهم للحرمين إمّا بشكل مباشر وإمّا بأن يشرطوها أولًا لأولادهم ثمّ للحرمين بعد انقراض هؤلاء الأولاد.

على سبيل المثال، أوقف فيروز أغا- أغا باب السعادة- والخازندار في عهد بايزيد الثاني مبلغ 500 أقجه من دخل إيجار حوانيته البالغة 41 حانوتًا وحمّامه الكائنيْن في طوقاد ([753]).

ولأنّ هذه الأوقاف كانت تدخل ضمن الأوقاف الذريّة كما شرحنا قبل ذلك، فإنّنا لن نتمكّن من معرفة في أيّ وقت انتقل إيجارها للحرمين إلّا من خلال الدّفاتر أو الصّرة، والوثيقة المرقومة برقم 21.355 الموجودة ضمن الدّفاتر التي تحوي محاسبة الحرمين في الأرشيف العثماني، تعطي معلوماتٍ مفصّلةً للإيجار الشهري والدّخل السنوي لسبعمائة وثمانين حانوتًا ومنزلًا تقريبًا في استانبول وغالاطة وأيوب وطوب خانة وأسكدار أوقفت للحرمين الشريفين في الفترة فيما بين 1031- 1076هـ / 1622- 1665م.

وبلغ مجموعُ الدّخل الشهري لتلك الأوقاف 34000 أقجه، أمّا الدخل السنوي فبلغ 428.000 أقجه[754].

وطبقًا لدفاتر الطّابو المؤرّخة بتاريخ 947هـ 1540م فقد ثبت أنّ مجموع دخل أوقاف الحرمين المتحصّلة من إيجار مجموعة من الحوانيت والخانات في ديار بكر قد وصل إلى9.583 أقجه [755]، وقد خصّص للحرمين الشريفين 3.240 أقجه من دخل إيجار خان شرف الموجود بنفس الولاية وذلك بمعرفة أحمد جلبي بن لاله زار[756].

وقد اشترط قاضي ديار بكر السّابق مولانا معروف أفندي الدخل السنوي لإيجار منزله الواقع بديار بكر، والذي كان يجلب 4.040 أقجه للحرمين[757].

وفي عام 1077هـ 1666م أرسل لفقراء المدينة المنورة 60 قرشًا أسديًّا من دخل إيجار منازل عمر أغا الصغير[758]، كما بلغ مقدار المال المخصّص لفقراء الحرمين من دخل المنازل التي أوقفها عباس أغا- أغا دار السّعادة- 300 قرشًا أسديًّا[759].

أمّا إيجار حوانيت بيوك بازار الموجودة بقضاء أفلاني الواقع حاليًا في حدود زونجولداق، فقد خصّص لفقراء المدينة المنورة، وبلغ ذلك المبلغ 3.000 أقجه[760].

وبالرّغم من وقف دخل مجموعة من الحوانيت الموجودة بمركز سنجق أسكوب للحرمين، إلّا أنّ هذا الوقف تعطّل عام 1077هـ 1666م[761].

وفي عام 962هـ 1564م كان يرسَل لفقراء الحرمين 7.908 أقجه دخل الإيجار السّنوي لخمسة منازل و47 حانوتًا في ديار بكر، و 7.400 أقجه الدخل السنوي لإيجار 32 حانوتًا في ماردين، و 600 أقجه هي الدّخل المتحصّل من إيجار مجموعة من الحوانيت في نصيبين[762].

كما اشترط حمزة باشا (1014- 1605) الذي كان رئيسًا لكتاب الديوان الهمايوني، وعهد إليه بوظيفة النيشانجي[763]، أنْ يؤجّر منزله الكبير الواقع في حي أمير سنان باستانبول، والذي يضمّ حديقة واسطبلًا ومياه جارية من بعد وفاته، ويخصّص نصف الدخل المتحصّل من إيجاره لفقراء المدينة [764]، (وذلك في أوائل رجب 1010هـ/ 12/ 1601م)[765].

وتلك هي العقاراتُ التي كانت موقوفة للحرمين كالحوانيت والمنازل:

اسم الواقف	مكانه	تاريخه	تخصيصه	مكان صرفه
صنوبر خاتون	استانبول	1038/ 1629	5 أقجه	فقراء المدينة[766]
هاني خاتون	استانبول بايزيد	1014/ 1606	2000 أقجه [767]	فقراء المدينة[768]
فاضل مصطفى باشا	قاندية وإزمير وبلغراد	1089/ 1678	1000 ذهبية	فقراء الحرمين[769]
بيرام كتخدا	استانبول قوم قوبي	1038/ 1629	3 سكات	فقراء الحرمين[770]
رئيس السراجين علي أغا	استانبول قادرغة	1038/1629	3 سكات	فقراء الحرمين[771]
عبد الباقي	سمنديرة	1074/ 1663	إيجار	فقراء الحرمين[772]

أفندي				
مولانا علاء الدين بن علي	سمانويران استانبول	926/ 1520	إيجار	لفقراء الحرمين[773]
محمد أغا بن عبد الرحمن	استانبول آيا صوفيا، قاضى كوى		إيجار	لفقراء الحرمين[774]
خان	أورفا	924/1518	إيجار	لفقراء الحرمين[775]
أبو بكر أغا زاده	استانبول		إيجار	لفقراء المدينة[776]
همايون خاتون	غالاطة شاهسوار محله سى	1072/ 1661	إيجار	لفقراء مكة[777]
حسين كتخدا	صابون خان بقبرص	1008/ 1599	500 سكة	المدينة[778]
خورم جاوش	استانبول بايزيد	1013/ 1605	2000 أقجه	المدينة[779]
عباس أغا	ممر إسماعيل بنهر الطونة		3000قرشا أسدي	فقراء الحرمين[780]
محمد باشا بن حسين	استانوبل قره باشا محله سي	1081/ 1670	1500 أقجه	فقراء الحرمين[781]
عثمان أغا	أسكدار	1051/ 1641	إيجار	فقراء المدينة[782]
حسين أغا	استانبول	1016/ 1607	إيجار	للمدينة[783]

	صوفيا لي			

ثانيا : أوقافُ الدّشيشة:

1- بعضُ التّطبيقات المتعلّقة بالدّشيشة:

عندما ضمّ السّلطان سليم مصرَ والحجاز للدّولة العثمانيّة عام 923هـ/ 1517م أبقى على أوقاف الدّشيشة وإدارتها التي كانت موجودة قبل ذلك كما هي، مثلَها مثل باقي المؤسّسات الأخرى التي أبقى عليها.

وفي عام 946هـ/ 1539م ضمّ السّلطان سليمان القانوني لأوقاف الدشيشة هذه محاصيل 12 قرية تابعة للقاهرة وأشمون وبولاق والجيزة، كانت تلك القرى تدرّ دخلًا سنويًّا من المال 342.396 بارة، ومن الحبوب 15.000 أردبًّا[784]، ولنقل تلك الحبوب أمرَ بصُنع سفينتين، أبعاد كلّ واحدة منها 33 × 11.5 ذراعًا و 36× 12 ذراعًا، ولحفظ الزيادات التي ستحصّل في المحصول السنوات التالية أمرَ بصُنع مخزنين في القاهرة وبولاق، وخصّص تلك المخصّصات للعاملين بها:

للبحّارة	800 أردبًّا من الحبوب
للنجّارين	60 أردبًّا من الحبوب
للعمّال	280
للحمّالين	1.500(لأعمال التخزين في بولاق والمركز من قرى الدشيشة)
لعمّال النقل	33 أردبًّا من الحبوب
للبوّابين	5 أردبات من الحبوب
للسيّاس	50 أردبًّا من الحبوب

لنوّاب الحراسة	20 أردبًّا من الحبوب
لموظّفي الملاحظة	16 أردبًّا من الحبوب
للكتبة	10 أردبات من الحبوب
لكتبة المخازن	10 أردبات من الحبوب
للصّرافين	10
للخدم	5
سيّاس القافلة	10
للسّقائين	10[785]
المجموع	2.099 أردبًّا

وقد اشترط القانوني تخصيصَ 6000 أردبًّا من دخل أوقاف الدشيشة توزّع بالتّساوي على كلّ أهالي الحرمين دون تفريق بين حرٍّ أو عبد أو كبيرٍ أو صغير أو رجلٍ أو امرأة، وعلى الذين هاجروا من البلدان الإسلامية واستقرّوا بمكة والمدينة، وأبناء السبيل[786].

وتلك هي الرّواتبُ التي كان يتقاضاها الموظّفون الذين يعملون في هذا الوقف:

الوظيفة	الرّاتب السّنوي
ناظر الوقف	7000 قطعة
قاضي مصر	4000
المباشر	3000
المشد	3000

الصرّاف	2000
الشّاهد	3000
الجنود المحافظون	1000
أجرة النقل	8000
للمتسلم الذي في الحرم	500
للشاهدين	400
للموظّفين المختلفين	20000
المصروفات العامّة للوقف	2000 أردبًّا من القمح [787]

والشّرطُ الذي يلفت الانتباه في الوقفية هو:

لا يتمّ توزيع قسمٍ من دخل تلك الأوقاف، بل تجمَع وتحفَظ لأربع سنوات، وتوزّع على الفقراء أصحابِ الحاجة الذين تضرّروا من الآفات الطبيعية كالسيول والحرائق وغيرها، وفي حالة عدم وجود مثل تلك الحالات يُضاف هذا المبلغ إلى أوقاف الحرمين لزيادته[788].

وقد أضاف أبناءُ وأحفاد السّلطان القانوني الذين اعتلوا عرش الدّولة العثمانيّة من بعده للدّشيشة، حتّى أنّ مقدار الدّشيشة المرسلة للحرمين في عهد مراد الثّالث وصل إلى 42.000 أردبًّا، أمّا دشيشة القانوني فكانت 15.000 أردبًّا.

وفي صفر عام 978هـ/ 7/ 1570م أعطت "نوربانو والدة سلطان" مبلغ 12.000 عملة ذهبية من مالها الخاصّ لأمير أمراء مصر ليشتري بها القرى للدّشيشة، واشترطت في ذلك إرسال محاصيل تلك القرى للحرمين[789].

كما أضاف محمّد الثالث لأوقاف الدشيشة 24 قرية في مصر يبلغ محصولها السّنوي 12.000 أردبًّا[790].

وقد تحقّقنا من أنّ مجموع محاصيل أوقاف الدشيشة في الفترة 1000-1001هـ/ 1591-1592م بلغت 1.678.643 بارة، إلّا أنّ هذا الرقم سجّل على أنّه 7.00.000 كرقمٍ للمحاصيل التي لم يتمّ التمكّن من تحصيلها قبل ذلك[791].

وإذا لم يفِ المحصولُ المرسَل من أوقاف الدشيشة باحتياجات الأهالي في الحرمين، يتدارك ما حدث فيه العجز من خزينة مصر، فقد طلب السّلطان سليمان القانوني من أمير أمراء مصر إرسال 1.500 أردبًّا نظرًا لأنّ الدشيشة المرسلة لم تفِ بالغرض، وذلك في 26/صفر/ 967هـ/ 27/11/ 1559م[792].

لقد تصرّفت الإدارة العثمانيّة بحساسية شديدة تجاه أوقاف الدشيشة التي كانت لها أهميّة كبرى للحرمين، وكانت ترسل الأحكام والفرمانات لأمير أمراء مصر وإداريي مكّة والمدينة وناظر النظّار وإداريي أوقاف الدشيشة لتفادي أيّة عقبات أو مشكلات تظهر في توزيع أوقاف الدشيشة، وكانت تبذل مساعيها لعدم ظهور أيّ سوء استعمال.

وعلى حسب ما ورد بالحُكم المرسَل لأمير أمراء مصر في 11/ ذي القعدة/ 975هـ/ 8/5/ 1566م فإنّ قمح الدشيشة المرسَلة للحرمين في ذات السنة المذكورة؛ لم يصل للفقراء، وعندما وصل هذا الخبر للقصر العثماني، طلب القصر التّحقيق في الأمر بشكل عاجل، وما هي الأسباب التي أخّرت وصول الدشيشة والسّبعة آلاف أردبًّا من القمح التي أوقفها السّلطان للحرمين، وطلبت- أيضًا- تلافي هذا النقص في أقصر وقت، وسرعة إرسال الدشيشة كلها[793].

وكانت محاصيل الدشيشة التي تجمع من مصر وترسَل إلى الحرمين سنويًّا تسجّل في دفاتر مفصّلة، وتخطر بها استانبول على شكل تقرير يعدّه أمير أمراء مصر، والحكم المؤرّخ بتاريخ 12/ ذي الحجة/ 978هـ/ 5/7/ 1571م يوضح لنا أنّه لم يتسنّ جمعُ محصول الدشيشة اللازم جمعُه في بدايات عام 977هـ/ 1571م، فطُلب من مصطفى بك ناظر الدّشيشة جمعُ مبلغ 210.000 بارة وإرسالها للحرمين، ونفس الوثيقة تسجل إرسال مبلغ 9.289 ذهبية لمكة المكرمة في أعوام 977-978 هـ/ 1571-1572م[794].

وأظهرت الإدارة العثمانيّة اهتمامًا كبيرًا في مسألة نقل الدشيشة، على سبيل المثال طلبَ من ناظر الدشيشة أنْ يتدارك الإبلَ ووسائل النقل الأخرى اللازمة لنقل 6000 أردبًّا من القمح كانت محفوظة في مخازن بولاق عام 998هـ 1572م، كما طلب منه إرسال الدشيشة التي ترسل[795].

وأحدُ السّلبيات التي كانت متعلّقة بنقل الدشيشة كانت مع التجار، لأنّ بعض هؤلاء التجّار كانوا يحتكرون تلك الدشيشة التي هي حقّ لفقراء الحرمين، والنتيجة ظلمٌ كبير وقَعَ على فقراء الحرمين، وقد اتّخذت الدّولة إجراءاتٍ صارمةً لمواجهة هذه الانحرافات، بأنْ أمرت بمصادرة أموال التجار الذين يثبت في حقّهم أنّهم احتكروا الدّشيشة [796]، ولم تكنِ الانحرافات في النقل مقتصرةً على مثل تلك الانحرافات فحسب، بل كانت تتمثّل- أيضًا- في مغالاة التجار في أسعار النقل في الأوقات العصيبة، وهو أمّا أدى إلى تأخّر إرسال الدشيشة- أيضًا-[797].

ولا شكّ في أنّ الانحرافات الخاصّة بالنقل لم تكن محدودة بهذا فقط، بل كانت تتعدّاها إلى جوانبَ أخرى من الانحرافات على سبيل المثال وصل محصول قرى أوقاف خاصكي سلطان في مصر إلى الحرمين عبر طريق جدة وينبع في 28/ جمادى الأخرى/ 990هـ/ 21/6/ 1582م، إلّا أنّه لم يوزّع على الفقراء كما اشترطت الواقفة في وقفها بل وزّع على الأغنياء، ولتسوية هذه الانحرافات كتبت أحكامٌ لقضاة مكّة والمدينة بوجوب توزيع الدشيشة بشكل عادل[798].

وطبقًا لما ورد في دفتر المحاسبة المؤرّخ بتاريخ 28/ ذي القعدة/ 1080هـ/ 19/4/ 1670م فقد بلغ عددُ أوقاف الدّشيشة الكبرى الموجودة في السويس حتّى هذا التّاريخ كان 345، ولكنّ الكميات المحصّلة كانت مختلفة عن هذا العدد[799].

2- إدارة أوقاف الدشيشة:

منذ أنْ دخلت مصر تحت الإدارة العثمانيّة وعددُ أوقاف الدشيشة ودخلُها في زيادة مستمرّة، وبعد أنْ زادت تلك الأوقاف في عهود القانوني وسليم الثاني ومراد الثّالث فقد تأسّست نظارة وقفيّة أطلق عليها "ناظر النظار" لإدارة تلك الأوقاف الخاصّة بالدّشيشة بشكل آمن وسليم، وغير معلوم بشكل قاطع متى تأسّست تلك النظارة، ولكنّها كانت تعمل بتعْيين الأشخاص ذوي الخبرة في شئون الحرمين[800].

وكان هؤلاء النّظار ينظرون في شئون المصروفات والواردات الخاصة بأوقاف الحرمين في مصر وحلب والشّام، بالإضافة إلى تنظيمهم لمسألة المبالغ المخصّصة للأشخاص الذين سيأخذون منها، وكان هؤلاء النّظار مسئولين عن توصيل المحصول المجموع من مصر إلى السويس ومنها إلى ميناء ينبع، وكانوا يعيّنون الموظفين الذين لهم خبرة بشئون الأوقاف، وكانوا مسئولين- أيضًا- عما في المخازن من أرزاق [801]، وظلّ هؤلاء النّظار يرأسون الموظفين الذين يعملون في شئون الوقف تحت نظارتهم في بادئ الأمر، ثمّ أصبحوا يعطون هذه الأعمال للموظّفين على شكل الالتزام اعتبارًا من نهايات القرن السادس عشر[802].

ويقوم نظارُ أوقاف الدّشيشة بتقديم كشوف لحساباتهم عن المحاصيل التي حصلوا عليها من الأوقاف التي ذكرناها فيما سبق بشكل سنوي، كما يقومون بإطْلاع شيوخ الحرم وقضاة مكّة والمدينة على وثائق الدشيشة التي تحدد كيفية توزيعها؛ على مَن ستوزّع وحصة كلّ شخص[803].

وكان ناظرُ الأوقاف الموجودة في مصر هو نفسه ناظرَ الأوقاف الموجودة بالشّام، ولهذا كانت مصر ترسل كميّات من محاصيل ودخل أوقافها للشام في حالةِ الضرورة نظرًا لأنّ الشّام كانت بمثابة مركز التجمّع على طريق الحج، على سبيل المثال خصّص مبلغ 7.990 بارة للجنود المصريّين الذين كانوا مكلفين بحماية الحجّاج السّوريين وطريق الحجّ في الشّام وذلك في الفترة 1004- 1020هـ/ 1596- 1611م[804].

وهذه وثيقةٌ أخرى كتبت للوزير الأعظم سنان باشا في 16/صفر/ 978هـ/ 20/ 7/ 1570م طلب منه فيها شراءُ الطّعام والشراب والإبل اللازمة للحجاج بخمسمائة عملة ذهبية من خزينة مصر، وأنْ ترسل هذه الأشياء إلى الشّام بناء على طلب أمير أمرائها وقاضيها[805].

وفي الفترة فيما بين عام 1076- 1082هـ/ 1665- 1672م أرسل من المخازن الموجودة بمصر مبلغ 69.083 باره للحرمين[806].

وكانت الأوقافُ التي يديرها نظّار أوقاف الدشيشة على خمسة أقسام:

أ- أوقافُ الدّشيشة الكبرى:

وهي الأوقافُ التي تأسّست على يد السّلطان جاقمق وقايتباى وأمير تمم في العهد المملوكي، ثمّ أضيفت لها مصادر دخل جديدة، ونمت في عهد السّلطان سليم والسّلطان سليمان القانوني، وفي حين كان يرسل للحرمين من هذه الأوقاف في عام 991هـ/ 1583م 4.000 أردبًّا من القمح، وصلت هذه الإرسالية إلى 6.000 أردبًّا في عهد السّلطان مراد الثالث[807].

ب- أوقافُ الدّشيشة الصغرى:

وهي الأوقاف التي تأسّست في عام 991هـ/ 1583م على يد السّلطان مراد الثّالث، وفي حين كان دخل هذه الأوقاف في تاريخ تأسيسها 425000 بارة، و 2.000 أردبًّا من القمح، وصل دخلها وقتَ احتلال الفرنسيين لمصر 969.857 بارة، 3.840 أردبًّا[808].

ج- الأوقافُ المحمّدية:

وهي الأوقاف التي تأسّست في عهد السّلطان محمد الرابع، كان يرسل للحرمين منها وقتَ تأسيسها 300.000 بارة، و10.000 أردبًّا من القمح.

وصل هذا الرقمُ وقتَ احتلال الفرنسيّين لمصر إلى 1.206.274 بارة، و20.789 أردبًّا من القمح[809].

د- أوقافُ الحرمين بمصر:

اسمٌ أعطي لأوقاف خاصكي سلطان التي كانت استمرارًا للأوقاف المملوكية ضيّقة النّطاق في مصر، بلغ دخلها 938.670 بارة، وكمية من القمح[810].

هـ- الأوقافُ الأحمديّة:

هي الأوقافُ التي أسّسها السّلطان أحمد الثاني، بلغ دخلها حين تأسيسها 300.000 بارة، أمّا وقت احتلال الفرنسيّين لمصر وصل هذا الرقم إلى 575.000 بارة[811].

1- دورُ مصر وأهميّتها في خدمات الحرمين

كانت مصر مركزًا يحمل أهميّة كبرى بالنسبة للإدارة العثمانيّة مقارنة بالعهود السابقة لها من الناحية الاقتصادية والسياسية وخدمات الحرمين التي تعدّ أهمّ ما ذكر.

وكان أميرُ أمراء مصر مسئولًا عن توطيد الأمن واستتبابه بما يتوافق مع ظروف المنطقة، وكذا مسئوليتهم عن عمل تناغم بين الأركان الملكية والعسكرية، وكانوا- أيضًا- يهتمّون عن قرب بحلِّ القضايا المالية والعسكرية لإيالات الحبشة واليمن وطرابلس الغرب والقضايا المتعلقة بشئون الحرمين طبقًا لما يتّفق مع السياسة العثمانيّة[812].

وكان أميرُ أمراء مصر هو أعلى مسئول عن الخدمات المالية للحرمين وأوقافه الموجودة بمصر، وإلى جانب تلبيته احتياجات الفقراء من الغذاء، كان- أيضًا- يتحمّل من خزينة مصر قسمًا كبيرًا من مصاريف الترميمات والإنشاءات التي تتمّ في الحرمين[813].

وكانت كلّ الشئون الخاصّة بمكّة والمدينة تكتب في البداية لأمير أمراء مصر، ثمّ يعرضها هو بدوره على استانبول، وبالرّغم من أنّه كتب خطابًا لشريف مكّة عام 986هـ/ 1578م طلب منه فيه أنْ يعرض كلّ المعلومات الخاصة بالحرمين على أمير أمراء مصر[814]، إلّا أنّ هذا الإجراء لم يستمرّ طويلًا، وبدأت مكّة والمدينة تعرض مطالبها بشكل مباشر على استانبول من عام 990هـ/ 1582م، ولكن نظرًا لأنّ إدارة الدّولة العثمانيّة رأت أنّ تطبيق هذا النظام سيؤدي إلى مزيدٍ من البيروقراطية فقد أصدرت حكمًا في 25/ ذى القعدة/ 990هـ/ 21/12/ 1582م طلبت فيه أنْ يعود النظام القديم في الإدارة بأن تعرض المسائل أولًا على أمير أمراء مصر ثمّ يعرضها هو على استانبول[815].

وكان استتبابُ الأمن في مكّة والمدينة سواء فى وقت الحجّ أو في سائر الأوقات الأخرى من مسئولية سبع فرقٍ عسكرية من مصر، وكان هؤلاء الجنود يغيّرون أماكنهم بالمناوبة كلّ عام، ولاستتبابِ الأمن في مكّة والمدينة في وقت الحجّ كان يتمّ تدارك الجنود من الشّام إذا كان هناك نقص في عدد الجنود المصرية[816].

كما كانت الخزينةُ المصرية تتحمّل نفقات الذاهبين للحج مستخدمين الطريق البحرى الذي يبدأ من استانبول ويمرّ بمصر[817].

وقد صرف من خزينة مصر لشئون الحرمين في أعوام 995-1006هـ/ 1586- 1597م 10% من جملة الخزينة المصرية، هذا بخلاف محاصيل الأوقاف الخاصّة بتلك الفترة، ويمكن تصنيف تلك المصروفات على ما يلي:

لقائد القافلة المكلف بتوصيل الحجّاج إلى مكة	400.000 بارة
لفقراء الحرمين	1.327040 بارة
للشئون الأخرى	2.630985 بارة
المجموع	4.358025 بارة[818]

أمّا في عام 1021هـ/ 1612م فلم تحدث زيادة في هذه الأرقام، وثبت أنّ مخصّصات مصر بلغت 4.392.331 بارة (109.808 ذهبية)[819].

أمّا في عام 1082هـ/1671م فقد ارتفع المبلغ المخصّص للحرمين ليصل إلى 8228002 بارة[820].

ويمكننا القول بعد هذا أنّ المبلغ الذي سلّم لأمير الحجّ من خزينة مصر في العام التالي لضمّ مصر للدّولة العثمانيّة أي في عام 1518م كان 450.000 بارة؛ انخفض هذا الرقم- ولأسباب مختلفة- ليصل إلى 400.000 أقجه في عام 1004هـ/ 1596م، ثمّ ارتفع مرّة أخرى عام 1032هـ/ 1623م ليصل إلى 542.000 أقجه[821].

كما خصّص للحرمين سنويًّا من خزينة مصر 4000 أردبًّا من القمح بخلاف أوقاف الدّشيشة[822]، أمّا في عام 1053هـ/ 1643م فقد بلغ إجمالي ما أرسل للحرمين 4.596.445 بارة، من خزينة مصر التي بلغ أجمالي وارداتها في تلك السنة 21417444 بارة، وكان نصيب ما أرسل من دخل الصرّة في تلك السنة 3390.931 باره، أمّا المبلغ المتبقي وهو 1.205.524 بارة فخصّص لسائر الاحتياجات الأخرى في الحرمين[823]، وهذا يظهر لنا أنه قد أرسل من خزينة مصر للحرمين في تلك السنة 21.4 % من إجمالي ما بالخزينة.

وثمّة نوعان آخران من الأوقاف التي كانت ترسَل من مصر إلى الحرمين، الأوّل منها أوقاف البال جيق[824]، والثاني أوقاف اليونجة، وتوجد إشارة لهذين الوقفين في حكمٍ مرسَل إلى أمير أمراء مصر ودفتردارها في 6/شعبان/ 987هـ/ 28/ 7/ 1579م، وطلب من إسكندر باشا أمير أمراء مصر أنْ يخصّص مبلغ 300 عملة ذهبية من الحصّة التي كانت مخصّصة له من هذه

الأوقاف (البال جيق)، لترسل لفقراء الحرمين سنويًّا، كما طلب منه في هذا الحكم المرسل إليه أنْ يرسل للحرمين الدّخل المتحصّل من 600 أردبًّا من اليونجة التي كانت موقوفة لفقراء الحرمين[825].

القسْمُ الرّابع

إرسالُ أوقاف الحرمين ومؤسّسي الوقف

أولا : الصّرّة:

الصّرّة اسمٌ من أصل الفعل الماضي صّر، وتعني الكيس، أو كيس النقود، أو الحافظة التي يحفظ بها الأقجات أو الدنانير[826].

أمّا معناها في الاصطلاح فتعني الأشياء التي كانت ترسلها الدول الإسلامية في شهر رجب لتوزّع على أهالي الحرمين منذ العهد العباسي[827].

ويستدل من دفاتر الصّرّة ومن وقْفيّات الحرمين على أنّه لم يكن هناك أي وقفٍ يطلق عليه وقف الصّرّة، ولكن نظرًا لأنّ الواقفين كانوا يطلبون إرسال ما يرسلونه لأهالي الحرمين من أموال ومخصّصات مع الصّرة، ويشترطون توزيعها على يِد موظّفي الصرّة؛ كان يطلق عليها أوقاف الصّرة.

وقد أرسلت أوّلُ صرّةٍ للحرمين في عهد العباسيين، وسارت الدول الإسلامية المختلفة على نهجها في ذلك، أمّا الدّولة العثمانيّة فقد أرسلت أوّل صرّة للحرمين في عهد بايزيد الأول، وبعد ضمّ مصر والحجاز لها استمرّت في إرسال الصّرّة دون إنقاص لها.

إلّا أنّ أقدمَ وثيقة عثمانية متعلّقة بالصّرة مؤرّخة بتاريخ 2/ صفر/ 967هـ 3/11/ 1559م[828]، أمّا المعلومات المتعلقة بالصّرة قبل هذا التاريخ فتوجد في الكتب التاريخية التي تسرد التاريخ سردًا زمنيًّا، وورد في الوثيقة المذكورة أنّ بعض الأشخاص الذين يقيمون في مكّة وما حولها- وليسوا من أهلها- أخذوا بغير وجه حقّ من الأموال التي كان يلزم إعطاؤها للفقراء، وكتب حكم لقاضي مكّة بأن ينهي مثلَ هذه التصرفات.

ويوجدُ للصّرّة مصدران للدخل:

1- **الهدايا الخاصّة من سلاطين العصر:** وكانت تلك الهدايا تمنح لأهالي الحرمين، وذوي الحاجة والفقراء وقارئي القرآن في الأماكن المقدسة ورجال الإدارة في الحرمين.

2- **مخصّصات الأوقاف:** حيث كان يتمّ جمعُ المخصّصات المشروطة للحرمين، وترسَل لتوزّع على مَن يستحقونها.

ويوجد بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء التركية 4.170 دفترًا للصرّة في الفترة من عام 1009- 1328هـ / 1600- 1910م، وقد جمعت كلها في فهارس باسم دفاتر الصرّة بنظارة الأوقاف، وأوّل 429 دفترًا من تلك الدّفاتر المذكورة متعلّقة بفترة دراستنا هذه، وأقدمُ دفتر من تلك الدّفاتر موضوع دراستنا يعود لعام 1009هـ 1600م، أمّا آخر تاريخ بها 1101هـ 1690م، وتلك هي أسماء دفاتر الصرّة المرسلة للحرمين في تلك الشريحة الزمنية التي تبلغ 90 عامًا تقريبًا، وأوّلُ وآخر أرقام بها:

اسم الدّفتر	أوّل	آخر	المكان المرسَل إليه
من الدّفاتر المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والحلبية	1	419	المدينة
من الأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والرومية الجديدة والخاقانية	3	411	مكة
من الأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والرومية الجديدة والخاقانية	12	410	المدينة
من أوقاف ضريح السّلطان مراد خان	16	414	مكة
من أوقاف ضريح السّلطان مراد خان	18	413	المدينة
من الأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدّفتر والحرمين الشريفين	8	86	مكة والمدينة
من أوقاف حسين باشا سردار كريت	20	415	المدينة
من أوقاف حسين باشا سردار كريت	21	416	مكة

من أوقاف والدة السّلطان مراد الثالث	95	417	المدينة
من أوقاف والدة السّلطان مراد الثالث	96	418	المدينة
من محاصيل لوجوس وشابش التابعتيْن لـ (يان أوه)	60	292	مكة
من محاصيل لوجوس وشابش التابعتيْن لـ (يان أوه)	393	64	مكة والمدينة
من الأوقاف الأخرى التي في الدّفتر والآستانة	106		القدس والشام
من أوقاف الدشيشة الكبرى والصغرى	164		مكة والمدينة
من دخل المقطّعة والجمرك للشام ونواحيها ومن زوائد أوقاف مصر	192		العربان في طريق الحجّ
فوينوك أحمد أغا وحسين الصغير	215	420	المدينة
فوينوك أحمد أغا وحسين الصغير	228	421	مكة
من أوقاف أصحاب الخيرات في الشام	243	401	المدينة
من الأوقاف المار اسمها في الدّفتر وصدقة السّلطان السلطانية الرومية الجديدة	145		مكة
لقبائل بني صخر وعنزة من أموال طرابلس الشّام والسلطنة السنية	398		طريق الحج
جزية الأرمن	48		المدينة
من أوقاف إيجار خان صابون والحلبية وخوجة عمر أفندي ومن الأوقاف الأخرى التي في الدفتر	170	419	المدينة

وكما هو واضحٌ من الجدول أنّه كانت ترسل كلّ عام للحرمين صررٌ كثيرة بأسماء مختلفة، وهذه الصّـررُ كانت تنظّـم أحيانًا في دفتر واحـد، أو في 23 دفترًا أخرى مختلفة[829].

وبسبب كثرة الدّفاتر وعدم ظهور أي اختلاف في مخصّصات الأوقاف في السّنوات المتعاقبة؛ اتّخذت أقدم الدّفاتر كأساسٍ لآخر الدّفاتر المنظمة في الشريحة الزّمنية التي نعمل عليها، على سبيل المثال تمّ تقييم الدفتر المعنون بعنوان "الصّررُ المرسَلة للمدينة من الأوقاف المدونة باسم الخاقانية والرومية الجديدة"، واتّخذت الدّفاتر المرقومة برقم 12 والمؤرخة بتاريخ 1052هـ 1642م وكذا الدّفاتر المرقومة برقم 410 والمؤرخة بتاريخ 1100هـ 1689م؛ كأساس لها في التقييم.

ومِن ذلك- أيضًا- الدّفاتر التي تضمّ الصّرّة التي كانت ترسل إلى مكّة من أوقاف الغازي حسين باشا سردار كريت رجعنا فيها لأوّل دفتر ذكر به ذلك وهو الدّفتر المرقوم برقم 20 وآخر دفتر مرقوم برقم 415، أمّا صرتُه التي كانت ترسَل للمدينة فكان أوّلُ دفتر يضمّها مرقومًا برقم 21، وآخر دفتر مرقوم برقم 416.

وعلى ضوء تلك المعلومات المقدّمة يمكن دراسةُ دفاتر الصّرّة طبقًا لماهيّتها على قسمين:

الأوّل: دفاترُ التوزيعات، وتضمّ تلك الدّفاتر مَن لهم الحقّ في الأخذ من الصّرة، ومَن سيكون لهم نصيبٌ منها مجدّدًا، ومَن سيأخذون منها من الذين وطّدوا الأمنَ في طريق الصرّة.

أمّا القسمُ الثّاني منها فهي دفاترُ التّخصيصات، وهى الدّفاتر التي تضمّ المخصّصات السلطانية للحرمين، ومقدار ما تمّ جمعه من الأوقاف المشروطة للحرمين.

1 - توزيعُ الصّرة:

كان توزيع الصّرّة في الحرمين يتمّ على الأسس المثبتة فيما سبق، أي أنّ الموظّفين في مكّة والمدينة كانوا هم الذين يحدّدون مَن سيأخذ من الصّرّة ومقدار حصّته منها، وأيّ مؤسّسة سيكون لها نصيبٌ منها ومقدارُ هذا النصيب الذي ستأخذه، وكان يظهر أثناءَ هذا العمل مَن تنقطع صرّتهم لأي سبب ما، وحصص لا يكون لها أصحابٌ بسبب موت أو هجرة، ويوضّح دفتر الصّرّة المرسلة للمدينة المنورة عام 1009هـ 1600م المسألةَ بشكل أوضح، وتلك هي الجماعات التي كان لها نصيبٌ من هذه الصّرة:

الإداريّون وحصصهم:

مولانا قاضي المدينة	1.250 بارة
شيخ الحرم	820 بارة
كاتب الحرم	410 بارة
الخطيب	1.000 بارة
الأئمة الحنفية	1.200 بارة
أغوات الحرم الشريف	7.500 بارة
الكاتب الذي ينظّم دفتر الصّرة	1.025 بارة
شخصان مساعدان مسئول الخزينة	287 بارة 205 بارة
الصّراف	182 بارة
المجموع	14.879 أقچه

أمّا حصصُ الفقراء من نفس الصّرّة:

للفقراء الموجودين في أربطة عبد الوهاب أفندي والعورسية وحوض زادة	929 بارة
للجماعات	42.671.5 بارة
للخمسة عشر أغا الذين يديرون شئون الروضة	4.651
لتسعة وأربعين مجاورًا	18.446
لـ112 قاضيّا	21.654

المجموع	88.351.5 بارة

كما أوضح في الدفتر نفسِه أسماء بعض الأوقاف، وعدد الأشخاص ومقدار حصّتهم التي سيحصلون عليها:

لأربعة أشخاص من وقف ابن الخطيب	400بارة
لثلاثة أشخاص يعلمون القرآن من وقف ابن ريحان	369بارة
لستة وعشرين شخصًا يسمون بالجماعة الجديدة	376بارة
لتسعين شخصًا من زوائد أوقاف الحلبية	327بارة [830]
المجموع	1.472 بارة

وبذلك يكون مجموع الصّرّة المرسلة للأماكن المختلفة المذكورة فيما سبق 107997.5 بارة (703 سكة).

2 - الدّفاترُ التي تضمّ الأوقافَ التي كانت لها مخصّصات للصّرة:

وفي هذا النّوع من الدّفاتر نجد القسمَ الرئيسي منها مذكورًا به الهدايا التي خصّصها سلطان العصر لأهالي الحرمين، ثمّ نجد بها تسجيل لأسماء الأوقاف بترتيب استمرارها، وشروطها ومخصّصاتها، وكم حُصّل في هذا العام، ودفاتر الصّرّة المؤرّخة بتاريخ 1077هـ 1666م التي تظهر حسابات الأوقاف المجموعة من كلّ الأماكن التي بها أوقاف للحرمين؛ هي أبرز مثال على هذا النوع من الدّفاتر.

دفتر الصّرّة رقم 130

اسم الوقف	مكانه	القيمة

مخصّصات السّلطان لأهل القرآن والدعاء	المدينة	1000
مخصّصات السّلطان لأولاد الحسين	المدينة	140
مخصّصات الوالدة سلطان لأهل القرآن والذكر	المدينة	600
محاصيل أراضي لوجوس وشابش التابعة لـ(يان أوه)	الحرمين	3000
مخصّصات والدة السّلطان محمد خان لأهل القرآن والذكر	مكة	670
" " " " "	المدينة	880
" " " " "	مكة والمدينة والقدس	1454
جامع السّلطان أحمد خان	الحرمين	4722
مخصّصات السّلطان مراد لأهل القرآن والذكر	مكة	1410
" " " "	المدينة	1410
مخصّصات "خانداان سلطان" لأهل القرآن والذكر	المدينة	600
خانداان سلطان	الحرمين	400
صفية سلطان	المدينة	1000
جامع آيا صوفيا الكبير	المدينة	430
السلطان بايزيد خان	المدينة	840

مخصّصات السّلطان سليم لأهل القرآن	الحرمين	1250
السلطان مراد خان	الحرمين	600
السلطان عثمان خان	الحرمين	9600
والدة السّلطان سليم خان	الحرمين	500 قرشًا
والدة السّلطان مراد خان الثالث	المدينة	2000
" " "	المدينة	800
مخصّصات والدة السّلطان لقراء القرآن	القدس	486
"مهرماه سلطان"	مكة والمدينة	10000
محمود باشا	المدينة	1501
قوجه مصطفى باشا	الحرمين	150
علي باشا	المدينة	280
يحيى باشا	الحرمين	1001
برتو باشا	الحرمين	100
نيشانجي محمد باشا	الحرمين	200
حسين باشا سردار كريت	الحرمين	13.333 لمكة 1.333 وللمدينة 12.000
أحمد باشا	المدينة	خالي

علي باشا كجدهان	المدينة	120
مصطفى باشا	الحرمين	240
الخاتونية	الحرمين	240
عائشة سلطان بنت مراد خان الثالث	الحرمين	200
فاطمة سلطان بنت فرهاد باشا	الحرمين	خالي
فاطمة سلطان الصوفية	المدينة	6
حديقة جوهر خان سلطان	الحرمين	1 قرش
سلجوق سلطان	الحرمين	خالي
عبد الرحمن أفندي	مكة	25
عبد السلام بك	الحرمين	100
خوجه آيدين	الحرمين	خالي
إيجار حمام بكتاش خليفة	مكة	50 قرشًا
محمد بك الأفشاني	مكة	خالي
جبة جي باشا مصطفى أغا	الحرمين	خالي
آخي جلبي	المدينة	400
يوسف أغا أغا دار السعادة	الحرمين	خالي
أغوات وغلمان دار السعادة	الحرمين	خالي
الحاج مصطفى أغا أغا دار السعادة	المدينة	1280

حسن باشا القبطان	المدينة	115
عائشة سلطان بنت "جم سلطان"	الحرمين	خالي
ريحان أغا أغا دار السعادة	المدينة	خالي
أمينة خاتون زوجة حسن باشا	المدينة	خالي
حبيبة الصباح مصطفى أغا	المدينة	خالي
المرحومة شمس رخسار خاتون	المدينة	خالي
هاني خاتون	المدينة	خالي
همايون خاتون	المدينة	خالي
المرحومة خورشيد خاتون	مكة	خالي
طاية خاتون	المدينة	خالي
محمد أغا الكيلرجي	المدينة	خالي
البواب أسكندر	المدينة	خالي
مصطفى أغا كوركوجى	الحرمين	خالي
محمد جلبي	المدينة	خالي
أغا دار السعادة محمد أغا	المدينة	330
موسى أفندي رئيس الأطباء	المدينة	160 قرشًا
سرو آزاد خاتون لأهل القرآن	المدينة	60

كلندر باشا	المدينة	خالي
بهرام أغا لأهل القرآن	المدينة	69
عمر أغا الصغير	المدينة	60
إبراهيم بن محمد السيواسي	المدينة	خالي
أمين الصرّة صفر أغا	الحرمين	خالي
عثمان أغا	المدينة	خالي
إيجار منزل وحديقة مصطفى جلبي	المدينة	خالي
إيجار منازل المرحوم عباس أغا	الحرمين	3000 قرشًا
غضنفر أغا	الحرمين	2500قرشًا
استانبول غالاطه وما حولها	الحرمين	2500قرشًا
بورصة وما حولها	الحرمين	1500قرشًا
أدرنة وما حولها	الحرمين	1200قرشًا
رعايا يان بولو	الحرمين	خالي
سنان بك الرقاص	المدينة	120
حمزة بك الشراب دار	المدينة	200
أصفهان شاه خانم	المدينة	189
بابا دره ودره كوى	الحرمين	1200 قرشًا
أيكر بوجاق	الحرمين	1300 قرشًا

قسطمونى وما حولها	الحرمين	326 قرشًا
بيرجي	مكة	47.162 قرشًا
أريكلى	الحرمين	1928 قرشًا
قرية نيكده	خليل الرحمن	100 قرشًا
باليق حصار وياد كار	الحرمين	240 قرشًا
كلين كيراس وزيله وطوقاد	الحرمين	3550 قرشًا
جزية أرمن كلين كيراس	الحرمين	3400 قرشًا
سنان الصغير المديللي	المدينة	72 قرشًا
ديار بكر وما حولها	الحرمين	230 قرشًا
أورفا وما حولها	الحرمين	30 قرشًا
وان وما حولها	الحرمين	70 قرشًا
الموصل وما حولها	الحرمين	70 قرشًا
أرجيش وكركوك	الحرمين	70 قرشًا
جزيرة قبرص	الحرمين	25.000 قرشًا
سيدي	الحرمين	خالي
سلانيك وتوابعها	الحرمين	110 قرشًا
فاطمة خاتون بنت مصطفى بك	مكة	خالي

"بغداد ملك" الرضوانية	الحرمين	خالي
نسل شاه والمرحوم مصطفى بك	المدينة	خالي
إيجار حديقة محي الدين	المدينة	خالي
أسيا	المدينة	خالي
فاطمة خاتون بنت مصطفى بك	مكة	خالي
المرحوم حسين أفندي	المدينة	124
أحمد أغا	مكة والمدينة	154
ماه جهره خاتون	المدينة	80
المرحوم أوجون ممي	المدينة	خالي
خليل أفندي	المدينة	خالي
حديقة خضر	المدينة	خالي
إيجار غرف علي جلبي	المدينة	6 قروش
المرحوم خليل أفندي	المدينة	خالي
إيجار حوانيت بيوك بازار	المدينة	30 قرشًا
حميدة خاتون	الحرمين	5 قروش
بودين وطمشوار	الحرمين	خالي
إيجار حوانيت أسكوب	المدينة	خالي
ذو الفقار أفندي	المدينة	80.5 قرشًا

المرحوم سراج أحمد أفندي	المدينة	خالي
أكينجي حسين	المدينة	خالي
سراج مصطفى	المدينة	خالي

أمّا النقودُ المصروفة لإعداد دفتر الصّرّة المذكور فكانت على ما يلي:

14 كتابة نفقات الدفتر	108 ذهبية
أمين الصّرة	80 ذهبية
الكاتب	75 ذهبية
البوّابين	375 ذهبية
المجموع	652 ذهبية

وبذلك يكون المجموعُ الصّافي لتلك الأوقاف المذكورة في الجدول السابق 61.396 سكة، وذلك بعد إخراج هذه المصروفات. كان هذا المبلغ يوزّع على النّحو التالي:

المكان المرسل إليه	المجموع	النسبة المئوية
لأهالي مكة	17688 ذهبية	28.6
لأهالي المدينة	41.228 ذهبية	71.4
لأهالي القدس	2.480 ذهبية	4
المجموع	61.396 ذهبية	% 100

ويتّضح من خلال الجدول السابق أنّ المبلغ الذي كان يرسل للمدينة كان يساوي ثلاثةَ أضعاف المبلغ المرسَل لمكّة تقريبًا، أمّا المرسل إلى القدس فهو قليل جدًّا بالنسبة لمكّة والمدينة، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال ما هي الأسباب التي جعلت المبلغَ المرسَل لمكّة أقلَّ بكثير من المرسل إلى المدينة، ويكمن السرُّ في هذا في كوْن فقراء المدينة أكثرَ من مكّة، كما أنّ مصادر الدخل في المدينة ليست كافيةً بالدرجة التي تؤمّن احتياجات الأهالي، وتاريخ ترتيب هذا الدفتر كان في 25/ ربيع الآخر/ 1077هـ/ 25/11/ 1666م[831].

3 - الصّرّةُ طبقًا للمراكز التي ترسلُها

أ - صرّةُ استانبول:

وهي الصّرّة التي تخرجُ بمراسمَ واستعداداتٍ كبيرة من استانبول عاصمة السّلطنة، أمّا عن مصادر دخل هذه الصّرّة فهي المخصّصات السلطانية، والحاصلات السّنوية لأوقاف الحرمين الموجودة باستانبول والأناضول والروملّي وأدرنة وسائر الإيالات الأخرى، ومعظم الدّفاتر الموجودة بالأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء تمّ ترتيبُها لصرّة استانبول، أمّا الدّفاتر الأخرى لصرر استانبول الدّائمة فهي على ما يلي:

الأوقافُ الخاقانية والرّومية الجديدة والأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدفتر:

وقفُ ضريح السّلطان مراد

من أوقاف الحرمين الشّريفين والأوقاف المدوّنة أسماؤها في الدفتر

من أوقاف الغازي حسين باشا سردار كريت

من أوقاف والدة السّلطان مراد الثالث

من محاصيل لوجوس وشابش التابعتين لناحية (يان أوه)

من الأوقاف الأخرى المدونة أسماؤها في الدفتر وأوقاف الآستانة

دفاتر الصّرر التي كانت ترسل من أوقاف فوينوك أحمد أغا وحسين أفندي الصغير.

ب - صرّةُ الشام:

هي الصرّة التي كانت تتكوّن من أوقاف الحرمين التي تأسّست في عهدي المماليك والعثمانيّين في

منطقة سوريا، وعلى رأسها المدن الكبرى مثل الشّام وحلب، وبالرغم من إرسال صرّة الشّام بشكل

مستقلّ في بعض العهود إلّا أنها كانت تنضمّ لصرّة استانبول في معظم الأوقات.

والدّفترُ الذي يضمّ تفصيلات عن الصّرّة التي أرسلت للحرمين من الشّام عام 1081هـ 1670م يتضمّن معلومات قيمة عن مصادر دخل صرة الشّام والأماكن التي كانت تصرف فيها.

مصروفاتُ الصّرّة التي كانت ترسَل من الشّام للحرمين:

للخدم في المسجد النبوي	34.170 بارة
للمجاورين في المدينة	75.652 بارة
للنساء ذات الحاجة	33.780 بارة
للأهالي	207.158 بارة
المجموع	350.158 بارة [832]

الأوقافُ التي كانت مصدرَ دخل صرّة الشّام والوارداتُ السنوية وأماكنُ صرفها:

اسم الوقف	القيمة بالبارة	الشرط
منجيك	30	لفقراء المدينة
قرى بورج وغازية	9.800	لفقراء المدينة
قرية فسور	300	لفقراء المدينة
سنان أغا	3.000	لقراءة المصحف الشريف وللطلاب والمدرسين بمدرسة المالكي
شمس الدين منلوك		لزيت قناديل الحرم الشريف
شهاب الدين بن منلوك		لنقل المياه للحجرة الشريفة
عيسى الغازي	850	لوكالة سيدنا عثمان
علي دوغان	800	لقراءة القرآن ونقل الحديث والطعام للفقراء
قنصوه البجاوي	8.800	لفقراء المدينة وقراءة القرآن وللفقراء في رباط قايتباي
سيف الدين الجوهري	300	لقراءة القرآن
شاد بك	1.300	للفقراء
أبو شريف المقدسي	400	للمكبرين في الروضة وللقراءة القرآن
محمد الأجوردي	3.880	لأشراف المدينة
موسى القطان	1.000	للفقراء
مزاحم الفاري	600	للفقراء
محمد جلبي الفرماني	840	للمسبحين ولقراء المولد وللكاتب وللمحافظين على الأموال
شاد بك	600	للفقراء

الوزير الأعظم مراد باشا	24.572	للفقراء
ناصر الدين ممدود	250	لإمام الروضة المطهرة
قطب الدين	500	لقراءة القرآن لروح رسول الله
قرية فرحانة	1.600	لقراءة القرآن في الروضة
محي الدين وسليمان الفروزي	550	للفقراء في الأربطة والأماكن الأخرى
جعفر كتخدا	2.500	لقراءة القرآن وطرق المياه
الملك الأمجد	450	للفقراء والحمامات
ابن إبراهيم بن مصلح	80	للفقراء
إبراهيم أغا		ثمن ملابس توزّع على الفقراء والحمالين
سيباي		للحمالين ومستلزمات قناديل الحرم
سنان جلبي الفرماني	360	لقراءة القرآن والذكر في الروضة
إسماعيل بن أكرم	250	للفقراء
أسبيل خاتون	80	للفقراء
شهاب الدين	650	للفقراء
صلاح الدين	300	للفقراء
إلياس كتخدا	1520	للفقراء
عبد الرحمن بن أفرم	200	للفقراء
مصطفى ابن إسكندر	1200	للفقراء
بلغار	1000	للفقراء
فروح شاه	1500	للفقراء

علاء الدين		لمؤذني الحرم والأسبلة
شمس الدين الوفي	2500	لأهل الرباط
علاء الدين الصابوني	270	لطائفة النساء
من أوقاف ملك الأعلام	1400	للسادات في الروضة
جاقمق	1300	لقراءة القرآن ولخدام الروضة
سراج الدين	320	للكبار
تاج الدين	3200	للأغوات والفقراء والمؤذنين والأئمة
القاضي عمر بن تاج الدين	360	للفقراء
تاج الدين الديوان	1200	للأئمة والمؤذنين في الروضة
شرف يحيى الديوان	320	للفقراء
قرية بطرام	6400	للأئمة الكبار وللسادات
خرم باشا	12000	لقاضي القضاة والسادات والخدام والفقراء في الأربطة ومجاوري مكة
فاري النما	3000	للفقراء
سيباي الكفيلي		لقراءة القرآن والحديث والأسبلة
قرية صابورة	4000	للمدرسة الشاهانية
خديجة خاتون	250	للفقراء
سيدي جاوش		للفقراء
محمد بن جعفر		لمؤذني الحرم
الحاج حسين الرومي درويش باشا	 54.600	للفقراء للمشايخ والفقراء

شهاب الدين غزة		للأغوات
الحاج محمد الوقاد	200	للفقراء
حسين كتخدا	480	للمشايخ
حسين جلبي		لمؤذني الحرم
إبراهيم بك بن شاد بك	10.000	للفقراء في أربطة المدينة
عمر بن أبي اللطيف		للفقراء
القاضي زين الدين	2.500	للفقراء
شمسي أحمد باشا	3600	لشراء ألبسة للفقراء
محمد القيطاري		للفقراء والأثرياء
لاله مصطفى باشا		لإنشاء سبيل في الحرم وللمؤذنين ولقراء القرآن في الحرم
أحمد جلبي كاتب العروض	720	لشيخ مدرسة أبي بكر
محي الدين الرومي	5200	للفقراء
علي أفندي	6000	للفقراء
إلياس جاوش	5980	للفقراء
علي الصافي	120	للفقراء
أحمد الطويل		للفقراء
علي أغا محافظ قلعة الشام		للفقراء
شوقي خاتون	1200	للفقراء
برويز باشا		لقراءة سورتي ياسين والملك وللمؤذنين

وكان تاريخُ تحرير الدّفتر في رجب 1081هـ 11/ 1670م[833].

ج- صرّة مصر:

هي الصّرّة التي تتكوّن من أوقاف الدّشيشة التي ترسل من مصر وأوقاف الحرمين بها، والتّعيينات المرسَلة من خزينتها، وكان يوجد بهذه الصّرّة المرسلة من مصر توقيعات أمير أمراء مصر ودفتردارها والكتخدا والقاضي عسكر أو وكيله.

ويقوم الكاتب بكتابة مقادير الصّرّة وسائر شئونها، ثمّ يقوم الروزنامجيه (المسئولون عن دفاتر المصروفات والإيرادات اليومية) بإرسال مقادير الصّرّة وحساباتهم إلى استانبول[834].

وقد بلغ مقدار الصّرّة المصرية عام 940هـ 1533م 540.000 باره، وصل هذا الرقم في عام 1004هـ 1595م إلى 1.327.040 بارة، أمّا في عام 1082هـ 1669م فقد وصل إلى 4.806.988 بارة[835].

وكان لأحد عشر ألف وثلاثمائة وستّين شخصًا من أهالي المدينة المنورة نصيبٌ من أوقاف الدشيشة الصغرى والكبرى المرسَلة من مصر في 11/ جمادى الأولى/ 1081هـ 26/10/ 1670م[836]، أمّا شكل توزيع تلك الصّرّة فقد أوضح بالخطّ الهمايوني المتصدّر الدفتر[837].

وهؤلاء هُم مَن كان لهم نصيبٌ من الصّرّة المرسلة مِن مصر من أهالي المدينة المنورة، وعدد الحصص التي كانوا يحصلون عليها:

الاسم	العدد
إداريو الحرم وكبار رجاله	696
سادات وأشراف المدينة	955
المشايخ والسادات الذين كانوا يعيشون بالمدينة	730
الأغوات الذين يشتغلون بالخدمة في المدينة	837
أصحاب النوبة (الجاوشية، الشراكسة، المستحفظان، المدفعجية)	1.144

المدفعجية في منطقة المدينة	688
جنود قلعة المدينة	721
أهالي المدينة	1.860
جماعة القائد	133
جماعة المغاربة	298
جماعة الهنود والسنيين	1.921
جماعة العتقاء	490
لخمسة وعشرين ممّن يعيشون في الرباط	896
المجموع	16.760 شخصًا

وكانت الصّرّة المصرية مثل صرة الشّام أحيانًا تكون مستقلّة، وأحيانًا تلحق بصرّة استانبول.

4 - إدارة الصّرّة وتوزيعها:

كانت هناك بعضُ الإجراءات التي تتّخذ لتجميع مخصّصات الصّرّة التي كانت تشكّل عصبَ الحياة بالنسبة للمساعدات المرسلة لأهالي الحرمين، وكان من ضمن تلك الإجراءات- أيضًا- ضمانُ توصيل تلك المخصّصات إلى مكّة والمدينة والقدس عندما يحين وقتُ إرسالها، وتوزيعها بشكل عادل، والقضاء على كلّ العيوب أو أوجه النّقص والانحرافات التي قد تظهر أثناء التوزيع، وكان أمنـاء الصّرّة هم المسئولين بالدّرجـة الأولـى عن سوق وإدارة الصّرّة[838].

لذا كان يتمّ اختيار أمناء الصّرّة من بين الأشخاص الذين أدّوا وظائف علميّة وإدارية هامّة، ويجب أنْ يكونوا مشتهرين بالتقوى والصدق، وذلك لأنهم سيكونون مسئولين عن توزيع وسوق الصّرّة التي هي بمثابة عصب الحياة لأهالي الحرمين، ومنذ عهد أبي بكر[839] وأمناء الصّرّة يمثلون أمراء الحجّ في نفس الوقت[840].

وأوّل أمينٍ للصّرة في العهد العثماني هو الأمير مصلح الدين الذي أرسله السّلطان سليم الأول بالهدايا التي أرسلها لمكّة والمدينة وهو لا يزال في مصر[841].

وبخلاف أمناء الصّرّة كان الإداريّون في مكّة والمدينة مسئولين- أيضًا- عن توزيع الصّرّة بشكل عادل، فقد أرسل حكمٌ مؤرّخ بتاريخ 2/ صفر/ 967هـ/3/11/ 1559م لقاضي مكّة، يشتمل هذا الحكمُ على طلب من الإدارة العثمانيّة لقاضي مكّة بضرورة التقصّي عن أخذ الأشخاص الذين يقيمون في مكّة وليسوا من أهلها وليس لهم الحقّ في الأخذ من الصّرّة، وبالرغم من ذلك يأخذون منها، وطلب منه- أيضًا- سرعة التصرّف في إنهاء هذا الوضع، وهذا يدلّ على مسئولية هؤلاء الإداريّين- أيضًا- في توزيع الصّرّة[842].

كما طلب من قاضي مكّة في حكمٍ أرسل له في 7/ رمضان / 967هـ/ 1/6/ 1560م بأن يسجّل بالتفصيل في الدّفاتر مَن يأخذون من الصّرّة وسائر الأوقاف الأخرى في مكة[843].

أمّا في 1/ شوال/ 985هـ/ 12/12/ 1577م فقد أرسل حكم لقاضي مكّة أخبر فيه بأنّه مسئولٌ عن الحفاظ على دفاتر الصّرّة والأوقاف، ومسئول- أيضًا- عن أيّ تحريف يحدث في تلك الدّفاتر بناءً على الأخبار التي وردت بأنه حدثت تغيّرات وتعديلات في دفاتر الصّرّة، وأنّ توزيعها كان مخالفًا لشروط الوقف[844].

وورد في حكمٍ آخر أنّ المخاوف التي تخشى الدّولة منها في موضوع توزيع أموال الصّرّة قد حدثتْ بالفعل، وأنّ بعض الأثرياء في المدينة أخذوا من الصّرّة دونَ وجه حقّ، لذا أرسل لقاضي المدينة بضرورة تسوية هذا الوضع بشكلٍ عاجل، وضرورة استرجاع الأموال التي اغتصبها الغاصبون وهي حقّ للفقراء[845].

5 - موظّفو الصرّة:

هؤلاء هُم موظفو الصّرّة الذين كانوا يعملون بها غيرُ أمناء الصّرة: المبشّر، رئيس المبشّرين، المبشّر الثاني، أغا القفطان، طبيب موكب الصّرة، رئيس السّقائين، جنود الجردة، رئيس الجند، موظّف الجردة، الجردة السنية، رئيس الأحكام، عامل المشاعل، مترجم الصّرة، كاتب الصّرة، كتخدا الصّرة، وكيل الفراشة الشّريفة، صاحب الدّرك، الدليل، المطوّف، المقوّم، مسئول التخت روان، عامل الشّربات، صانع القهوة، رئيس الحلاّقين، رئيس عمّال البخور[846].

6- إرسالُ المَحْمل:

كلمةُ المَحْمل اسمٌ زمان ومكان، ومصدر ميمي من جزر، الفعل الماضي (حمل)، ومعنى الكلمة الناقة التي تحمل البضائع أو الأشياء وتنقلها، وتستخدم هذه الكلمة- أيضًا- بمعنى المحامل، ولكنّ استعمالها على هذا الشكل قليل.

أمّا المَحْمل في الاصطلاح فتعني نوعًا من السبت الموضوع على الناقة لحمْل شخصين، وتأتي- أيضًا- بمعانٍ أخرى مثل الإبل التي كان يركبها النبي- صلّى الله عليه وسلّم- عند خروجه للحملات، أو الإبل التي تحمل الهدايا التي يرسلها الأمراء والحكّام للحرمين الشريفين، أو الإبل التي كانت تسير على رأس القوافل في وقت الحجّ[847].

وهناك اختلافٌ في موضوع متى أصبح إرسال المَحْمل إلى مكّة والمدينة، ويوضّح الشّريف محمد صادق أنّ أوّل مَحْمل أرسل كان في عهد الحجّاج وأرسل مع أبي الحسين أحمد[848] وكان هذا المَحْمل على شكل مخروطي[849]، ويذكر المقريزي أنّ أوّلَ مَن أرسل المَحْمل هو السّلطان بيبرس، أمّا فيليب كيتي فيذكر أنّ المَحْمل كان عبارةً عن النّاقة المزيّنة للغاية التي كانت تتقدّم قوافل الحجّ الكبرى القادمة إلى مكّة من مصر واليمن وسوريا والعراق[850].

وفي القرن الثّالث عشر كان السّلاطين يرسلون المحْمل دلالة على استقلالهم، وأنّ إدارة الحرمين الشريفين أصبحت في أيديهم، وأنّهم أصبحوا خدّامًا للحرمين الشريفين[851].

وفي العهد العثماني، أخرج السّلطان سليم الأوّل محْملًا فخمًا للغاية من الشّام التي ظلّ فيها فترة أثناء عودته من مصر، وكان ذلك في 8/ شوال/ 923هـ/24/11/ 1517 م[852].

كان هذا المَحملُ عبارة عن محْملٍ مربّع الشكل، عليه قبّة محدبة فضية من جوانبها الأربعة، يعلوها علم، وكتب حول تلك القبّة- بخطّ النّسخ- كلمة الشهادة[853].

ومِن بعد هذا التّاريخ أصبح المحْمل يخرج من استانبول باسم السيدة عائشة، ولأنّه كان يمرّ من الشّام اشتهر بأنّه المحْمَل الشّامي، أمّا المَحْمل المرسَل من مصر فكان يرسَل باسم السيدة فاطمة[854].

ومنذ عام 967هـ/ 1559م أصبح عددُ المحامل المرسلة إلى مكّة ثلاثة، فقد رتّب والي اليمن مصطفى باشا خروجَ مَحْملٍ من اليمن من مدينة حيس اليمنية في هذا التّاريخ، واستمرّ في إرسال هذا المحمل لسنوات طويلة[855].

ولم يكنِ المَحْمل من تطبيقات الوقف، بل كان عادةُ من السلاطين كما أوضحنا سابقًا، ونظرًا لأنّه كان يرسَل سنويًّا، ويحتوي على مخصّصات لأهالي الحرمين فيمكنُ إدراجه ضمن الخدمات المقدّمة للحرمين.

ويخرج المَحْمل من المراكز التي يخرج منها بمراسم واحتفالات كبرى، مثله في ذلك مثل الصّرة[856]، وكان يتقدّم قافلة الصّرة.

وقد بذل العثمانيون جهودًا كبيرة لحماية الحجّاج أو الصّرّة التي كانت ترسل من استانبول من هجماتِ العربان البدو الموجودين في طريق مكّة الشام، حتّى أنّهم خصّصوا صرّة فرعية من الصّرّة التي كانت ترسل لمكّة لهؤلاء البدو، وكان هؤلاء البدو لا يتعرّضون بأيّ شكل من الأشكال لناقة المَحْمل التي تتقدّم موكب الصّرة، بل إنّهم كانوا يعتقدون بأنّهم إذا ما أدخلوا مرضاهم خيمةَ ناقة المَحْمل وأخرجوهم منها يشفون من مرضهم[857].

ثانيا : الأموال التي كانت ترسَل إلى الحرمين:

أوضحنا في الأقسام السابقة أنّ العثمانيين منذ أنْ ألحقوا الحجاز بهم عام 923هـ/1517م حملوا

على عاتقهم مهمّة تلبية كلّ احتياجات مكّة والمدينة، وبذلوا كلّ جهدهم للعمل على استمرار تلك الوظيفة، ولم يتخلّوا قط عن تأديتها، ومجموع تلك الأموال التي كانوا يرسلونها بانتظام كلّ عام للحرمين يظهر لنا الأبعاد الحقيقة لتلك الخدمة التي حملوها على عاتقهم، وماذا كانت تعني تلك الأموال بالنسبة لميزانية الدولة.

ولعلّ معرفتنا بأنواع الأموال التي كانت متداولةً في تلك الفترات والتي تمكّنّا من التعرّف عليها من خلال مصادر تلك الفترة موضوع البحث، وكذا بمعرفتنا بقيمة تلك الأموال بالنسبة للوقت

التي كانت فيه؛ سيعمل على فهمنا للموضوع بشكلٍ أحسن، لذا وجدنا من المناسب هنا أنْ نعطي- ولو معلومات مبسّطة- عن الأموال التي كانت متداولةً في تلك الفترة.

1- الأموالُ التي كانت مُتداولة:

الأقجه:

اسمٌ للعملة الفضيّة الصغيرة التي كانت تستخدم عند العثمانيين اعتبارًا من القرن الخامس عشر [858]، وتمّ سكّ أوّل عملةٍ فضيّة عند العثمانيين في عهد أورخان الغازي، ولم ترَ الأقجه أيّ تغيير في قيمتها منذ سكها وحتى 120 عامًا تالية، وحدث أوّلُ تغيير في قيمة الأقجه في السّنوات الأولى لعهد الفاتح فقد انخفضتْ قيمتها من ستّة قراريط إلى خمسة قراريط، وانخفضت إلى أربعة قراريط في عهد بايزيد الثاني، أمّا في عهدي سليم الأوّل والقانوني فقد انخفضت إلى ثلاثة قراريط، وفي عهد مراد الثّالث انخفضت إلى قيراطين، أمّا في عهد محمد الثالث فقد سكّ من الدّرهم الفضي 8 أقجات، وبينما كان يسكّ من الدرهم الفضي 10 أقجات في عهد محمد الرابع، تغيّر نظام سكّ العملة العثماني في عام 1098هـ/ 1687م، وحلّت القروش مكان الأقجات، وتلك هي قيمة الأقجه مقابل 100 درهمٍ في شريحة زمنية تمتدّ لقرنين من الزمان:

السنة	أقجه/ 100 درهمًا	الوزن بالجرام
834/1431	260	1.181
864/1460	330	0.931
885/1480	400	0.768
980/1572	450	0.682
994/1584	800	0.384
1009/1600	950	0.323

1027/1641	1000	0.307
1096/1685	1250	0.256
1099/1688	1700	0.188
1102/1692	2300	0139[859]

الدّرهم:

1/400 من الأوقية (= 3148 جرام) وبالوزن الجديد 1/1000. إلّا أنّ الدرهم في الدّولة العثمانيّة كان يستخدم كوحدةِ قياس للمعادن القيمة، وتمّ تقسيمُ الدّرهم إلى أربعة أقسام منذ عهد أورخان الغازي، وكان الدرهم الشرعي المستخدَم بكثرة يساوي ربعَ درهم، وكان يطلق على الدّرهم نصف مثقال، وعلى 400 درهم أوقية، وكان يطلق على الأربعة والأربعين أوقية قنطارًا، أمّا الأربعة قناطير فكان يُطلق عليها جكي[860].

الفلوري:

اسمٌ أطلق على العملات الذّهبية بشكل عام عند العثمانيين، أمّا عند العرب فالاسمُ العامّ للعملات الذهبية هو الدينار، وهذا هو التغيير الذي طرأ على العملات الذهبية التي سكّت في عهد الفاتح:

السنة	1 ذهبية (فلوري = أقچه	1 ذهبية = قروش
989/1581	70	
992/1584	120	
1588 /996	120	1 حمل = 99.985 أقچه
1601 /1010	220	

بتعديل حسن باشا يميشجى	120	80
1013/1604	120	80 قرشًا أسديًا[861] 70
1033/1624	120	80 قرشًا أسديًّا 70 أقجه
عهد مصطفى الأول	150	
مراد الرابع	250	
إبراهيم	160	
1072/1662		100 قرشٍ أسدي
1100/1689	270	120
1689 /100	300	120

الدّوقة البندقية:

كان اسمُها الأساسي الذهبية الفلورية والنجمة، وكانت بالنسبة للأقجه في الفترة فيما بين عام 835- 1150هـ/ 1431- 1737م على هذا التّداول الآتي:

السنة	**1 دوقة = أقجه**	**السنة**	**1 دوقة = أقجه**
884/1431	35	1618 /1027	150-120
886/1436	36	1033/1624	400-120
1467 /872	40-42	1050/1640	250-120
1475 /880	45	1645 / 1055	160

1481 /886	47	1063/1653	180
1486 /891	48	1659 /1069	220
1487 /892	49	1070/1660	300
1491 /896	52	1665/ 1076	330-250
1496 /901	54	1101/1690	330-400
1509 /915	55	1707/ 1119	360
1529 /935	57	1133/1721	375
1547 /954	60	1728/ 1140	400
1585 /993	110	1737 /1150	440[862]
1587 /995	120		

القرش:

اسمُ إحدى العملات التي كانت تسكّ وتُستخدم اعتبارًا من القرن السّابع عشر، وتوجد في معظم الوثائق الخاصّة بتلك الدراسة باسم القروش الأسديّة، ولأنّ قيمتها كانت تتغيّر بمرور الوقت، فليس من السهل تحديد قيمة القروش بالنسبة للأقجات والدراهم، على سبيل المثال كانت القروش المستخدمة عام 1015هـ/ 1606م تزن ستة دراهم وأربعة قراريط، وكان القرش الأسدي في الغالب يساوي 1/8 من القرش الريالي.

فالقرش الأسدي كان يساوي 70 أقجه[863].

البارة:

البارة هي وحدةُ النقد الأكثر استعمالًا في مصر في العهد العثماني، وكانت تمثّل 1/40 من القرش، وفي نهايات القرن السادس عشر كانت البارة تساوي 3 أقجه.

السّكة الحسنة:

الرّغم من أنّها تأتي بمعنى الأموال المسكوكة، إلّا أنّها كانت تُستخدم بكثرةٍ في دفاتر الصّرّة بمعنى العملة الذهبية.

2- الأموالُ المرسلة كلّ عام إلى الحرمين

لقد أوضحنا قبل ذلك أنّ الدّولة العثمانيّة كان لها مخصّصات للحرمين حتّى قبل أنْ تضمّ الحجاز

لها، إلّا أنّ تلك المخصّصات كانت محدودة كما كانت لا تخرج عن المخصّصات النقدية، ولأنّ

إثبات تلك الأموال المرسَلة لم يكنْ مختلطًا بشكلٍ كبير، فمِن الممكن لنا أنْ نعطي أرقامًا قريبة من الصواب إنْ لم تكن كلّها صحيحة.

على سبيل المثال، تلك هي الأموال المرسَلة إلى مكّة والمدينة في عام 909هـ/ 1504م، أي في عهد السّلطان بايزيد الثّاني، طبقًا لما ورد بدفتر العطايا:

الجهة المقدّم لها	القيمة
للحجّاج	21.500 أقجه
لساكني مكّة والمدينة	3.300 أقجه
للبدو في مكة	10.400 أقجه
للسفراء الذين قدموا العطايا للحرمين	25500 أقجه

لساكني مكة	735 ذهبية
لساكني المدينة	1210 ذهبية
لفقراء مكّة والمدينة	14.442 ذهبية
للمصاريف المختلفة	500 أقجه
المجموع	65700 أقجه و 17.198 ذهبية[864]
المجموع العام	1011.590 أقجه

وإذا ما أضفنا 2.200.000 أقجه كانت ترسل كصدقة لتوزّع على فقراء مكّة والمدينة فبذلك يكون المجموعُ الكلي 3.211.590 أقجه[865].

وقد شهدتِ المبالغ التي أرسلها السّلطان سليم للحرمين سواء من مصر أو الشّام زياداتٍ كبيرةً للغاية، وزادت هذه المبالغ إلى الضعف في عهد السّلطان بايزيد الثّاني، وتلك هي الأموال المرسَلة للحرمين في عهد السّلطان سليم:

المرسل	القيمة
ملابس وأشياء أخرى	10000 قطعة
دشيشة	7000 أردبًّا
من مصر والأناضول	4.100.000 أقجه[866]

وتلك هي نفقات الحرمين لبعض السنوات التي استطعنا التحقق منها بعد هذا التّاريخ وميزانية الدّولة العامة:

السنة	نفقات الحرمين	الميزانية العامة	النسبة %
934/1528	4.286475 أقجه	221.582.402	2
997/1589	3.922.320 أقجه[867]		
1590/ 998	4.205.532 أقجه[868]		
1042/1633	4.294.980 أقجه[869]		
1653/ 1064	7.142.298 أقجه	676.106.387	1
1660 /1071	10898.778	593.604.361[870]	2
1077/1666	15.962.000 أقجه[871]	[872] 592.528.960	3

وإذا ما وضعنا تلك الأرقام نصبَ أعييننا فإنّنا سنجد أنّ الأموال المرسلة من استانبول- بخلاف ما كان يرسل من مصر- كانت تمثّل 2 و3 % من الميزانية العامة للدولة.

وتلك هي نفقاتُ الحرمين في ثلاثِ سنوات طبقًا لما ورد بدفاتر الصرّة المرسَلة في الفترة فيما بين عامي 1098- 1101هـ/ 1687- 1690م أي في نهاية فترة عهدنا:

دفتر رقم	السنة	المكان	الأقجه	دفتر رقم	السنة	المكان	الأقجه
392	1098	المدينة	702.000	416	1100	المدينة	800000
393	1098	مكة	498000	417	1100	مكة	272.000

398	1098	العربان	3.720.200	418	1100	المدينة	542.400
401	1099	المدينة	853.917	419	1100	مكة	698387
411	1100	مكة	6.888.800	420	1101	المدينة	128.000
413	1100	المدينة	565.200	421	1101	مكة	68000
414	1100	مكة	564.000	422	1101	المدينة	18646000
415	1100	مكة	533.200				

المجموع: 35.780104 أقجه.

ثالثا : أوقافُ الحرمين طبقًا لمؤسّسيها

اتّخذت الدّولة العثمانيّة رعاية الأخلاق والحقوق الإسلامية هدفًا أساسيًّا لها منذ اليوم الأوّل لتأسيسها، لذا قامت بكلّ أنواع التّضحيات لتجعل المسلمين التّابعين لها والرعايا الآخرين الذين يعيشون تحت حكمها يعيشون في راحة واطمئنان، وأسّست نظامًا متكاملًا لهذا الشأن.

وأثمرتْ هذه التّطبيقات والمفاهيم التي قاموا بها ثمارها في وقت قصير، فقد وصلت المجتمعاتُ التي تعيش في الأماكن التي فتحت للدّولة العثمانيّة وعلى رأسِها النّصارى الأرثوذكس؛ إلى ذروة الطمـأنينة، واستمرّ هذا الوضع لعدّة عصور.

فقد كانت الدّولة العثمانيّة دولةً تعرض إدارةً عادلة بفضل النظام القانوني والأخلاقي الذي أعدّه الإسلام لرعاياه، وكانت الدّولة العثمانيّة لا تتصوّر أنّها لا تقدّم خدمات لتلك البقعة المقدسة التي كانت منشأ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- ومهبط القرآن، والمكان الذي يتجمّع فيه آلاف المسلمين كلّ عام لأداء فريضة الحجّ، وزاد اهتمامهم وتعلّقهم بالحرمين أضعافًا مضاعفة منذ عهد السّلطان يلدريم بايزيد.

وكما أنّه لم تكنْ للدّولة العثمانيّة أيّة علاقات سياسية مع الحرمين حتّى عهد السّلطان سليم الأوّل، فيمكن القول بشكلٍ أكثر راحة- أيضًا- أنه لم تكن مثل تلك الأفكار موجودةً لدى السّلطان يلدريم بايزيد ومحمد جلبي ومراد الثاني، وبالرغم من هذا خصّصت الأوقاف الكثير للحرمين على يد السّلاطين والعائلات الكبرى منذ عهد السّلطان محمد جلبي.

وهذا تصنيفٌ للأوقاف المختلفة طبقًا لمؤسّسيها:

المؤسّسون	العدد	النسبة المئوية
السّلاطين	29	15
والدات السّلاطين	14	7
زوجات السّلاطين	11	5
الوزراء والباشوات	39	20
أغوات دار السّعادة	10	5
أغوات آخرون	33	17
الأمراء	6	3
المعماريّون	1	0.5
الجاوشية	2	1
الكتخدا	2	1
رؤساء الأطباء	1	0.5
البوّابون	2	1
الأئمّة	1	0.5

السيّدات	27	14
مؤسّسون آخرون	35	18
المجموع	191	100%

وأهمّ ما يلفت الانتباه من تلك الخدمات التي تمّت لأهالي الحرمين أو من مصادر الدّخل؛ هي تلك الأوقاف التي أسّسها السّلاطين، وطبقًا للمعلومات المتوفّرة في أيدينا فإنّ أوّلَ صرّة أرسلت للحرمين في العهد العثماني كانت في عهد يلدريم بايزيد (791-804هـ/ 1389- 1402 م) [873]، إلّا أنه لا توجد أي معلومات في المصادر عن تأسيس يلدريم بايزيد لوقف للحرمين.

لذا يمكن القول بأنّ السّلطان محمد جلبي هو أوّلُ سلطان عثماني يؤسّس وقْفًا للحرمين استنادًا لما ذكره عاشق باشا زادة[874]، ثمّ أسّس السّلاطين الذين أعقبوه الأوقاف للبلدان المقدسة، ورغم أنّ عدد الأوقاف التي أسّسها السّلاطين العثمانيون يبدو قليلًا، إلّا أنهم قدّموا خدمات أكثر بكثير من الآخرين سواء من حيث الخدمات التي قدّموها أو من حيث مصادر الدّخل، حتّى أنه في حالة عدم كفاية مخصّصات الأوقاف للأعمال التي يلزم عملها، كانوا ينفقون من مالهم الشّخصي على الفور، والنتيجة أنّ السّلاطين العثمانيين ارتقوا ذروة الهرم في مجال أوقاف الحرمين مثلما كان هذا حالَهم في الشئون الأخرى.

والنّساء في التّاريخ التّركي الإسلامي كان لهنّ من الآثار ما يُعدّ من العناصر الهامّة للحضارة، فكنّ عاملًا مساعدًا في تأمين التوازن الاجتماعي في المجتمع، وإلى جانب العديدِ من خدماتهنّ التي قمْنَ بها في مجال خدمات الحرمين، بذلنَ جهدًا كبيرًا آخرَ في تكامل مجموعة من الأعمال التي كانت موجودةً من قبلهم، وأوقفت الكثيرُ من النساء في العصر العثماني- وعلى رأسهم نساء القصر- ما في أيديهنّ من أملاك وأموال، وما خصّص للحرمين من تلك الأوقاف كان له أهميةٌ كبيرة.

وأوّل مَن أسّست وقفًا للحرمين من نساء العثمانيّين هي شهزاده خاتون ابنة مراد الثاني[875]، فقد أوقفت لفقراء المدينة المنورة دخلَ إحدى القرى التابعة ليني شهر ببورصة[876].

ثمّ أعقبها العديدُ من النساء وعلى رأسهنّ والدات[877] وزوجات السلاطين[878].

ولقربِ والدات وزوجات السّلاطين منهم فقد حقّقوا ثروات طائلة من الأملاك المنقولة وغير المنقولة التي مُلّكت لهنّ، إلى جانب نفوذهنّ السياسي في القصر، ولكنهنّ لم يحقّقنَ تلك الثروة لمنفعةٍ دنيوية، بل استخدمنَها ابتغاء مرضاة الله عن طريق الأوقاف، وتشكّل الأوقاف التي أسّستها زوجات ووالدات السلاطين العثمانيّين جزءًا هامًّا من الخدمات التي قُدّمت للحرمين، فبفضل تلك الأوقاف التي أسّستها هؤلاء النّساء تحقّق من الأعمال ما لم تتمكّن الدّولة من تحقيقه، على سبيل المثال الأوقاف التي أسّستها كوسم والده سلطان وطورخان والده سلطان أدّت وظائفَ هامّة للغاية كتأمين احتياجات الحجّاج من المياه في طريق الحج، وشراء الإبل والملابس لغير القادرين، وتأمين الطعام للفقراء، أمّا مهرماة سلطان فقد كانت تبدو وكأنّها تتسابق مع والدها السّلطان القانوني وزوجها رستم باشا في تأسيس الأوقاف وتقديم الخدمات للحرمين، ولم تقتصرْ علاقة مهرماة سلطان بالحرمين على الأوقاف فقط بل أدّت من مالها الخاصّ الأموال الذهبية الكثيرة لترمّم عين زبيدة.

وبخلاف والدات وزوجات السّلاطين كان يوجد نوعٌ آخر من النساء أسّس الأوقاف للحرمين، ويبلغ عددهنّ 27 سيدة من زوجات الوزراء وأمراء السناجق، والنّتيجة أنّ النساء كان لهنّ 52 وقفًا من جملة أوقاف الحرمين البالغ عددها 191 وقفًا، أي أنهنّ أسّسن 27 % منها، ويعطينا هذا الرقم خطوطًا عريضة عن الحياة الاجتماعية والمادية للنّساء في العصر العثماني.

هذا بالإضافة إلى الأوقاف التي أسّسها الباشاوات الذين خدموا الدّولة العثمانيّة في كلّ المجالات المختلفة، ومن بين تلك الأوقاف ذلك الوقف الذي أسّسه سميز علي باشا خصّيصًا لتجهيز جنائز مَن يتوفّون في مكّة والمدينة، وهو وقفٌ يلفت الانتباه باعتبار ماهيّته، وعلى حسب أهمية المقام الذي كان يشغله هؤلاء الباشاوات كانت درجة ثرائهم، على سبيل المثال، سنان باشا فاتح اليمن حقّق ثروةً طائلة في الفترة التي حقّق فيها نجاحًا إداريًّا كبيرًا، وبلغت ثروته 600.000 دوقة ذهبية[879].

أمّا الأشخاص الذين كانوا يديرون شئون قصر طوب قابي الذي كان بمثابة مركزَ الدّولة العثمانيّة الإداري والسياسي فكان يطلق عليهم أغوات القصر، أمّا الأغا الذي كان يعرف بأغا دار السّعادة فكان مسئولًا عن نظارة كلّ الأوقاف التي أسّسها السّلاطين والوزراء وغيرهم في الدّولة العثمانيّة وعلى رأسها أوقاف الحرمين، والأغوات الذين يرتقون هذا المنصب يرتقون إليه عادة من

الدوشيرمة، وكانوا أصحابَ إمكانيات كبيرة للغاية من النّاحية المالية باعتبار المنصب الذي يشغلوه، على أيّ حال أسّس كلّ أغوات القصر العثماني الأوقاف المنفردة أو المتعددة، على سبيل المثال يوجد لبشير أغا الذي كان أغًا لدار السّعادة في القرن الثامن عشر أكثرَ من مئة وقفٍ أسّسها للأغراض المختلفة[880].

ويلاحَظ في الجدول السّابق أنّ العديد من الأشخاص الذين عملوا في الدّرجات المختلفة للدّولة العثمانيّة أسّسوا الأوقاف للحرمين، فقد أسست الأوقاف للحرمين طبقًا للإمكانيات الإدارية للأشخاص الذين أسّسوا تلك الأوقاف بدءًا من المعمار سنان وحتّى الإمام مصلح الدين إمام جامع السليمانية، ومن أوّل حمزة بك الشّراب دار أمير السنجق وحتى آخي جلبي قاضي المحكمة.

وبخلاف هؤلاء الأشخاص الإداريّين كانت هناك- أيضًا- أوقاف لأشخاص ليسوا موظّفين إداريّين ولكنّهم أصحاب إمكانيات مالية، من ذلك أنّ أحد وجهاء مرعش- ويدعَى بايزيد ابن اسكندر- أوقف 5 فلوري للفقراء الذين يعيشون في المدينة، ولنظافة المسجد النبوي[881].

وكما يُرى فإنّ أشخاصًا كثيرين من أفراد المجتمع العثماني أسّسوا الأوقاف للحرمين أكثرَ بكثير من المجتمعات الأخرى، وهذا يثبت لنا أنّ خدمات الحرمين ليست أمرًا قاصرًا على الدّولة فقط، بل إنّها أمر اشترك فيه كلّ أفراد المجتمع، وإذا ما وضعنا نصبَ أعيننا تلك الأوقاف التي أوقفها آلافٌ من الواقفين الذين اشترطوا في وقفهم أنْ يكون لأبنائهم مِن بعدهم ثمّ للمدينة من بعدهم، فستظهر لنا الوجهة الحقيقة للموضوع، إلّا أنّه لمعرفة هذا الأمر جيدًا يجب التّدقيق في كلّ الدّفاتر الشّرعية لكلّ القضاة، وهذا أمرٌ خارج عن الإرادة في الوقت الحالي.

وقد اشترط بعضُ الواقفين أوقافهم لخدمة الحرمين فقط، أمّا بعضهم فقد اشترطها لبعض الخدمات الأخرى بجانب خدمات الحرمين، فقد اشترطت مهرماة سلطان في أوقافها سبعةَ أوجه: تخصيص الأموال للموظفين في الحرمين وخليل الرحمن، تأدية الحجّ بالنيابة، الإحسان على أشراف مكّة والمدينة، قراءة القرآن على روح رسول الله في المدينة، توزيع الأموال المتحصّلة من قرية تاتار بازاري على فقراء الحرمين والمدينة، وترميم عين زبيدة، أمّا السّلطان القانوني فقد اشترط أربعة أوجهٍ لأوقافه، واشترطت نوربانو سلطان ستة أوجهٍ مختلفة لتصرف فيها أوقافها.

ولا شكّ في أنّ كلّ الخدمات والأوقاف التي تمّت للحرمين كان أساسها تعاليمَ القرآن وحبَّ النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا ما انتبهنا إلى أنّ الدوقة الذهبية كانت تساوي 12 أقجة فإن ثروة هذا الباشا حينئذ تكون 72.000.000 أقجة.

القسْمُ الخامس

إدارةُ أوقاف الحرمين

أولا : تأسيسُ نظارة الأوقاف الهمايونية

كان متولّي الوقفِ هو المسئولَ عن إدارة الوقف بما يتّفق مع الشروط الواردة به، أمّا ناظرُ الوقف فكان المسئولَ عن الإجراء الفعلي لتلك الشروط، إلّا أنّه وبعد ازديادِ أعداد الوقف واتّساع المجالات التي يخدم فيها؛ تمّ تأسيس مؤسّسة أطلق عليها "نظارة الوقف" كانت مهمّتُها إدارةَ الكثير من الأوقاف التي تأسّست منذ عهد الخلفاء الراشدين مع المحافظة على الشّروط التي اشترطها الواقفون.

وقد تأسّست أوّلُ نظارة للأوقاف في العالم الإسلامي بتعيين الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- سيدَنا أبا بكر على إدارة أراضي (فدك) التي أوقفها النبي صلى الله عليه وسلم، أمّا سيدنا عمر فقد عمل ناظرًا على الأوقاف التي أسّسها بنفسه [882].

وقد تأسّست نظارةٌ للأوقاف في العهد الأموي لإدارة الأوقاف التابعة للجامع الأموي بالشّام، وكان أولُ ناظرٍ لها هو واقد القرشي [883].

وفي العهد السلجوقي كان قضاةُ العسكر هم الذين يتولّون مهمّة نظارة الأوقاف[884].

أمّا أوّل إدارة للأوقاف في الدّولة العثمانيّة فقد تأسّست في عهد أورخان الغازي عام 760هـ/ 1359م ذلك العام الذي شهد وضعَ أساس العديد من المؤسّسات في إدارة الدّولة العثمانية[885].

وترك يلدريم بايزيد نظارةَ الأوقاف لمفتّشي الأحكام الشرعية، وجعل النظارة بذلك وكأنّها محلية[886]، أمّا السّلطان محمد جلبي فقد منح نظارة الأوقاف لمولانا جمال الدين محمد أفندي[887].

أمّا السّلطان الفاتح فقد كلّف الوزراء العظام بإدارة الأوقاف الموجودة في استانبول، وذلك عام 868هـ/ 1464م، فعيّن محمود باشا أولًا في هذه المهمّة، ثمّ أعقبه إسحاق باشا، وفي عام 872هـ/ 1467م تمّ التوحيد بين كلّ إدارات الأوقاف تحت اسم نظارة الصّدر العالي، وعُيّن رئيسًا للكتاب ليكون على رأس تلك النظارة[888].

أمّا السّلطان بايزيد الثاني فقد منح إدارة الأوقاف أولًا لمشايخ الإسلام[889]، ولكنّه في السنوات التالية لذلك عين أغوات دار السّعادة وقضاة استانبول على إدارة الأوقاف التي أسّسها السّلاطين ورجال القصر[890]، ويعدّ هذا التطبيق الذي بدأه السّلطان بايزيد الثاني بمثابة نقطة التحوّل للعبور إلى نظام محدّد في إدارة الأوقاف [891].

وبعد أنْ ضمّ السّلطان سليم الحجاز للدّولة العثمانيّة منح أغوات دار السّعادة نظارةَ آلاف الأوقاف

التي تأسّست في الأراضي العثمانية[892]، ولكنه عهد بإدارة الأوقاف التي أسّسها بنفسه لنظارة أوقاف

الصّدر العالي التي تأسّست قبل ذلك[893].

أمّا خاصكي خورم سلطان فقد أسّست "نظارة أغوية الباب" عندما كلفت محمّد أغا الخادم- أغا الباب- بنظارة أوقافها التي أسّستها في استانبول[894].

واعتبارًا من النّصف الثّاني للقرن السادس عشر أصبحت الدّولة العثمانيّة أكبرَ دولةٍ في العالم من حيث النواحي الجغرافية والسياسية والإدارية، وعمّ الثراء أرجاءَ الدولة، واتّخذ سلاطينُها وإداريوها وأصحابُ الإمكانيات من الأهالي طريق الأوقاف ليكون سبيلًا لهم للتصدّق.

وزادتِ الأوقاف التي تأسّست زيادة كبيرة، وأصبحت مسألة تنظيم شئونها مسألةً صعبة لأنّ تنظيم الحديث منها كان يؤثّر بالسّلب على القديم، ويمكن لنا تقسيم الأوقاف التي تأسّست في أرجاء الدّولة العثمانيّة إلى قسمين:

الأوقاف التي كانت تهدفُ لتحقيق خدمة للمنطقة المؤسّس فيها الوقف تبعًا للشّروط الواردة به، وهذه الأوقاف كان يمكن للإداريّين المحليين ومتولّي الأوقاف إدارتها.

أمّا القسمُ الثّاني منها فهي الأوقاف التي كان يجب إدارتها من قِبَل مركز الدّولة بمقتضى مصادر دخْلها وشروطها، ويرجع ذلك إلى أنّ مصادر دخل تلك الأوقاف كانت تقع في أماكن متفرقة، والأماكن التي سيصرف بها هذا الدخل كانت أماكن مختلفة عن تلك الأماكن الموجود بها

مصادر الدخل، لذا كان يجب إدارة تلك الأوقاف من قبل مركز الدولة، وتقع معظم أوقاف الحرمين ضمن هذا النّوع من الأوقاف.

لذا أصدرت الدّولة العثمانيّة حكمًا في 2/ رجب/ 996هـ/ 28/5/ 1588م لكلّ أمرائها وقضاتِها ودفتردارها في مصر وحلب والشام وبغداد والبصرة والموصل والرّقة وشهرزور والبوسنة والإحساء واليمن، وكلّ إيالات الأناضول والرومللي بأنّها عيّنت محمد أغا- أغا دار السّعادة- ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين الشريفين الموجودة في كلّ أراضي الدّولة العثمانيّة [895].

وفي 4/ رجب / 996هـ/ 30/5/1588م أرسل حكمٌ لمحمد أغا الذي عُهد إليه بنظارة أوقاف الحرمين الشريفين في كلّ أرجاء الدّولة العثمانية، حُددت فيه الأوقاف التابعة لنظارته، والأسس المتعلقة بإدارة تلك الأوقاف، وطبقًا لهذا فقد عُهد لمحمد أغا بنظارة أوقاف الدّشيشة والغورية والخاصكية وأوقاف السلاطين وزوجاتهم ووالداتهم ورجال القصر والوزراء إلى جانب نظارته لأوقاف الحرمين الشريفين في كلّ أراضي الدولة، ونظرًا لأهمية هذا الحكم فقد أوردناه هنا لأهميته:

"عندما يصل توقيعي الرّفيع الهمايوني إلى افتخار الخواصّ والمقرّبين مختار أصحاب العزّ والتّمكين معتمد الملوك والسّلاطين أنيس الخفية العلية المختصّ بمزيدِ عناية الملك العلّام أغا دار سعادتي دام علوّه ليعلم أنّه قد أرسل فقراء الحرمين الشّريفين رسالة إلى الرّكاب الهمايوني يخبرونا فيها بأنّ المسئولين عن كافّة أوقاف الحرمين الشريفين وكافّة أوقاف الدشيشة والخاصكية والسنجق والغورية والسّلاطين والأمراء نهبوا تلك الأوقاف بما يتّفق مع مصالحهم، ولم يقوموا بتوزيعها على مستحقّيها بمقتضى شروط تلك الأوقاف، وبذلك لم تصلْ تلك الأوقاف إلى أصحابها، لذا حدث عندنا تخوّف من هذا الأمر.

وعندما علمنا أنّه يجب فيمَن يتولّى شئون كافة الحرمين أنْ يكون شخصًا متديّنًا ومستقيمًا، فقد عيّنّاك ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين وأوقاف الدشيشة والخاصكية والغورية والسنجق وأوقاف الأمراء والسّلاطين كافّة عامّة؛ لما رأيناه فيك من حُسن الخلق والكمال والاستقامة والتّدين وحسن التدبير، وقد أصدرنا أمرنا الشّريف المقرون بالخطّ الهمايوني بذلك.

وأمرْنَا بالآتي، عندما يصلُكم فرماني هذا لتعملوا بما ورد فيه، وستكون ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين وأوقاف الدشيشة والخاصكية والعلم والسنجق والغورية وأوقاف الأمراء وكلّ

الأوقاف المشروطة للحرمين، وعليكم إزالة كلّ ما هو مشكوك ومشتبَه فيه، وستكون كلّ المصروفات الواقعة قليلة كانت أو كثيرة تحتَ مسئوليتكم وبمعرفتكم، وسيكون لكم الحقّ في عزل أو تعْيين ما ترونَه مناسبًا من الموظفين الذين يعملون بتلك الأوقاف من متولّين وكتّاب وجابين، ولكم الحقّ- أيضًا- في معرفة ما صرفَه المتولّون أثناء ولايتهم للأوقاف، وفي أيّة جهة صرفوه، وما هو مقدار الأموال الموجودة، وما مقدار الأراضي والمقطعات الموجودة، ولكم الحقّ في طلب دفاتر المتولّين ودراستها، ومعرفة حسابات المتوفّين، ويكون ذلك بمساعدة أهل العلم والخبرة، ولكم أنْ تعرفوا عددَ المنازل والحوانيت الموقوفة والموجودة في كلّ مكان، ومَن أوقفها، وعليكم- أيضًا- استئجار الحوانيت والمنازل بالسّعر الرائج للإيجار مقابل قيمةٍ قليلة أو كثيرة بعد التحقّق من شروط وقف تلك المنازل أو الحوانيت.

وعليكم تعقّب ذلك وإحياء تلك الأوقاف المذكورة، وأن تتسلّموا من المتولين الأموالَ المتحصّلة من تلك الإيجارات، وعليكم حفظ الزّوائد من أوقاف السلاطين، كما عليكم حفظُ الزّوائد واللواحق من أوقاف الحرمين الشريفين وإرسالها لفقراء الحرمين الشريفين، كما عليكم حماية فقراء تلك الأوقاف، وعليكم أنْ لا تهملوا في أيّ مادّة تعلق بأحوال أوقاف الحرمين، ولتعلم هذا، ولتعتمد العلامة الشريفة.

تحريرًا في اليوم الرابع من شهر رجب المرجب سنة 996هـ/ 30/ مايو/ 1588م" [896].

والوثيقةُ السابقة تعطينا معلوماتٍ عن تأسيس نظارة أوقاف الحرمين، وكذا معلومات عن شكل إدارتها، وقد ورد في الوثيقة- أيضًا- أنّ الفقراء الذين هم أصحاب الحقّ في الحصول على دخل تلك الأوقاف لم يستطيعوا أخذَ حقّهم منها نتيجة لسوء تصرّف موظّفي الأوقاف والتّشتت الموجود في إدارة الأوقاف.

وأصبح هؤلاء الفقراء في حالةٍ من الاحتياج والعوز، وتقدّموا بعريضة للسّلطان يخبروه فيها بأنّهم وقع عليهم الضّرر من جرّاء هذا، ويطلبون منه أنْ يزيل هذه الأزمةَ عنهم، وقد أخذ السّلطان شكواهم محمَلَ الاهتمام، وبعْدَ عمل التّحقيقات اللازمة ثبتَ له حدوث بعض الانحرافات المتعلّقة بتوزيع دخل أوقاف الحرمين، فعيّن محمد أغا- أغا دار السّعادة- ناظرًا على كلّ أوقاف الحرمين الشّريفين نظرًا لنجاحه في إدارة بعض الأوقاف قبل ذلك.

ويمكن عدّ شروط تلك الوظيفة فيما يلي:

1- تنظيم شئون واردات ومصروفات الأوقاف.

2- تسجيل كلّ المحاصيل والأموال المتحصلة من تلك الأوقاف قليلة كانت أو كثيرة، وعدم إغفال أيّ منها حتّى ولو كان ضئيلًا للغاية.

3- له الحقّ في تعيين وعزل المتولّين والكتّاب والجابين للأوقاف التابعة لنظارته.

4- يتمّ عمل حسابات لكلّ الأوقاف وتسجل بها كافة المصروفات والواردات، وإثبات مصادر دخل الأوقاف بتلك الدفاتر.

5- إثبات إخلاء الرعايا الموجودين في أراضي الأوقاف لأي سببٍ كان كالموت أو الهجرة.

6- إثبات شروط الأوقاف، وإدارتها طبقًا لتلك الشروط، ومراقبة عدم إدارتها بمقتضى شروطها أم لا.

7- إيجار المنازل والحوانيت بالسعر المتداول للإيجار بعد التأكد من شرط وقف المنزل أو الحانوت.

8- رعاية وصيانة مصادر دخل وآثار الأوقاف.

9- بعد جمع الدخل وإخراج المصروفات، يرسل المبلغ المتبقي للحرمين قليلًا كان أو كثيرًا دون نقص.

وطبقًا للوثيقة الواردة سابقًا فإنّ نظارة أوقاف الحرمين تأسّست عام 996هـ/ 1588م، أمّا الوثيقة المؤرّخة بتاريخ 997هـ/ 1589م فتوضح كيفية توزيع أوقاف الحرمين، وتذكر تلك الوثيقة أنّ محمد أغا كان ناظرًا لأوقاف الحرمين في ذلك الوقت[897]، أمّا الفرمان الوارد بدفتر حسابات أوقاف الحرمين في الفترة فيما بين 997- 998هـ/ 1589- 1590م والمذكور فيه دخل الأوقاف الموجودة في قصبة إسماعيل كجيد [898]؛ فيوضّح أنّ تاريخ تأسيس النظارة كان عام 996هـ/ 1588م[899].

ثانيا : إدارةُ نظارة الأوقاف وبنيتها

كان أغوات دار السّعادة وباب السعادة يديرون قسمًا من الأوقاف المخصّصة للحرمين قبل تأسيس نظارة أوقاف الحرمين[900].

وقد قسّمت الإدارة في نظارة أوقاف الحرمين إلى أربعة أقسام لضمان العمل بها بشكل أكثر دقّة وايجابية:

حساباتُ أوقاف الحرمين

ومهمّتها تسجيل حسابات الأوقاف التابعة لأغوات دار السّعادة، وتسجيل الأماكن الموجود بها الأوقاف [901].

تفتيشُ أوقاف الحرمين

وكانت هذه الإدارةُ مسئولةً عن مراقبة أوقاف الحرمين وأوقاف السلاطين والوزراء، ومصادر دخل تلك الأوقاف، والحفاظ عليها، وإدارتها بما يتفق مع الأحكام الإسلامية، وكان أحمد أفندي الأماسيوي- وهو من كبار مدرسي تلك الفترة- هو أوّلَ مفتش لتلك الإدارة، وقد تأسّست إدارة تفتيش الأوقاف قبل تأسيس نظارة أوقاف الحرمين بسنة ونصف تقريبًا (محرم/ 995هـ/ 12/ 1586 م) [902].

مقطّعات الحرمين

وكانت مهمّة تلك الإدارة تسجيلَ ورادات ومصروفات الأوقاف، وتأمين انتقال أموال الأوقاف، وسقوطها عن الملكية، كما كانت مسئولة عن توزيع وحساب دخل الأوقاف [903].

إدارةُ الكتابة في دار السّعادة

ومهمّتها كتابة الشّئون المتعلّقة بأغوات دار السعادة، وكان الأشخاص الموظّفون في تلك الإدارة على علم بكلّ الشئون الإدارية للأغوات [904].

وإلى جانب المسئولية التي كانت مُلقاة على عاتق أغوات دار السّعادة وأغوات الحريم في قصر طوب قابي، كانوا- أيضًا- رؤساء على الموظفين العاملين في أوقاف الحرمين وأوقاف

السّلاطين والوزراء وزوجات السلاطين، وبعد تأسيس نظارة أوقاف الحرمين كانت أهمّ وظيفة يضطلعون بها هي تأمين نظام وإدارة شئون تلك النظارة [905].

وكان دخلُ أوقاف الحرمين يجمَع في مكان يطلق عليه "الدائرة الخاصة "بقصر طوب قابي، ويوجد

بتلك الدائـرة مسئـول حسـابات وكاتب ووزّان لإجـراء الشئون الإدارية اللازمة بها [906].

وكان أغواتُ دار السّعادة يجمعون دخل أوقاف الحرمين والأوقاف الأخرى التي تحت نظارتهم في استانبول وسائر الولايات سنويًّا بواسطة موظّفيهم، وطبقًا للشّروط الواردة بالوقفيات، فكانوا يتّخذون شروط الوقفية أساسًا لهم في جمع الدّخل، وبعد أنْ يصنّفوا هذا الدخل يقسّموه ليرسلوه مع الصّرّة إلى مكّة والمدينة والقدس إذا كان هناك مخصّصات لها.

أمّا المبلغ المتبقّي فيحفظ في مخازن الحرمين بالدائرة الخاصة، وبعد هذا الإجراء يقوم المحاسبون بإعداد الدّفاتر السنوية للأوقاف، حيث يسجلون كلّ المَصروفات والواردات والأموال المتبقية، ويقدّمون تلك الدّفاتر للسلطان[907]، فيطلع السّلطان على الدفتر المقدَّم له ويكتب فيه بخطّ يده عبارة "يتخذ فيها اللازم، وتدوّن في إدارات نظارة الأوقاف"، ثمّ تعاد مرّة أخرى، فيقوم الناظر بعمل الإجراءات اللازمة، ويحتفظ بالخطّ الهمايوني كسندٍ قانوني على الدفتر.

والصّرف من خزينة الحرمين مرتبطٌ بإذن السّلطان بشكل مطلق، ويرتب أغواتُ دار السّعادة ديوانًا يوم الأربعاء من كلّ أسبوع يشترك فيه محاسب أوقاف الحرمين، والمقطّع ورئيس الكتاب، وكاتب دار السعادة، وسائر الموظفين الآخرين للنظر في شئون النظارة والأوقاف، ويتمّ في هذا الديوان كلّ الشئون الخاصة بالأوقاف من إحالات لمقطعات أوقاف الحرمين، وشئون المحلولات والانتقال والفراغ، وعرائض المتولين، وحركة التعيينات والعزل الخاصة بمساجد السّلاطين[908].

ومن ذلك قرار أغا دار السّعادة يوسف أغا عام 1086هـ/ 1675م باستمرار متولّي أوقاف الحرمين في حلب ويدْعَى محمد في وظيفته لما رؤى من حسن إدارته، وبالتالي سيكون استمراره أنفع[909].

وفي حالة عدم وجود أموال في الخزينة الداخلية في السنوات التي تتأزم فيها الخزينة الخارجية؛ كان يؤخذ قرض من خزينة أوقاف الحرمين ويمنح للمالية [910].

وكان يوجد بالسناجق التي بها أوقاف للحرمين متولٍّ خاصّ لتلك الأوقاف، يقوم بجمع دخل الأوقاف التابعة له بمساعدة الأمراء المحليين، ويرسله إلى الخزينة [911].

ولأنّ إدارة أوقاف الحرمين كانت تسير بشكلٍ جيد بمرور الوقت، ألحقت بها بعضُ الأوقاف التي كان بها قصور في إدارتها، ففي رمضان من عام 1006هـ/ 4/ 1598م لوحظَ بعض جوانب التقصير في إدارة بعض الأوقاف وكذا أوقاف جوامع السّلاطين.

فقامتِ الدّولة بربط أوقافِ تلك الجوامع، وعلى رأسها جامعي آيا صوفيا وجامع شهزادة، وبعض أوقاف السّلاطين؛ بعثمان أغا أغا دار السّعادة وناظر أوقاف الحرمين في ذلك الوقت[912]، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن نظارة أوقاف الحرمين الشريفين لم تكنْ لإدارة الأوقاف المؤسّسة لخدمة الحرمين الشريفين فقط، بل كانت- أيضًا- تدير بعض الأوقاف الأخرى التي لم تكن تهدف لخدمة الحرمين، كما أنّ الوثائق الموجودة بالأرشيف لم تكن خاصّة بالأوقاف المتعلقة بخدمة الحرمين فقط، فتوجد بينها وثائق تتحدّث عن إدارة بعض الأوقاف الأخرى التي لم تكن تتعلّق بالحرمين، على سبيل المثال توجد 10 وقْفيّات في دفتر نظارة أوقاف الحرمين الشريفين تواريخها 1026-1027هـ/ 1617- 1618م، لم تكن أوقاف مؤسّسة لخدمة الحرمين الشريفين[913]، أمّا الدفتر المؤرخ بتاريخ 1023- 1030هـ/ 1614- 1621م فتوجد به معلومات عن تسجيلات ووظائف الخدم في الأوقاف الخاصّة بنساء القصر[914]، وبالرغم من أنّ تلك الأوقاف المذكورة كانت تابعةً لنظارة أوقاف الحرمين الشريفين إلّا أنها لم تكن لخدمة مكّة أو المدينة، وفي دفتر التحرير المؤرّخ بتاريخ 1031هـ 1622م ذكر توزيع وظائف 168 وقفًا، سبعة منها فقط كانت خاصّة بالحرمين[915]، أمّا الأوقاف المسجلة في الدفتر الذي ذكرَ به مستغلّات أوقاف الحرمين في الفترة 1040- 1242هـ/ 1630- 1826م فكلّها مخصّصة للحرمين [916].ذ

ثالثا : حساباتُ أوقاف الحرمين

كانت شئونُ حسابات أوقاف الحرمين تتمّ في إدارة حسابات الحرمين التي كانت شعبةً من شعب نظارة أوقاف الحرمين، وتوجد تسجيلات في دفاتر حسابات أوقاف الحرمين الموجودة

بالأرشيف العثماني عن الأوقاف التابعة لهذا القلم، وحسابات المقطعات، وحسابات عن الهدايا التي كانت ترسَل لمكّة والمدينة، وكانت الحساباتُ السنوية لكلّ الأوقاف تسجّل في دفترين، يعطى أحدُهم لرئيس المحاسبين، والثاني يظلّ في قلم الحسابات.

وتلك هي الأوقاف التي كانت حساباتها تابعةً لإدارة حسابات أوقاف الحرمين:

أوقاف السّلاطين ووالداتهم وزوجاتهم وأبنائهم.

أوقاف الوزراء والباشوات.

أوقاف أغوات دار السّعادة وبقية الأغوات الآخرين.

الأوقاف المخصّص كلّ دخلها لمكة والمدينة.

أوقاف الأولياء.

أوقاف مصر.

الأوقاف التي كان يخصّصها بعض الأشخاص للمدينة المنورة.

الأوقاف التي يؤسّسها الصّدور العظام وشيوخ الإسلام.

وكانت إدارةُ حسابات أوقاف الحرمين تنظر في شئون الأوقاف المذكورة سابقًا من تأجيرٍ للعقارات غير المنقولة التابعة لتلك الأوقاف، أو أي توجيه آخر خاصّ بها. وتوجد معلومات مفصّلة عن الواردات والمصروفات الخاصة بالأوقاف الموجودة في إيالات استانبول وأدرنة وبورصة والرومللي والأناضول، وقرمان والروم ومرعش وديار بكر، وبغداد وقبرص وتوابعهم في الفترة فيما بين أعوام 997- 998هـ/ 1588-1589م في أحد دفاتر هذا القلم، وتعطي العرائض والفرمانات الموجودة في بداية تلك الدّفاتر معلومات هامّة وقيّمة عن الأوقاف وتطبيقاتها وإجراءاتها [917].

أمّا نهاية تلك الدّفاتر فتوجد بها معلوماتٌ عن دخل مصروفات تلك الأوقاف والمخصّصات التي كانت ترسَل للحرمين، وتلك هي الحصصُ الواردة في نهاية الدّفتر المارّ الذكر:

بلغ مجموع الواردات المتحصّلة قبل إخراج المصروفات 42 حملًا، تساوي 6.142 أقجة، ما يعادل 35.051 سكة فلورية و22 أقجة نقدية.

وتلك هي المصروفاتُ الضرورية المنفقة من المبلغ المذكور:

لعبيد الباب الذين حصّلوا المال	51.736 أقجة
مصروفات ضرورية	80.178 اقجة
بدل إخراجات	88220 أقجة
المجموع	220130 أقجة

أمّا المبلغ المتبقي بعد إخراج تلك المصروفات وهو 33.216 فلورية و8 أقجات، فقد وزّع على مكّة والمدينة والقدس طبقًا لنظام التوزيع الموجود في الدّفاتر القديمة على ما يلي:

لفقراء مكة	232.470 أقجة
لفقراء المدينة	13.908 فلوري و 53 أقجة
لفقراء القدس	86.575 أقجة
المجموع	1.014.953 أقجة

وتمّ عمل التحقيقات اللازمة، وتبيّن منها أنّ عدد الفقراء في المدينة أكثر ممّن في مكّة؛ لذا أرسلَ ثلثُ المبلغ المتبقي لمكّة والثلثان للمدينة.

وتلك هي المبالغُ التي أرسلت للمدينتين:

لفقراء مكّة 5500 سكة فلورية

لفقراء المدينة 11.101 سكة فلورية

وبذلك يكون المجموع 16.651 سكة فلورية = 832.550 أقجة [918].

السّنة	المحصول	الزيادة	النسبة المئوية
981/1573	9.832.124أقجة		
982/1574	9.832.994أقجة	870 أقجة	0.01
983/1575	9.852.174أقجة	19.180 أقجة	0.19
984/1576	9.862.124 أقجة[919]	9.950 أقجة	0.10

وبينما كانت بعضُ دفاتر المحاسبة تذكر النفقات والدخل السنوي للأوقاف بشكل عام، إلّا أنّ بعضها يذكره بشكل مفصّل للغاية، على سبيل المثال تمّ تسجيل واردات أملاك أوقاف الحرمين الموجودة في الروملي والأناضول واستانبول وبورصة وأدرنة والبلدان المختلفة، وكذا بدل المقطعات ونظارات وتولية الأوقاف والالتزام في دفاتر عام 981- 984هـ/ 1573- 1576م، كما توجد معلومات مفصّلة للغاية عن أسماء الأشخاص والقوافل الذين كانوا مكلفين بشئون الأوقاف السّنوات المختلفة، وكذا محاصيل ثلاث سنوات للملتزمين، وأسماء كتاب المقطعات، ومقدار محاصيل الملتزمين القدامى، وفائض المحاصيل عن السنوات السابقة. ويمكن من خلال هذا الدفتر مراجعة كلّ نفقات ودخل أوقاف الحرمين في فترة تقدّر بأربع سنوات.

ويمكن تقسيمُ دخل أوقاف الحرمين الموجودة في إيالات الأناضول والروملي واستانبول وبورصة وأدرنة والبلدان المختلفة على النحو التالي:

وليستِ الأرقام المذكورة هي كلّ ما أرسل للحرمين في تلك السنوات، بل على العكس هي قيمة ما تمّ الحصولُ عليها دون إنفاق أية نفقات ضرورية، لهذا فإنّ الرّقم المذكور هو أقرب ما يكون للمبلغ الذي أرسل للحرمين في السنوات 997- 998هـ/ 1588- 1589م لأنّ أكثر من نصف دخل تلك الأوقاف خصّص للوظائف المثبتة في شروط الوقف وللنقل وسائر الأغراض الأخرى.

ومِن خلال الجدول السّابق يتّضح لنا أنه لم يحدثْ أيّ تراجع قط في غضون الأربع سنوات المذكورة في دخل أوقاف الحرمين، وهذا يدلّ على أنّ تلك الأوقاف كانت تُدار بما يتّفق مع أصول إدارة الأوقاف، كما أنه لم يظهر أي وضع طارئ خلال تلك الفترة، أمّا الزيادة التي حدثت في الدّخل فهي بسيطة جدًّا، حتّى أنّ الزيادة التي حدثت عام 982هـ/ 1582م كانت نسبتها واحد في الألف، تراوح هذا الرقم في السنوات التي أعقبت تلك الفترة بنسبة 1-2 %.

أمّا في عام 1071هـ/ 1661م حدثت زيادة كبيرة في مجموع دخل أوقاف الحرمين في كلّ أراضي الدّولة العثمانية، فيذكر أيوب أفندي أنّ دخل أوقاف الحرمين في تلك السنة المذكورة بلغ 117 حملًا، و 23.469 أقجة، أمّا الدخل السّنوي للأوقاف التابعة لمقطعات الحرمين فبلغ 178 حملًا، و 20.537 أقجة [920].

وعلى النّقيض ممّا ذكر وجدنا بعضَ دفاتر حسابات أوقاف الحرمين تذكر حسابَ بلدة أو عدّة أوقاف فقط، ومنها على سبيل المثال أنّ مجموع دخل أوقاف الحرمين الموجودة في بغداد عام 1000هـ/ 1592 م بلغ 50.400 أقجة [921].

وقد تحقّقنا من مجموع دخل ومصروفات أوقاف الحرمين الموجودة في أدرنة وتوابعها في الفترة فيما بين أعوام 1023- 1024هـ/ 1614- 1615م فوجدنا أنّها على ما يلي:

المحاصيل السنوية لأوقاف الحرمين	761.070 أقجة
المبلغ المتبقي من السنة الماضية	160.720 أقجة
إيجار الحوانيت والمنازل الموجودة في أدرنة وتوابعها	70.100 أقجة
من الأوقاف الأخرى	101.260 أقجة
وبذلك يكون مجموعها	1.093.150 أقجة [922].

أمّا في الفترة فيما بين أعوام 1075-1076هـ/ 1665- 1666م فكان الدّخل المتحصّل من أوقاف الحرمين الأربعة وعشرين الموجودة في استانبول وأدرنة وقرمان وقبرص والأناضول والروم‌للي 25 كيسًا، وذلك طبقًا للعريضة المقدّمة للسّلطان في 5 /جمادى الأخرى/ 1076هـ[923].

وتذكرُ بعضُ دفاتر الحسابات معلوماتٍ عن الأوضاع الخاصّة التي كانت تقابل عند تحصيل أوقاف الحرمين المرسَلة إلى مكّة والمدينة مع الصّرة، من ذلك على سبيل المثال اكتشاف المحصّلين نقصًا يبلغ كيسيْن وأقجتيْن من الدخل الذي كان يُفترض جمعُه من أوقاف غضنفر أغا، فتمّ تداركه على الفور [924]، ونفس الشّيء حدث مع وقف عائشة سلطان، فقد أصبح غير ممكن إرسال دخل الوقف للحرمين نظرًا لأنّه استخدم في ترميم حمّام الوقف، وفي الفترة فيما بين أعوام 1098-109هـ/ 1687- 1688م لم يتمّ التمكّن من تحصيل 31 كيسًا و 172 قرشًا من أوقاف الحرمين لأسباب مختلفة[925]، وبلغ مجموع الأموال المرسلة للحرمين مع الصّرّة في السنوات المذكورة بخلاف ما لم يتمّ التمكّن من تحصيله 367 كيسًا و 240 أقجة[926].

رابعا : إعفاءُ أوقاف الحرمين من الضرائب

كانت كلّ محاصيل الأراضي الموقوفة للحرمين مُعفاةً من الضرائب والعوارض، وكانت أراضي أوقاف الحرمين الموجودة في الأماكن المختلفة من الدّولة العثمانيّة- كما أوضحنا سابقًا- تدخل ضمن هذا الصنف من الأراضي، وإلى جانب هذا الإعفاء من الضرائب كان يوجد لتك الأراضي نوعٌ من الحصانة، فقد قام السّلطان محمد الفاتح بإرسال محمد باشا الرومي لتسوية التمرّد الذي ظهر في منطقة قرمان، وقام الباشا المذكور بهدْم وحرق القرى الموجودة في هذه الإيالة، كما عامل قرية أريكلي التي كانت موقوفة للمدينة المنورة بنفس المعاملة، ولمّا علم الفاتح بهذا الأمر عاقبَ الباشا المذكور على فعلته هذه [927]، وفي عام 895هـ/ 1490م استولى الجيش العثماني على ثلاثِ قلاع من القلاع المملوكية في المعركة التي تمّت بينهما في جقور أوة، ولمّا علم العثمانيون بأنّ تلك القلاع موقوفةً للحرمين داوموا على استمرار وقْفها للحرمين [928].

ونفسُ الإعفاء الذي كان مخصّصًا لأوقاف الحرمين من الضرائب كان نافذًا- أيضًا- في الجمارك، أي أنّ أوقاف الحرمين كانت مُعفاة من الجمارك، وأصدرت الدّولة العثمانيّة حكمًا لأمناء الجمارك في 8/صفر/976/2/8/1568م تطلبُ فيه منهم عدم تحصيل أيّ جمارك على الهدايا التي يرسلها شريف مكّة أو الأموال المرسَلة له[929]، وفي عام 988هـ/ 1580م طُلب تحصيل العشر الذي لم يكنْ يحصّل قبل ذلك من السّفن التي كانت مخصّصة لنقل مخصّصات وقف نوربانو سلطان والدة السّلطان مراد الثالث من مصر لمكّة والمدينة، وبناءً على ذلك تقدّم شريف مكّة بطلبٍ يطلب فيه إزالة هذا المطلب فورًا، وعودة تطبيق الإجراءات القديمة[930]، وعدم تحصيل جمارك عن مستلزمات الطعام للحجاج الذين يمرّون من الجمارك كان نوعًا من هذه الإعفاء الجمركي المخصص لأوقاف الحرمين [931]، وعندما تقدّم أهالي قرية جوبوق التابعة لقضاء زيلة التابع لطوقاد والتي كانت موقوفة للمدينة المنورة بعريضة للدّيوان بواسطة إبراهيم بن محمد باشا، يطلبون فيها صدورَ فرمان يقضي بإعفاء محاصيل القرية من العوارض والتّكاليف[932]، كان هذا- أيضًا- بمثابة نموذجٍ على إمكانية إعفاء أوقاف الحرمين من الضرائب.

وقد أضاف بعضُ الواقفين شرطًا لوقفيّاتهم بعدم تحصيل أية ضرائب عن الأراضي التي أوقفوها، وقد طلبت السيدة فاطمة خاتون زوجة لالة مصطفى باشا أمير أمراء الشّام إعفاءَ محاصيل القرى التي أوقفتها لفقراء المدينة وأمن طريق الحجّ من الضرائب.

واشترطت أنْ يضاف هذا المبلغ الذي كان مقرّرًا منحُه للضرائب إلى مخصّصات الحرمين[933].

وفي عام 996هـ/ 1588م أرسل حكم لوالي الشّام ووالي مصر وقضاة حلب وطرابلس وديار بكر

وبيرجي وأريكلي وكلين كيراس، ذكر لهم فيه أنّ مجموعة من الأشخاص وضعوا أيديهم على بعض أوقاف الحرمين المُعفاة من الضرائب، وطلب من هؤلاء الإداريّين المذكورين أنْ يقوموا بتسجيل أراضي الأوقاف التي في حوْزتهم، وأن يعيدوا ما اغتصبَه هؤلاء الغاصبون، وأن يضربوا بيدٍ من حديد عليهم، ولا يقبلوا فيهم شفاعة أو عفوًا أبدًا[934].

ولم يكنْ هذا الإعفاء من الضرائب مقتصرًا على أراضي أوقاف الحرمين فحسب، بل كان يشمل- أيضًا- الأموالَ المخصّصة للحرمين فكانت معافاة من الضرائب، على سبيل المثال في الفترة 944-945هـ/ 1537- 1538م حدثت أزمةٌ مالية في الخزينة العثمانيّة بسبب الحملات التي كانت تلي بعضها البعض في عهد القانوني، وللقضاء على تلك الأزمة أخذ الإداريّون من دخل العديد من الأوقاف، ومن أموال أوقاف الحرمين الموجودة في إيالة الأناضول [935].

وبناءً على طلب خليل باشا الذي كان يستعدّ للخروج لحملة الرومللي عام 99هـ/ 1588م أنفقت 900 سكة كانت مخصّصة لفقراء الحرمين من وقف جوهر خان سلطان الموجود في استانبول وسمنديرة على نفقات الحملة [936].

أمّا في عام 1089هـ/ 1678م فقد أنفقت بعض النفقات المخصّصة للحرمين على بعض الأماكن التي حدّدت بالخطّ الهمايوني، وتلك هي الأماكن المحدّدة بالخطّ الهمايوني ومقدار ما أنفق عليها:

المكان	الكمية
ثمن الإطار المجوهر	4 كيس و 200 قرشًا
لدين النساء	14044 قرشًا
أثمان المسبحات	8.700
ثمن لـ..	7.380
ثمن لأكواب من الألماس	6.000
ثمن لفراء السمور	1550
إحسان على الأغوات	3500
ثمن العربات	100

ثمن لتسع جواري	8900
ثمن جارية	1580
للأغوات المصاحبين	6580
للأغوات المصاحبين المأخوذين لدار السعادة	450
مصاريف طريق لاستانبول	320
ثمن دائرة	200
ثمن جارية	800
لأكياس السلاطين	110
لكتخدا الخزينة	2325
إحسان والدات السلاطين	10.000
ثمن القماش المشترى للنساء من أجل العيد	12533
ثمن مسبحة كبيرة	6500
لجارية وأسطى للسّلطان الصغير	540
مصاريف طريق لرقية سلطان	1.500
لأحمد أغا المصاحب	500
لكتخدا قادين	500
ثمن مسبحة	4.900

ثمن مسبحة	3.900
ثمن حجرين من الألماس	2.400
ثمن خاتم من الزمرد	150
ثمن نطاق	1.700
للنساء في الترسانة	25000
لسليم أغا	500
إحسان على المدرسين	2000
إحسان صاحب الشوكة	2500
لثلاثة من الأغوات المصاحبين	300
إحسان للكتخدا في عيد الأضحى	100
ثمن جارية أخذت من امرأة عماد أفندي	500
ثمن برناق	187
منحة معتادة للأوجاق في عيد الأضحى	500
نقود لعفيفة خاتون	1.885
ثمن قماش صغير في حديقة أياز ما	123 قرشًا [937]

والخاصيةُ التي تلفتُ الانتباه في هذا الجدول أنّ الإقطاعات التي كانت تتمّ أولًا من مخصّصات الحرمين الشريفين كانت تتمّ في الأوضاع الطارئة مثل الحروب وغيرها، ولكن بعد

ذلك- وكما نرى في الجدول أنّها- كانت تقطع لتصرف على احتياجات المنتسبين للقصر، وهذا الوضع يظهر لنا حدوث الرخاوة في أوقاف الحرمين وإدارتها.

وفي حالة تحصيل الضّرائب على أوقاف الحرمين، وكان ذلك عن جهالة من الموظفين؛ فإنّ النّظار أو الأشخاص الذين أخذوا تلك الضرائب بدون وجه حقّ يطلبون من السّلطان إزالتها، وفي عام 1101هـ/ 1690م أدى أهالي قريتي كافر أغيلي وأيواليق اللتيْن خصّصتا للحرمين مخصّصات الحرمين، وقام محصّلو الضّرائب بتحصيل ضريبتي العرفي والشّقة منهم، فتقدم هؤلاء الأهالي بعريضة للسّلطان بواسطة مصطفى أغا ناظر أوقاف الحرمين لتسوية هذا الوضع، وحصلوا على فرمان إعفاء من الضرائب (15/ جمادى الأخرى/ 1101هـ/ 27/4/ 1690 م)[938].

خامسا : تنافسُ السّلاطين العثمانيين في خدمات الحرمين

عندما قرأ محمد أمين المكي فرمان السّلطان سليمان القانوني الذي يقول فيه "يجبُ عدم التغافل والتّكاسل في خدمة وحماية الحرمين المكرمين المحترمين، وخدمة الرعايا الذين يعيشون في تلك الولايات" [939] عبّر بأوجز العبارات عن الخدمات التي قام بها السّلاطين العثمانيون في الحرمين الشريفين والآثار التي تركوها هناك، بقوله "باستثناء ما قام به الخلفاء الراشدون وعمر بن عبد العزيز منذ ما يقرب من 1300 عامًا، لم يقمْ أيّ حاكم من حكام الدول الإسلامية بعمل ما قام به آلُ عثمان، فقد خلف سلاطينهم مآثرَ وآثارًا جليلة في الحرمين الشريفين، وأظهروا رعاية واحترامًا كبيرين لآل بيت رسول الله "[940]، وهو ما يظهر الخدمات التي قدّمها العثمانيون للحرمين على مدار 400 عامًا.

لقد اعتبر العثمانيّون مَن يعيشون في مكّة المكرمة التي تحمل بداخلها كعبة الله المعظّمة ضيوفَ الله، أمّا من يعيشون في المدينة المنورة التي تحمل في باطنها جثمانَ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- جيران رسول الله، واعتبروا حماية مكّة والمدينة ومراقبة أمنهما أحدَ أهمّ الوظائف التي اضطلعوا بها،

ونتيجة لذلك فتحوا اليمن ليجعلوا البحر الأحمر تحت مراقبتهم وسيطرتهم دائمًا [941].

وبعد أنْ تمكّن السّلطان سليم من ضمّ الحجاز له، لقبوه بألقاب خادم الحرمين الشريفين[942]، وحامي حمى الحرمين[943].

ولا شكّ في أنّ التنظيمات التي كانت تتعلّق بخدمات عبادة الحجّ كانت أحد أهمّ خدمات الحرمين، والفرمان المؤرّخ بتاريخ 972هـ/ 1565م يظهر لنا- وبكلّ راحة- مدى فهم السّلاطين العثمانيين وإدراكهم للحجّ، والفرمان يعرض أهمية كبرى بالنّظر إلى ما هو الوضع عليه الآن، فقد ورد فيه "أنّه لا يمنع مسلم أو مؤمن يؤمنُ بالله من زيارة مكّة أو الطواف بالبيت طالما أنّه يريد ذلك"[944]، ومن هذا المنطلق أدّت جموع الحجّاج التي خرجت من جوانب الدنيا الأربعة لأداء فريضة الحجّ تلك الفريضة في أمنٍ ويُسرٍ كبيريْن، وكان هذا الوضع نافذا- أيضًا- على مَن يأتون للحجّ ويريدون البقاء في مكّة، فلم يمنع أي شخص يريد البقاء في مكّة من الإقامة فيها، لا سيّما وأنّ جماعة من الحجّاج القادمين من مصر وشمال أفريقيا- وكانوا من العلماء والوجهاء- أدّوا فريضة الحجّ وظلّوا في مكّة فلم يمنعوا من ذلك[945].

كما أنّ العثمانيين فكّروا في إجراء نظامٍ صحّي لم يكنْ من الممكن التفكير فيه بمفهومٍ ما قبل 300 عامًا، فقد طبق العثمانيون في النصف الثاني من القرن السّادس عشر في مكّة نظامَ جمْع القمامة في أماكن تجميعها، وهو إجراء لم يتمّ إلّا في الربع الأوّل من القرن العشرين على يد الإداريين والمحليين، وطالبت الدّولة أهالي مكّة بعدم إلقاء القمامة في الطّرقات حفاظًا على صحة الزوار الذين يفدون للمدينة، ومنعًا من انتشار الأمراض، وطالبتهم بإلقاء تلك القمامة في الأماكن التي خصّصتها الدّولة لذلك خارج المدينة [946].

ولعلّ هذا التطبيق فقط ظاهرة تدلّ على المرتبة الحضارية التي وصل إليها العثمانيون إلى جانب القيمة التي أولوها للحرمين.

وثمّة خاصية أخرى تدلّ على الأهمية التي أولتها الإدارة العثمانيّة لمكة المكرّمة، وهي عدم السّماح بالتّطاول في البنيان حول الكعبة ممّا سيؤدي إلى التّظليل على فخامتها وهيبتها، لذا جعلت الإدارة العثمانيّة مسألة أعمال البنيان في مكّة تحت المراقبة الدائمة، وأنّ مَن يريد البناء كان عليه إحضار إذنٍ خاصّ بذلك.

لأنّ الدّولة لم تكن تسمح بوجود بناءٍ أعلى من الكعبة [947]، وهذا الإجراء الذي طبّقه العثمانيون في

القرن السادس عشر هو الذي يطبّق حاليًا في مكّة، وبفضل هذا الإجراء لا تزال المدينة تحافظُ

على نسيجها التاريخي.

كما أصدرت الدّولة قرارًا بمنع وجود البائعين الذين أسّسوا مغازل للنسج بين الصّفا والمروة، وذلك

لعدم انشغال الحجّاج بأمور الدنيا[948]، كما أرسل حكم لأمير أمراء مصر في 18/ ربيع الآخر/ 975هـ/ 22/10/ 1567م يقضي بمنع فتح المقاهي في مكّة والمدينة لمَا في ذلك من أخذٍ لأموال الحجّاج [949].

ولم تكنْ هذه العلاقة الحميمة من السّلاطين العثمانيين تجاه الحرمين منحصرةً في مكّة والمدينة فقط، بل كانت تظهر في كلّ الساحات المتعلقة بالحرمين كتنظيم طريق الحجّ، وتنظيم إدارة شئون أوقاف الحرمين، والعمل على إسعاد الرعايا الذين يعيشون في الأراضي الموقوفة للحرمين، ويوجد الكثير من الأمثلة على هذا في الوثائق والفرمانات الموجودة في دفتر المهمّة.

ومن تلك الفرمانات فرمان محمد الرّابع الصادر في 12/ رمضان /1058هـ/ 30/9/ 1648م ويقضي بإغلاق كلّ المقاهي الموجودة في الشّام وعلى طريق الحجّ لمَا فيها من إهدار لأموال الحجّاج، ونظرًا لأهمية الفرمان أوردناه هنا لأهميته:

"حكمٌ على الوجه المشروح، حكمٌ لدفتردار الشام:

لقد تقرّر إغلاق كافّة المقاهي في أيام عمي المرحوم السّلطان مراد خان، وبالتّالي أغلقت كلّ المقاهي في كلّ البلدان المحروسة، وقد استمرّ هذا في عهد والدي المرحوم السّلطان إبراهيم خان، وبينما كان الوضع على هذا، قام متصرف الشّام وأميرها وميرميرانها والوالي بفتح المقاهي بلا إذن من السّلطان وقطعوا لذلك 18.000 قرشًا أسديًّا، وقد وصل هذا الخبر إلى مسامعنا الهمايونية، ومن الآن فليستْ هناك أيّة علاقة في هذا الشأن لأيّ شخص غير الوالي والميرميران، وفتحت المقاهي

من جديد في الشّام التي تعدّ بمثابة بوابة بلاد الحجاز، والتي يمرّ عليها الحجّاج في طريقهم لمكّة، وعلى والي الشّام أنْ يرسل سنويًّا المبلغ المذكور وهو 18.000 كمقطعة للخزينة الهمايونيّة، وقد صدر الأمر والفرمان العالي الشأن بذلك.

وقد قرّرت الآتي، عندما يصل فرماني الشّريف هذا ليتمّ العمل بما ورد به، وعلى إيالة الشّام أنْ ترسل الثمانية عشر ألف قرشٍ إلى الخزينة الهمايونية كسائر العوارض والمقطعات الأخرى، وليس لأحدٍ مِن بعد الآن التدخّل في هذا الأمر سوى الوالي والميرميران، ولا يغرر بما جاء في هذا البيان لمَن يعين واليًا على بلاد الشّام من بعد ذلك" [950].

والمثال الثّاني الذي يدلّ على حساسية العثمانيين لهذا الأمر هو الفرمان الصّادر لأمير أمراء ديار بكر في عام 998هـ/ 1590م[951].

فمِن المعلوم أنّ أوقاف الحرمين الواقعة بديار بكر كانت معفاةً من الضرائب كسائر أوقاف الحرمين، ولكنْ نظرًا لإهمال أمير الأمراء وسائر الإداريين الآخرين في هذا الأمر؛ فقد أخلّ بمسألة إعفاء تلك الأوقاف من الضرائب، وعندما علم السّلطان مراد الثالث بذلك طلبَ من أمير أمراء ديار بكر أنْ يؤمّن إعفاء أوقاف الحرمين من الضّرائب مرّة أخرى، وأن يحافظ بشكلٍ جيد على دخلها، أمّا آخر مثالٍ في هذا الشأن فهو الحكم الصّادر لأمير أمراء بغداد ودفتردارها في 5/ جمادى الأخرى/ 1000هـ/ 19/3/ 1592 م والذي يقضي بالحفاظ بشكل جيد على أوقاف الحرمين، وحسن التصرّف في القرى الموقوفة، وعدم اتباع أية معاملة خارجة عن الأسس الموضّحة في شروط الوقف [952].

وكلّ هذه التطبيقات المذكورة إنّما هي أمثلة على عناية الإدارة العثمانيّة بأهالي الحرمين، والحجّاج، والأوقاف التي تخدم الحرمين، وهذه التطبيقات والإجراءات التي لم تخطرْ على بال أحدٍ من الإداريين الحاليين أو المشتغلين بشئون الحجّ في الوقت الحاضر، إنما هي قرائن تدلّ على مدى تفاني السلاطين والإداريّين في الدّولة العثمانيّة في خدمة الحرمين الشريفين، وأنّ ذلك صدر منهم لهدفٍ سامٍ ألا وهو ابتغاء مرضاة الله.

النتيجة

لقد اضطلعتِ الأوقافُ بوظائف هامّة على مرّ العصور في تطوّر الحضارة الإسلامية وفي الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، فقد أدّت خدمات متكاملة في العديد من السّاحات العامّة والخاصّة، بدءًا من تأسيس دور العبادة والمدارس وحتى تأمين التوازن الاجتماعي، ومن تأمين الاحتياجات الضرورية للجماعات التي تجد صعوبةً في تأمين المعيشة كالفقراء والمساكين والطلاب، وحتّى مساعيها في الحفاظ على البيئة التي نودي بها حديثًا.

وقد أحيثْ وأنشأت في مكّة المكرمة- التي كانت مقدّسة عند العرب منذ عهد سيدنا إبراهيم، والتي أصبحت مقلةَ عينِ كلّ العالم الإسلامي، وقبلة المسلمين ومحلّ اجتماع الحجّاج بعد سيدنا محمد- وكذا في المدينة المنورة- التي عاش وماتَ بها آلاف من صحابة الرسول، وبها قبر الرسول- صلّى الله عليه وسلّم-؛ الكثير من الأوقاف والأعمال الخيرية المشابهة للأوقاف، أمّا ساكنو مكّة والمدينة فقد ظلّوا يعيشون في راحةٍ واطمئنان بفضل الهدايا والأوقاف التي خصّصت لهم.

وقد بدأت خدماتُ العثمانيّين للحرمين في عهد يلدريم بايزيد، وكانت تلك الخدماتُ تزيد بمرور الوقت، وأخذت تلك الخدمات وضعًا أكثر تشخصًا عام 1517م عندما أصبح السّلاطين العثمانيون حماةً للحجاز ويرتقون منصب الخلافة، وقد سعت إدارة الدّولة العثمانيّة التي كانت تعدّ حامية منطقة الحجاز من الناحية السياسية، وخادمتها من الناحية المعنوية؛ في تقديم كلّ ما يلزم مكّة والمدينة من أعمال، وعلى رأسها طريق الحجّ، بل إنها كانت تزيد على ما كان مطلوبًا عمله، وربطت ما يشبهُ الرّواتب لكلّ شخص يعيش في الحرمين عن طريق الأوقاف، واستمرّت هذه العلاقة كما هي سواء في فترة قوة الدّولة أو حتّى بعد ضعفها، وأوّل تأسيس للكهرباء في أراضي الدّولة العثمانيّة كان من نصيب مكّة والمدينة، حتّى الخط الحديدي الذي كان يبدأ من استانبول كان

ينتهي بالمدينة المنوّرة كان يُعرف باسم خطّ سكك حديد الحجاز، حتّى أنّ الدّولة العثمانيّة في أحلَكِ فتراتها كانت ترتّب الصّرّة وترسلها للحرمين، فقد رتبت صرّة للحرمين عام 1914م بالرغم من الوضعِ المتأزّم للدّولة، وفقدانها البلقان وطرابلس الغرب، إلّا أنّ تلك الصّرّة عادت من الشّام نظرًا لعدم وجود أمنٍ في الطريق بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى.

ونفسُ هذا الاهتمام الذي أظهرته إدارة الدّولة العثمانيّة ظهر في طريق الحجّ، فقد أظهرت الدّولة اهتمامَها بطريق الحجّ، وأصدرت الفرمانات والأحكام التي تقرّ بتأمين هذا الطّريق، ومنها على سبيل المثال الفرمان الصادر بإغلاق المقاهي الموجودة في الشّام ومكّة والتي تعمل على إهدار أموال المسلمين بغير حقّ، وكذا نشاطات الدّولة في مجال الحفاظ على نظافة طريق الحجّ وعلى البيئة في مكّة، ومنع قوافل الحجّ المصرية من الإسراع في الطريق ممّا يؤدّي إلى فواتهم الصّلوات الخمس.

وقد قدّم رجال الدّولة العثمانيّة والأهالي الخدماتِ للحرمين عن طريق الأوقاف، فمنهم مَن أسّس مؤسّسات مستقلّة بذاتها، ومنهم مَن قدّم تلك الخدمات عن طريق مساندة المؤسّسات التي كانت موجودة من قبل ذلك، على سبيل المثال قامت كلنوش والده سلطان زوجة السّلطان محمد الرابع بإنشاء دار للشفاء وعمارة في مكّة، وبذلك أمنّت تقديم الدواء للفقراء، وكذا تأمين احتياجاتهم الضرورية، أمّا النّفقات التي تمّت في عين الزرقا على يد صقوللو محمد باشا وفي عين زبيدة على يد مهرماه سلطان؛ فكلّ واحدة منها تعدّ نموذجًا لمساندة المؤسسات الوقفيّة التي كانت موجودة قبل ذلك.

وثمّة ساحة أخرى اتّجه إليها الواقفون إلى جانب المؤسسات الوقفية التي كانت موجودة ألا وهي تخصيص الأوقاف للفقراء والموظفين الموجودين في الحرمين، ونحن على قناعةٍ بأنّ كلّ الأشخاص الذين كانوا في مكّة والمدينة كانوا ينالون من تلك الأوقاف، حتّى أنّ أكثر من واحدٍ من الموجودين في الوظائف الإدارية الكبرى كان لهم نصيبٌ من تلك الأوقاف.

وبقدْرِ الأهميّة التي أوْلاها رجالُ الدّولة العثمانيّة لأوقاف الحرمين، بقدر أهميّة نظرة إدارة الدّولة لأوقاف الحرمين، فقد جعلت الدّولة كلّ الأراضي الموقوفة للحرمين مُعفاة من الضرائب، ولهذا كان الواقفون أو الذين يعيشون على الأراضي الموقوفة يطلبون بأنْ يعفوا من الضّرائب لأنّهم

يخصّصون المخصّصات للحرمين من الأوقاف، وبالتالي كان بعض الرعايا الآخرين يطلبون مِن الدّولة أنْ يكونوا من رعايا أوقاف الحرمين حتّى يعفَوْن من الضّرائب.

وأهمّ نقطةٍ في كلّ تلك الخدمات التي قدّمت للحرمين بالنسبة لنا هي عدم انتظار الواقف أيّ منفعةٍ ماديّة مقابل ما يقوم به من عمل، وهذا يعنى أنّ تلك الخدمات التي قامت بها الدّولة العثمانيّة للحرمين لمئات السّنين إنما كان السببُ الرئيسي فيها الأحكامَ القرآنية والسّنةَ النبوية التي تحثّ على حبّ وخدمة مكّة والمدينة، وحبّ الأتراك للنبيّ بتلك الدرجة التي لم يُرَ مثلها في التّاريخ من أيّ أمّة قطّ.

الفهرس

Notes

[1←]

على سبيل المثال الصورة العربية لوقفية لاله مصطفى باشا موجودة في دفتر رقم 747 (ص 159- 164)، ترجمتها التركية موجودة في دفتر رقم 2134.

[2←]

أوّلُ دفتر للمهمّة يخصّ الفترة 961- 962هـ/ 1553- 1554م، أمّا آخر دفتر للفترة التي نعملُ بها فرقمُه 98 وتاريخه 1100هـ 1689م، للاطّلاع على الدّفاتر وقوائمها انظر: دليل فهارس الأرشيف العثماني، أنقرة 1995، ص 190- 208.

[3←]

استانبول 1301- 1304/ 1884- 1887.

[4←]

استانبول 1319/ 1899م.

[5←]

أنقرة 1988.

[6←]

استانبول 1942.

[7←]

طيب كوك بيلكين، أوقاف أدرنه، والخاص والمقطعة، استانبول 1952، عدنان كوربوز، سنجق أماسيا في القرن السادس عشر في إطار علاقات ألأوقاف، رسالة دكتوراه غير منشورة من معهد العلوم الاجتماعية بجامعة أنقرة، أنقرة 1993، ناظم قوراجان دفتر تحرير طابو سنجق قسطموني في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير غير منشورة من معهد العلوم الاجتماعية بجامعة استانبول، استانبول 1995؛ ألباي بيزبيرليك، الأوقاف في إمارة ديار بكر في أواسط القرن السادس عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة, معهد العلوم الاجتماعية بجامعة سيواس، قونية 1995.

[8←]

مصطفى بن شمس الدين القرة حصارى، أختر كبير، استانبول 1332هـ، ج2، ص438؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، استانبول 1314هـ، ص 1495-1496.

[9←]

للاطّلاع على التعريفات المختلفة للوقف؛ انظر: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير، بيروت 1392، ج4، ص76؛ كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن همام، فتح القدير، مصر 1319هـ، ج5، ص 37-49؛ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغنى المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج، القاهرة 1373هـ، ج2، ص376؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص1395؛

Ömer hilmi Efendi, Ahkamü-Evkaf, Istanbul 1304, s2

Nafiz Öztürk, Elmalı M.Hmadi yazır gözü ile vakıflar, Ankara 1995, s. 49

Ömer Nsuhi Bilmen, Hukuku islamiye ve ıstılahat Fıkhıyye kamusu, Istanbul 1987, c.4, .284

Ali Himmet Berki, Vakiflar, Istanbul 1946, s. 42

[10←]
لمعلومات أكثر عن اصطلاحات الوقف انظر

Ömer Nsuhi Bilmen, a.g.e, c.4:

[11←]
Öztürk, Elmalı Hamdi, s.47.

[12←]
.Ömer hilmi Efendi, Ahkamü-Evkaf, s.17-30 Bilmen, Hukuku islamiye, c.4, 297

Öztürk, Elmalı Hamdi, s. 56- 114.

Berki, vakiflar, s. 81-89.

Mehmet Şeker, Vakfiyelerin Türk kültürü bakımından Özellikleri, Ege Üni, Tarih incelemeleri Dergisi (TID), c.8, izmir 1993, s.1.

Ahmet Akgündüz, islam hukuku ve osmanlı tatbikatında vakıf müessesesi, Ankara 1988, s. 192- 193.

Zıya kazıcı, siyasi dini kültürel sosyal islam tarihi, osmanlı devleti ve medeniyetim, Istanbul 1995, c.10, s. 432.

[13←]
محمد عبيد عبد الله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، بغداد 1977، ج1، 25-26؛

Ahmet Akgündüz, vakıf müessesesi, s.9.

[14←]
Ismet kayaoğlu, vakfın menşei-hakkında görüşler, VD, XI, Ankara 1976, s. 50.W. Reuben, "Budist vakıfları hakkında "VD, Ankara 1942, c.2 , s.180.

[15←]

Köprülü, Türk islam hukuku, s. 356.

[16←]

,Ömer hilmi Efendi, Ahkamü-Evkaf, s.8-9

الكبيسي، الأوقاف، ج1، 22،

Akgündüz, s. 10. kayaoğlu, s.50

[17←]

تعني هذه الكلمة الاعتماد والضمان، (ريدهاوس، القاموس التركي الإنجليزي، استانبول 1991، ص 1055، أمّا كلمة Foundation فتعنى مؤسّسة الوقف (نفس القاموس ص 384).

[18←]

الكبيسي، ج1، ص 29؛..Akgündüz, s. 13-14

[19←]

لمعلومات أكثر في هذا الموضوع انظر: kayaoğlu, vakfın menşei, s.49-55

[20←]

سورة الرعد آية 22، سورة الشعراء آية 38، سورة الحجّ آية 35.

[21←]

سورة البقرة، آية 177.

[22←]

سورة البقرة آية 267، سورة إبراهيم 31.

[23←]

سورة فاطر، آية 29.

[24←]

سورة البقرة، آية 3، سورة البقرة، آية 271.

[25←]

سورة آل عمران الآيات 114- 134، سورة المائدة، آية 2، سورة الحديد، آية 18.

[26←]

سورة يس، آية 47-49، سورة الفجر، آية 17-22.

[27←]

أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني، أحكام الأوقاف، مصر 1322هـ.

[28←]

وبعد وفاته طالبت ابنته فاطمة وعمّه العباس بهذه الأراضي من سيدنا أبي بكر كميراث لهم، ولكنّ أبا بكر بيّن لهم أنّ الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- قال إنّ الأنبياء لا يورثون، وإنّ أراضي فدك هذه وكلّ أموال الرسول إنّما هي صدقة، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، استانبول 1413هـ،1-8؛ كتاب الوصايا، 32، استانبول 1413هـ، ج3، 197.

[29←]

الترمذي، الأحكام، ج3، 620.

[30←]

البخاري، كتاب الشروط، ج3، 19؛ الترمذي، الأحكام، ج3، 620.

[31←]

البخاري، الوصايا، 22، ج3، 194.

[32←]

الشيباني، أحكام الأوقاف، ص5.

[33←]

لمعلومات أكثر انظر:

Berki, Avkaf, s. 4-5. Öztürk, a, g, e, s. 121-130.

[34←]

Bahaeddin yediyıldız, islamda vakıf, DGBIT, XIV, Istanbul 1989, s24.

[35←]

الشيباني، سابق، ص1-2؛

Kurt, Para vakıfları, s.7.

[36←]

محمد محمد أمين، الأوقاف في الحياة الاجتماعية المملوكية في مصر، القاهرة 1990، ص19.

[37←]

Bilmen, a.g.e, s. 304.

[38←]

Bahaeddin yediyıldız, a, g, , e , s. 27.

[39←]

لمعلومات أكثر عن نشأة الوقف انظر:

Ömer hilmi Efendi, Ahkamü-Evkaf, Istanbul 1304, s2

Nafiz Öztürk, Elmalı M.Hmadi yazır gözü ile vakıflar, Ankara 1995, s. 49

[40←]

لمعلومات أكثر عن أوقاف الذرية انظر:

Ömer Lutfi BArkan – Enver Merçili, Hüdavendgar livası tehrir defterleri, Istanbul 1988, 126.

[41←]

Ömer Hilmi, Ahkam, s. 16-17. Berki, vakıflar, s. 2. Ziya kazıcı, islami ve sosyal açıdan vakıflar, Istanbul 1995, s. 89-90.

[42←]

لمعلومات أكثر عن أنواع الأوقاف انظر:

Nafiz Öztürk, a, g, e, s. 153-163. Berki , a, g, e, s. 79- 97.

[43←]

المؤلفات التي ألفت في هذا الموضوع هي: محمد محمد أمين، الأوقاف في الحياة الاجتماعية المملوكية في مصر؛

Ömer Lutfi BArkan – Ekrem HakkıAyverdi, Istanbul vakiflari Tahrir Defteri, (1546), Istanbul 1942, Ömer Lutfi BArkan – Enver Merçili, Hüdavendgar livası tehrir defterleri. Hasan Yüksel, Osmanlı sosyo – Ekonomik hayatında vakiflarin Rolü, (1585- 1683), Ankara Üniv, Sosyal Bilimler Enis, Basılmamış Doktora tezi, Ankara 1990, Nafiz Öztürk, Türk yenileşme çerçşevesinde vakif müessesesi, Ankara 1995.

[44←]

أسّست إيالة الأناضول عام 797هـ، 1392م، بعد تأسيس إيالة الروملي بعام، وكانت من أهمّ التّشكيلات الإدارية في الدّولة العثمانية، أوّل أمير أمراء لها هو قرة تيمور طاش باشا، كان مركزها قديمًا أنقرة ثمّ نقلت إلى كوتاهية، في عام 937هـ 1530م كان بها 17 سنجقًا، هي كوتاهية وخداوندكار، وبورصة، ومانيسا وآيدين ومنتشة، وحميد، واسبرطة، وأنقرة وجانقري، وبولو، وأسكي شهر وقوجة على، وبيجة وقارصي (دفتر تحرير إيالة الأناضول رقم 438 (937- 1530م) ج1، أنقرة 1995، ج10؛ Besim Darkut, "Anadolu" IA, c.1, 429.

[45←]
الأقجة: اسم للعملة الفضية الصغيرة التي كانت تستخدم عند العثمانيّين اعتبارًا من القرن الخامس عشر، شمس الدين سامي، قاموس تركي، سابق، 44؛

Halil Sahilioğlu, "Akçe "DIA, Istanbul 1989, c.2, 224.

[46←]

barkan – Merçili, a, g, e, s. 122.

[47←]
المرجع نفسه، ص 122.

[48←]
للاطّلاع على دور الأوقاف في تأسيس المدن وإعمارها انظر: محمد أرناءوط، دور الأوقاف في نشأة وتطور المدن خلال العصر العثماني، تونس 1993، ج9-10، ص 45.

[49←]
للاطّلاع على الجانب السياسي للوقف انظر:

M.F.Köprülü , türk islam hukuk, s. 394. Şakir Berki, Vakifların devlete hizmeti, VD VII, Ankara 1968, s.46. Nejat Göynç, Vakiflara Devlet katkısı, OA, XI, istanbul1991, 1-8.

[50←]
تحفظ هذه الوقْفيّات كلها في أرشيف المديرية العامة للأوقاف تحت اسم فهرس أوقاف السلاطين والوزراء والباشوات.

[51←]
أرمني دربندي، اسم مكان قريب من إينة كول.

[52←]
ابن كمال، تواريخ آل عثمان، ج1، (نشر: شرف الدين طوران) أنقرة 1992، ص92.

[53←]
قارن، علي همت البركي، أول سلطان عثماني أسّس وقفًا، مجلة الوثائق، ج8، أنقرة 1962، ص 127- 135.

[54←]

Barkan- Ayverdi, a, g, e, XVll.

[55←]

Feridun Emecen, 16. asırda Manisa kazası, Ankara 1989, 275.

[56←]

Barkan- Ayverdi, a, g, e, XVll.

[57←]

16. asırda Karahisar sahibi sancağı, A.Ü, S.B.Ens , basılmamış Doktura tezi, Ankara 1993, s. 139.

[58←]

Halime Doğru, 16. yüzyıl Eskişehir ve sultanönü sancağı, Istanbul 1992, s. 146.

[59←]

Zeki Oral, Aksaray tarihi, VD, V, Ankara 1962, 239.

[60←]

Bahaeddin yediyıldız, vakıf müeseseninin 180 asırda Türk toplumundaki Rolü , VD, XlV, Ankara 1984, 2.

[61←]

Ahmed Cebeci, 16. asırda Silistre sancağı vakıfları, Gazi Ünv, S.B.Ens, basılmamış yüksek lisans tezi, Ankara 1994, s. 70.

[62←]

Barkan- Ayverdi, a, g, e, XVll.

[63←]

Barkan- Ayverdi, a, g, e, Xl.

[64←]

Bahaeddin yediyıldız, Rolü, s. 3.

[65←]

أوقاف الأموال: هو وقف الأموال، بما يتفق مع شروط الوقف، ولهذا فإنه يشترط في الشيء الموقوف طبقًا للأسس الإسلامية أنْ يكون غير منقول أو مبدّد، ولأن هذين الشّرطين غير محقّقين في أوقاف الأموال فقد كانت أوقاف الأموال مثارَ نزاع طويل وحاد بين العلماء خاصّة في العهد العثماني، وللاطّلاع على معلومات أكثر في هذا الموضوع انظر: الإمام البرجوي، رسالة لإبطال وقف النقود، استانبول بدون تاريخ، أبو السعود أفندي، رسالة في جواز وقف النقود، مكتبة السليمانية قسم وهبى البغدادي، رقم 447/ 2؛

Barkan – Ayverdi, Istanbul vakifları, XXX-XXXVIII. Ismail Kurt, Para vakıfları, Istanbul, 1996.

[66←]

Bahaeddin yediyıldız, islamda, s. 35.

[67←]

Ahmed Akgöndüz, vakıf, s. 158-159.

[68←]

Neşet Çağtay, Türk vakıflarının ictimai yönü, X. T.T.Kong, lV, Ankara 1993, 1618.

[69←]

Celal Esad Ersebük, Medeni Hukuk 1, Istanbul 1938, s. 298.

[70←]

Mustafa Özdamar, Vakfetmek, VD, XlX, Ankara 1985, 5.

[71←]

Şakir Berki, vakıfların gördüğü çeşitli gizmetler, VD, Vl, Ankara 1965, 85.

[72←]

Ömer Hilmi , Ajkamü lavkaf , s. 15.

[73←]

Halim Baki kunter, Türk vakfları ve vakfiyeleri üzerine bir Etüd VD, l, Ankara 1983, 103.

[74←]

Ziya Kazıcı, a, g, e, X, s. 429.

[75←]

M.F. Köprülü, Türk islam Hukuk, s. 403

[76←]

محمد الطنجي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، رحلة ابن بطوطة، (نشر: محمد شريف) استانبول 1333-1335، ج1، 110.

[77←]

Ibrahim Kafesoğlu, "kökbürü, "IA, Vl, 890.

[78←]

NAfiz Öztürk, a, g, e, s.56.

[79←]

Ibrahim Ateş, a, g, e, s. 56.

[80←]

شمس الدين سامي، قاموس تركي، استانبول 1314هـ، ص 545؛ علي سيدي، القاموس العثماني، استانبول 1325هـ، ج2، ص394؛ حسين كاظم قدري، المعجم التركي، استانبول 1928، ج2، 515-518.

[81←]

D. Mehmed Doğan, Büyük Türkçe Sözlük, Ankara 1990, 446.

[82←]

لمعلومات مفصّلة عن الحرم انظر:

Salim Öğüt, "Harem ", DIA, XVll, 127-132.

[83←]

بالرغم من أنّ صيغة التثنية لكلمة الحرم حرمان، إلّا أنّ العثمانيين استخدموا لفظ الحرمين، لأنه أسهل في النطق على اللسان، كما أنهم استخدموا أسماء مثل صلاح الدين ونصر الدين وغيرها منصوبة وليست مرفوعة (وإنني إذ أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور جمال مختار على هذه المعلومة).

[84←]

شمس الدين سامي، مرجع سابق، ص 545.

[85←]

Ömer Nasuhi Bilmen, Büyük islam ilmhali, Istanbul tarihsiz, s. 383.

[86←]

البخاري، الحج، ج2، ص 147-148.

[87←]

القرآن الكريم، سورة التوبة، آية 28.

[88←]

كانت القدس أوّل قبلة للمسلمين، ولوجود المسجد الأقصى بها فإنها تعدّ ثالث مكان مقدس على وجه الأرض بعد الحرمين، لذا اضطلع العثمانيون بتخصيص جزء من الخدمات التي قاموا بها للقدس، ومسجّل ببعض الوقْفيّات المخصصات التي خصصت للقدس، كما أنّ أوقاف القدس الشريف كانت موضوعًا لرسالة دكتوراة.

[89←]
شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، استانبول 1312هـ، ج4، 4385- 4386؛ نفس المؤلف، قاموس تركي، 1398؛

M.Sertoğlu, OsmanlıTarih Lugatı, Istanbul 1986, s. 216.

[90←]
الترمذي، الحج، ج1-3، ص 173؛ تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الفاسي، (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت 1405، ج1، 85.

[91←]
الفاسي، الشفاء، ج1، ص 85.

[92←]
أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، (تحقيق: رشدي صالح الملحاس،) بيروت 1399، ج1، 311.

[93←]
شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص 1170.

[94←]
القرآن الكريم، سورة آل عمرن، آية 96.

[95←]
الأزرقي، أخبار مكة، ج1، 25.

[96←]
الأزرقي، ج1، ص 36؛ وقد روي بعض الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع، فقال عليه الصّلاة والسلام، أرسل الله تعالى جبريل لآدم وحواء وأمرهم ببناء بيت وخط لهم حدوده، فحفر آدم الأسس وأقام الجدران، وكانت حواء تحمل المياه والتراب، ثمّ نادى مناد، يا آدم إنّ الله يأمرك أنْ تطوف بالبيت، وقال أنت يا آدم أول البشر، وهذا البيت أول البيوت (عبد القادر حمزة كوشك، الحرمان الشريفان بين التجربة والرؤية الحضارية، توسعات وعمارة الحرمين الشريفين، جدة 1991، ص 5.)

[97←]
الأزرقي، أخبار مكة، ج1، ص51.

[98←]

القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية 37.

[99←]

لبئر زمزم أهمية كبيرة سواء في عهد الجاهلية أو بعد الإسلام، ولأنها كانت مصدر المياه الوحيد الدائم في مكّة فقد كانت ترى اهتمامًا كبيرًا من العرب في الجاهلية أو بعد الإسلام، وقد قال عنها سيدنا إبراهيم خير آبار الأرض بئر زمزم، (الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المجموع الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بغداد 1978، ج10، 98؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج2، 55).

[100←]

الحسن البصري، فضائل المجاورة في مكة، (الترجمة التركية الأميرالاي مصطفى حامي) استانبول، ص 25، وقد ذكر في الكتاب الكثير من الآيات والأحاديث في فضل مكّة والمدينة).

[101←]

القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 125-127؛ ولمعلومات أكثر انظر: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، 1416، ج1، 163؛

Elmalı Hamdi yazır, Hak dini Kuran dili, Istanbul 1992, c.1, 402-410.

[102←]

القرآن الكريم، البقرة، آية 125.

[103←]

القرآن، الحج، آية 26-28.

[104←]

القرآن، التوبة، آية 19.

[105←]

نفس السورة آية رقم 18.

[106←]

البخاري، فضائل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، ج1/1، ج2، 56.

[107←]

تجريد الصريح، ج4، 166؛ لمعلومات عن تفضيل مكّة على المدينة انظر: وهبة الزحيلي، موسوعة الفقه الإسلامي، (ترجمه إلى التركية: أحمد أفة وغيره) استانبول 1993، ج4، 171-172.

[108←]

روي عن أبي ذر أنه سأل رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- عن أول مسجد أسس على الأرض، فقال له الرّسول (صلى الله عليه وسلم) المسجد الحرام، فقال ثمّ من؟ فقال عليه الصّلاة والسلام المسجد الأقصى، فقال له: وكم سنة بينهم؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربعون سنة، ثمّ قال علية الصّلاة والسلام: وإذا أدركت الصلاة في أيهما فصلِّ. (كتاب المساجد وموضوعات الصلاة، ج1، 370)، وعدد الأربعين المذكور في الحديث الشريف مجازي، لأنّ الشريحة الزمنية بين إنشاء المسجدين كبيرة، وليست قصيرة هكذا، لأننا لو افترضنا أنّ سيدنا إبراهيم هو باني المسجد الحرام وليس سيدنا آدم فستكون المدّة بين إبراهيم وسليمان الذي بنى المسجد الأقصى مئات السنين، كما أنّ لفظ أربعين كان يستخدم بين العرب للدلالة على الفترة الطويلة مجازًا.

[109←]
أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، استانبول 1413، ج5، 696.

[110←]
الترمذي، الحجّ 49، ج3، 226.

[111←]
لمعلومات أكثر عن الحجر الأسود انظر: الأزرقي، أخبار مكة، ج1، 311؛ الفاسي، شفاء، ج1، 309- 314.

[112←]
الفاسي، شفاء، ج1، 206؛ أحمد راسم، المناقب، ص 451.

[113←]
الأزرقي، أخبار مكة، ج1، 279- 282.

[114←]
أوليا جلبي، الرحلة، استانبول 1985، ج9، 174.

[115←]
الفاسي، الشفاء، ج1، 75- 85.

[116←]
شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، ج4، 4245- 4246؛

Sert Oğlu, a.g.e, s. 213.

[117←]
ابن النجار، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة،(تحقيق: محمد زين الدين محمد العزب،) المدينة 1416، ص 29.

[118←]
المرجع نفسه، ص 29.

[119←]
Semavi Iyice, IA, Istanbul 1993, Vll, s. 5.

[120←]
التجريد الصريح، ج4، 205.

[121←]
المدّ والصّاع مقياس لحبوب، ويختلف في وزنه طبقًا لكلّ منطقة، فيقال على مدّ المدينة المدّ النبوي، ووزنه 075 مثقال. أمّا الصاع فوزنه 3 مثقال. Alfrid Bil , "sa "IA, 1993. c.10, 1.

[122←]
البخاري، البيوع، ج3، 22.

[123←]
خليل إبراهيم مولا الخاطر، فضائل المدينة المنورة، جدة 1413، 1-2، ص 58.

[124←]
مسلم، كتاب الحج، 479، ج1، 1003.

[125←]
لمعلومات أكثر انظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، القاهرة، 1336هـ، ج1، ص2.

[126←]
البخاري، فضائل المدينة، ج2، 221.

[127←]
المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[128←]
البخاري، فضائل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، ج2، 57.

[129←]
الزحيلي، موسوعة الفقه، ج10، 179.

[130←]
الفاسي، الشفاء، ج1، 107.

[131←]
الفاسي، الشفاء، 116.

[132←]

ابن النجار، تاريخ المدينة، ص 31-33.

[133←]

ترجم هذا الكتاب إلى التركية الأميرالآي مصطفى حامي باشا، وطبع في استانبول عام 1280 تحت اسم فضائل المجاورة في مكة.

[134←]

الأرزقي، أخبار مكة، (تحقيق رشدي الملحاس، بيروت 1399. وتلك هي بعض المؤلفات التي ألفت عن مكّة والكعبة: أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفقيه، أخبار مكّة في قديم الدهر والحوادث، مكّة 1407، 4 أجزاء؛ تقى الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي، الشفاء، (تحقيق عمر التدمري، بيروت 1405، جزءان.

[135←]

أبو زيد عمر بن شبة النميري، كتاب تاريخ المدينة المنورة، جدة 1399، 4 أجزاء؛ وتلك هي الكتب التي ألفت عن المدينة المنورة: عمر فاروق السيد رجب، المدينة المنورة اقتصادية المكان والسكان، جدة 1399؛ شهاب الدين بن عباس أحمد السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، بيروت 1404، ج1؛ ابن النجار الدرة الثمينة، مرجع سابق، المدينة 1416.

[136←]

يطلق هذا التعبير على العرب الذين أصبحوا عربًا، ويقابله العرب العاربة، ولمعلومات أكثر انظر: أبو منصور هشام بن محمد ابن الثائب الكلبي، جمهرة النسب، (تحقيق ناجي حسن) بيروت 1407، ص17.

[137←]

لمعلومات أكثر عن نسب قريش انظر: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت 1405؛ موفق الدين أبو محمد عبد الله ابن قدامة المقدسي، كتاب التبيين في أنساب القرشيين، (تحقيق محمد نائف الديلمي) بيروت (1988) 1407؛ البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: زهير ذكار ورياض الزركلي، بيروت(1996) 1417، 13جزء.

[138←]

الفاسي، سابق، ج2، 106-119.

[139←]

الأزرقي، سابق، ج1، 103.

[140←]

ابن هشام، السيرة، ج1، 140.

[141←]

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة 1326هـ، ج2، 19.

[142←]

Seyyid muhammed es seyyid Mahmud, "deşişe "DIA, Istanbul 1994, c.10, 214.

[143←]

الفاسي، سابق، ج2، 112-113.

[144←]

الأزرقي، سابق، ج1، 119.

[145←]

ابن هشام، السيرة، ج2، 129.

[146←]

السمهودي، سابق، ج1، 338.

[147←]

مولا خاطر، سابق، ص 355.

[148←]

السمهودي، سابق، ج1، 337.

[149←]

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بيروت 1410، ج3، 571.

[150←]

الأزرقي، سابق، ج1، 253.

[151←]

الأزرقي، سابق، ص 254.

[152←]

الذراع وحدة قياس قديمة، وطوله من الرسغ وحتى آخر الأصبع الأوسط،(الأختري، أختر الكبير، ج2، 326؛ شمس الدين سامي، القاموس، ص 647).

[153←]

مجدي محمد الحريري، توسعة وعمارة المسجد الحرام، جدة 1991، ص 21.

[154←]

الحريري، ص 20؛ وذكر أنّ أول مَن وضع القناديل في نفس العام لإضاءة الكعبة هو أبو سفيان، ولكنّ الصواب أنه عتبة بن الأزرق (الأزرقي، أخبار مكة، ج1، 252.)

[155←]

Semavi Iyice, "Cami" IA, c.8, s. 38.

[156←]

المرجع نفسه، ص 44.

[157←]

ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت 1400، ج8، 250-251.

[158←]

ابن كثير، التفسير، ج1، 175.

[159←]

الأزرقي، سابق، ج1، 218-220 ز

[160←]

الزحيلي، سابق، ج10، 168؛

Hakkı, Dursun Yıldız, Emeviler, Büyük islam Tarihi, c. 11, s. 369.

[161←]

Münir Atalar, Surre ve Surre Alayları, Ankara 1991, s.3.

وبالرغم من أنّ محمد الأمين المكي يذكر أنّ أوّل مَن قام بإرسال الصّرّة هو الخليفة المقتدر بالله من الخلفاء العباسيّين، وأنه لم تقمْ أيّة دولة بإرسالها حتّى عهد العثمانيّين؛ إلّا أنّ هذا يخالف الحقائق التاريخية والمعلومات التي في أيدينا.(محمد الأمين المكي، خدمات سلاطين آل عثمان المبرورة والمشكورة للحرمين، استانبول 1318، ص،9.

[162←]

Münir Atalar, Türklerin Mekkeye yaptıkları ekonomik yardımlar, AÜ, IFD, XXXl, Ankara 1989, 263.

[163←]

Münir Atalar, Surre, s. 3.

[164←]

A.e, s. 3.

[165←]

Seyyid muhammed, "deşişe" , a, g, m , s. 214.

[166←]

الحريري، توسعة المسجد الحرام، سابق، ص 20.

[167←]

ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة1410هـ، ج1، 189؛

Eyyup Sabri paşa, mirat Mekke, Istanbul 1301, II-I, 731.Mustafa Bilge, "Ayni zübeyde" DIA, c.4, Istanbul 1991, s. 270-280.

[168←]

Bilge, a, g, m, s. 280.

[169←]

الأزرقي، سابق، ج2، 327.

[170←]

المكى، سابق، 40.

[171←]

الفاسي، سابق، ج1، ص 360.

[172←]

المرجع نفسه، ص 364.

[173←]

Sabri paşa, Mirat Mekke, Istanbul 647.

[174←]

العسقلاني، فتح الباري، ج3، 585- 586.

[175←]

Münir Atalar, "Emir el Hac" DIA, Istanbul 1994, Xl, 132.

[176←]

محمد أمين، الأوقاف، ص 105؛ مصطفى محمد رمضان، وثائق محسنات الحرمين الشريفين في مصر إبّان العصر العثماني، الكتاب الأول، الرياض 1979، ص 265.

[177←]

Sabri paşa, Mirat Mekke, Istanbul, s. 850-851.

[178←]

محمد أمين، الأوقاف، سابق، ص 105.

[179←]

Şair Nabi Seyahtnamesi, s. 75.

[180←]

فوزية حسين مطر، عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتّى العصر العثماني، مكّة 1406، 112-123.

[181←]

المرجع نفسه، ص 157- 162.

[182←]

صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة التطور العمراني والتراث المعمارى، بيروت 1981، ص 80.

[183←]

Sabri paşa, Mirat Mekke, Istanbul, s.665-666.

[184←]

لمعي مصطفى، سابق، ص 82.

[185←]

ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت 1386، ج5، 839. استمر هذا العمل الذي شرع فيه السّلطان بيبرس في العهد العثماني، وحتى الآن تغسل الكعبة كلّ عام بماء الورد الذي يستخرج من ورود إقليم إسبرطة بتركيا.

[186←]

Ibrahim Ateş, Osmanlılar zamanında Mekke ve Medineye gönderilen para ve hediyeler, VD, Xlll, Ankara 1981, s. 115.Bahl, "mahmel" IA, Vll, s. 151-152.

[187←]

الأردب اسم يعطى للتّسع كيْلات استانبولية، ولأنّ الكيلة الاستانبولي تساوي 25 كيلو فإنّ الأردب 225 كيلو جرامًا، (الأختري، ج1، ص29.)

[188←]

للاطّلاع على وقفية دشيشة بيبرس انظر: TSMK رقم 3026.

[189←]

ستانفرد شو، التطور والتنمية في مصر العثمانيّة من عام 1517 حتّى 1798، برينستون 1962، ص 269؛ عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الأوقاف على الأماكن المقدسة، الكتاب الأول، الرياض 1979، ص 252.

[190←]

كان يرسل 12 حملًا من البقسماط لفقراء الحرمين عام 987هـ من دخل أوقاف الغوري. (الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج XL ص 358).

[191←]

TSMK.EH 3026.

[192←]

محمد أمين، الأوقاف، ص 106.

[193←]

عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الأوقاف، ص 203- 204.

[194←]

المقريزي، كتاب العز والاعتبار في ذكر الخطط والأعصار، مصر 1324، ج1، ص 295.

[195←]

Ziya Kazıcı, islam müeseseleri tarihi, Istanbul 1991, s. 198.

[196←]

Erdoğan Merçil, Gazneliler devleti tarihi, Ankara 1989, s. 93.

[197←]

ابن الأثير، الكامل، ج10، 61.

[198←]

M.F. Köprülü, Türk islam Hukuk Tarihi, Istanbul 1986, s. 384.

[199←]

ابن خلدون، العبر، سابق، ج7، ص 265؛

Ismail Yiğit, Siyasi, Dini , kültürel sosyal Tarihi Endelüs Beni Ehmar devleti, Istanbul 1995, c.9, 222.

[200←]

Ramazan Şeşen, Eyyubiler, DGBIT, Istanbul 1989, Vl, 409.

[201←]

عبد اللطيف إبراهيم، وثائق، ص 251 -252.

[202←]

Sabri paşa, Mirat, s. 670. Ibrahim Ateş, Osmanlılar, s. 115.

[203←]

عبد اللطيف إبراهيم، سابق، ص 251 -252.

[204←]

M. Atalar, Türklerin Kabeye, s. 263.

[205←]

محمد نشري، كتاب جهاننما، (نشر فائق رشيد أوناط)، أنقرة 1987، ج1، ص 102.

[206←]

فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبول 1275، ج1، ص 145 -146.

[207←]

نصائح السّلطان مراد الثاني لمحمد الفاتح (نشر عبد الله أوجمان، استانبول، بدون تاريخ، ص)29؛

Osman Turan, Türk Cihan Hakimiyeti Mefkuresi, Istanbul 1993, c.2, 60-71.

[208←]

خوجة سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، استانبول 1279هـ، ج1-2، ص 46 ؛

Muhemmed Harb, l.Selimin Surye ve mısır seferi, Istanbul 1986, s. 26.

[209←]

للاطّلاع على معلومات أكثر بخصوص إمارة "ذو القادر" انظر:

Refet Yinanç, Dulkadir Beğliği, Ankara 1989, s. 62- 79. Harb, a, g, , e, s. 27-28.

[210←]

Ismail Hakkı Uzunçarşılı, "Bayezid ll" c.2, Istanbul, 1993, IA, 392.

[211←]

دورسون بك، تاريخ أبو الفتح محمد خان، استانبول 1330هـ، ص 116.

[212←]
للاطّلاع على معلومات أكثر انظر:

M. Yakub Muğul, portekizliler kızıldenizde mücadele ve Hicazda osmanlı hakimiyetinin yerleşmesi hakkında bir vasika, Belgeler, T.T.B.D, Ankara 1976, 1-11, 37- 46. Hulusi Yavuz, 16. asırda islam dünyasında osmanlı portekiz mücadelesinin sebebleri, Marmar Üni, Ilahiyat Fak dergisi, sayı 3-4, Istanbul 1985, s. 49 -77.

[213←]
لمعلومات أكثر انظر:

Mustafa Güler, Yavuz Sultan Selimin Mısır seferi, M.Ü, sosyal Bilimler Enis, Basılmamış yüksek lisans Tezi, Istanbul 1994, 17-18.

[214←]

Mehmet Ali Ünal, Osmanlı Müeseseleri tarihi, isparta 1997, s. 9.

[215←]
لمعلومات أكثر عن حملة سليم على مصر انظر:

Mustafa Güler, a, g, e , s. 20-37.

[216←]
جلال زادة مصطفى، سليم نامة (نشر أحمد أوغور مصطفى جوخة دار،) أنقرة 1990، ص 416.

[217←]
لأنّ فتح مصر يعني الاعتراف بتبعية الحجاز للدّولة العثمانيّة فقد اكتفينا هنا بتلك المعلومات فقط، ولمعلومات أكثر انظر: Mustafa Güler, a, g, e، ابن إياس، بدائع الزهور في وقايع الدهور، القاهرة 1311هـ، ج4-5، Salaheddin Tansel، Yavuz Sultan Selim، Ankara 1968, ، سلاحشور، فتح نامة ديار عرب، (صلاح الدين طانسل)الوثائق التاريخية، 1/17، استانبول 1958، ص 294- 320 ؛ حيدر جلبي، روزنامة، استانبول 1977.

[218←]
بعض من تلك الأمانات المقدسة سلمت للسّلطان سليم في مصر وبعضها الآخر تداركه سليم في استانبول وحفظت كلها في غرفة الأمانات المقدسة بقصر طوب قابي سراي وهي: أثر قدم النبي، زوج من نعال النبي، الخرقة الشريفة، سجادة النبي، سجادة أبي بكر، الراية الشريفة، سيف الرسول وعصاه، وعاء نوح، وعاء سيدنا إبراهيم، قميص يوسف، رأس سيدنا زكريا، سيف داود، قميص حمزة، قميص السيدة عائشة، مسبحات الخلفاء الراشدين، وسيوفهم، وألويتهم، وسيوف العشرة المبشرين بالجنة، نسخة من القرآن الكريم بخطّ سيدنا عثمان، وأخرى بخطّ علي بن أبي طالب، مفاتيح الكعبة، باب التوبة، باب مقام إبراهيم،

Sabri paşa, Mirat Mekke, a, g, e, s. 673-676.

[219←]

I.H.Uzunçarşılı, Mekke mukarama Emirleri, Ankara 1972, 17.

[220←]

ابن إياس، بدائع، ج5، ص 190.

[221←]

جلال زادة، سليم نامة، ص435.

[222←]

المكى، الخلفاء العظام، ص 21.

[223←]

صولاق زادة محمد همدمي جلبي، صولاق زادة تاريخي، استانبول 1297هـ، ج2، 410، مصطفى نوري باشا، نتايج الوقوعات، استانبول 1327، ج1، ص82.

[224←]

خوجة سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، ج2، 615؛

Osman Turan, Türk cihan, c.2, s. 77-78.

[225←]

I.H.Uzunçarşılı, Mekke, s. 18..

[226←]

عندما حدثت ثورة القرامطة عام 894م استولى الثوار على مدينتي مكّة والعراق، وفي عام 930م أخذوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى البحرين.

L. Masignon, "Karmati "IA, c. 6, 353.

[227←]

I.H.Uzunçarşılı, a, g, e, s.4

[228←]

A.e , s. 70.

[229←]

.A.e, s.70

[230←]

مشايخ الحرم هم الأشخاص الذين ينوبون عن السّلطان العثماني في المدينة ومكة، وكان أكثر اهتمامهم بشئون الصّرّة والحج، وبمرور الوقت أصبح أمراء مكّة هم الذين يقومون بهذا الدور.

[231←]

Seyyid muhammed es seyyid Mahmud, 16. asırda Mısır eyaleti, Istanbul 1990, s. 265.

[232←]

Hulusi Yavuz, 160 asırda Osmanlı- Hicaz Münasebetleri Hakkında Notlar, IM, lV, 2 istanbul 1979, 67.

[233←]

Seyyid muhammed es seyyid Mahmud, a, g, e, s. 282.

[234←]

Hulusi Yavuz, Kabe ve Haremeyn için Yemende Osmanlı Hakimiyeti, istanbu 1984, s. 45.

[235←]

I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Istanbul 1994, c.1 , 414-415.

[236←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 125.

[237←]

ستانفرد شو، التنظيم المالي والإداري في مصر العثمانية، برينستون 1979، ص 252.

[238←]

Yılmaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi, Istanbul 1979, XlV, 12.

[239←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, s. 167.

[240←]

ثريا فاروقي، الحجّاج والسلاطين، الحجّ في العهد العثماني، استانبول 1995، ص82.

[241←]

ثريا فاروقي، مفهوم الدّولة العثمانيّة والحج، مؤتمر التاريخ التركي العاشر، أنقرة 1993، ص 2110.

[242←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 166.

[243←]

الشريف محمد صادق، مادر دنيا، استانبول 1324هـ، ص 47

[244←]

Hulusi Yavuz, Yemen, a, g, e, s.134.

[245←]

عبد الرحمن الحبري، مناسك المسالك، مكتبة السليمانية، قسم لالة إسماعيل أفندي، رقم 104؛

yyup Sabri , miret ceziretülarap, Istanbul 1301, 234 -244.

Latif Armağan, Osmanlılar zamanında Hac yolu ve menziller, ist.Ünv, S.B.Ens, basılmamış yüksek lisans tezi, Istanbul 1990.

[246←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 209.

[247←]

تاريخ صولاق زادة، ج2، ص 328.

[248←]

BOA, MAD, lll, 563.

[249←]

للاطّلاع على وقفية صقوللو محمد باشا انظر: مكتبة ملتْ، التاريخ رقم، 933، ورقة 19- 23 أ.

[250←]

يعدّ هذا المكان- أيضًا- نزلًا للقادمين لزيارة قبور الأنبياء الموجودة في القدس وخليل الرّحمن.

[251←]

للاطّلاع على وقفية لالة مصطفى باشا، VGMAرقم 2134، ص 152- 154.

[252←]

نفس الوقفية، 155.

[253←]

VGMAKرقم 747، والتمليك على هذا الشكل:

[254←]

للاطّلاع على وقفية لالة مصطفى باشا انظر: VGMA، رقم 747 ص 156 -158.

[255←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 104.

[256←]

للاطّلاع على وقفية فاطمة خاتون زوجة مصطفى باشا انظر: VGMA، رقم 747، 304.

[257←]

I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, c.2, s. 370.

[258←]

A.e s. 389.

[259←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 114.

[260←]

BOA, MAD, XLVlll, 749.

[261←]

VGMAkرقم 739، ص 66.

[262←]

أوليا جلبي، الرحلة، ج9، ص 149.

[263←]

للاطّلاع على وقفية طورخان سلطان انظر: مكتبة طورخان سلطان، رقم 150، ورقة 14- 16.

[264←]

للاطّلاع على معلومات بخصوص أغا دار السّعادة محمد أغا بن عبد الكريم ووقفيته انظر: TSMK.EHرقم 3000.

[265←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 392, vr 5a-b.

[266←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 398.

[267←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 398.

[268←]

لمعلومات أكثر في هذا الموضوع انظر: ماركو سلاطي، العربان والعواصم، وأسرة الزهراوي، حمص 1995، ص 185- 201.

[269←]

الدفتردار صاري محمد باشا، زبدة الوقعيات، (أعدّه للنشر عبد القادر أوزجان) أنقرة 1995، ص 128.

[270←]

ثريا فاروقي، مرجع سابق، ص 46.

[271←]

BOA, MD, LXll, 120.

[272←]

Rakun Bdor, 16 -17. yüzyıllarda Osmanlı imparatorluğunda Ürdün –Şam Hac yolu, Ankara 1993, s. 64.

[273←]

BOA, MD, XXVl, 98.

[274←]

BOA, MD, XXXV, 377.

[275←]

للاطّلاع على الحكم الصادر لأمير أمراء الشّام والدفتر دار في 12/ رجب/ 986 انظر: الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، XXXV/ 560.

[276←]

للاطّلاع على وقفية ماهبيكر كوسم سلطان انظر: مكتبة ملت، التاريخ رقم 931.

[277←]

VGMAرقم، 744، ص 41-42، هذه الوثيقة موجودة بمكتبة السليمانية مؤرّخة بتاريخ 1066هـ وتحتوي على الشروط الواردة بها.

[278←]

VGMAرقم 739، ص 66.

[279←]

ليواديا مقاطعة تقع شمال غرب أثينا حاليًا في اليونان.

[280←]

للاطّلاع على وقفية ماهبيكر كوسم سلطان انظر: مكتبة ملتْ، التاريخ، رقم 931،

Müctepe Ilgürel, Kösem Sultan vakfiyesi, TD, XVI, 16, Istanbul 1966.

[281←]

وقفيّة طورخان سلطان، مكتبة السليمانية، قسم طورخان سلطان، رقم 150، ورقة 14-16.

[282←]

للاطّلاع على وقفية مصطفى أغا انظر: TSMK.EHرقم 2295.

[283←]

شو، مرجع سابق، ص 250.

[284←]

وقفية كوسم سلطان، سابق، ص 931.

[285←]

BOA, MD, XlV, 331.

[286←]

حكم لقاضي المدينة مؤرّخ بتاريخ 9/ شوال/ 973هـ، الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج5، 1265.

[287←]

حكم لأشراف المدينة المنورة مؤرخ بتاريخ 25/ شعبان/ 984هـ، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج28، 483.

[288←]

BOA, MD, XXll, 250.

[289←]

حكمٌ مرسل لأمير الحجّ المصري بتاريخ 14/ صفر/ 985هـ، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج30، 277.

[290←]

ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة1410هـ، ج1، 189؛ أيوب صبري باشا، مرآة، ج2، ص1؛

Mustafa Bilge, Ayin zübeyde, a, g, m, s. 270-280.

[291←]

Eyyup Sabri, Mirat Mekke, s. 738.Ahmed Rasim , menakib el islam, istanbul 1325, c.2 , s. 103.

[292←]

Eyyup Sabri, Mirat Mekke, s.739.

[293←]

Seyyid Muhammed, "deşişe" a, g, m , 214.

[294←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 184.

[295←]

Sabri paşa, Mirat, a, g, e, s. 740 -741.

[296←]

A.e , s. 740.

[297←]

M. Cavid Baysun, "Mihrimah sultan "IA, c.8, 308.

[298←]

M. L. Bilge, "Ayni zübeyde "DIA, Istanbul 1991, c.4, 280.

[299←]

محمد أمين المكي، سابق، 26؛ الأرقام المعطاة عن إنشاء طريق المياه مختلفة فقد كانت في البداية 30.000 عملة فلورية، ثمّ أصبحت 100.000، ثمّ أصبحت 500.000 عملة فلورية، وهذا ما ذكره المكي، أمّا أحمد راسم فيذكر أنّ هذا الرقم 100.000 عملة فلورية.

[300←]

BOA, MD, Vll, 690.

[301←]

BOA, MD, Vll, 691.

[302←]

BOA, MD, Vll, 914.

[303←]

BOA, MD, Vll, 981.

[304←]

BOA, MD, Vll, 983.

[305←]

BOA, MD, Vll, 984.

[306←]

BOA, MD, XlV, 1416.

[307←]

BOA, MD, XVl, 41.

[308←]

BOA, MD, XlX, 704.

[309←]

BOA, MD, XXlX, 335.

[310←]

محمد صادق، سابق، ص 65؛ المكي، سابق، ص36؛ ولمعلومات أكثر انظر: أيوب صبري باشا، سابق.

[311←]

BOA, MD, XXlV, 227.

[312←]

Ahmed Rasim, a, g, e, s. 114.

[313←]

المرجع نفسه، نفس الصفحة؛ المكي، ص 33.

[314←]

وقفية صقوللو محمد باشا، ورقة 19أ- 24 ب؛ أيوب صبري، سابق، ج3-4، ص 720-721.

[315←]

Sabri paşa, Medine, s. 723.

[316←]

rasim, c. 2. s. 690. Mekki, s. 42.

[317←]

BOA, MD, XLlll, 533.

[318←]

وقفية طورخان والدة سلطان، ورقة 71-72.

[319←]

الأرقام الواردة في الوقْفيّات وفي الجداول نُقلت كما هي من الأصل .

[320←]

البركة، المكان الذي تتجمع فيه المياه في المساجد وغيرها، انظر: الأختري، سابق، ج1، ص 97؛ شمس الدين سامي، سابق، ص 289.

[321←]

VGMAرقم744، ص 41-42.

[322←]

VGMAرقم 747، ص 273-274.

[323←]

VGMAرقم 747، ص 304.

[324←]

I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı tarihi, c.2 , s. 389. Aktepe, "Kemenkeş Mustafa paşa "IA, c.8, 332.

[325←]

TSMK.EHرقم 2995.

[326←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 6b. BOA , EV, HMK, SR, nr 10, vr 13 b.

[327←]

فون هامر، سابق، ج4، ص 239.

[328←]

لمعلومات أكثر انظر: نهال بولند، آثار المعمار سنان في مكّة والمدينة، استانبول 1988، ص 346.

[329←]
BOA, MD, nrLVlll, 699.

[330←]
Sabri paşa, Mekke, s. 850.

[331←]
ستانفرد شو، سابق، ص 259.

[332←]
المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[333←]
للاطّلاع على وقفية القانوني لكسوة الكعبة انظر: مكتبة بايزيد، قسم ولي الدين أفندي، رقم 2398/ ورقة 75 أ- 79 ب.

[334←]
محمد صادق، سابق، ص 38.

[335←]
BOA, MD, XVl, 405.

[336←]
BOA, MD, XXX, 41.

[337←]
BOA, MD, XLll, 204.

[338←]
Sabri paşa, Medine , s. 753.

[339←]
نعيما مصطفى أفندي، تاريخ نعيما، استانبول 1281هـ، ج2، 83.

[340←]
نفس المصدر، والصفحة، وينقل أيوب صبري باشا عن عمل الكسوة في استانبول وإرسالها للحرم المكّي ما نصّه:

[341←]
نعيما، مرجع سابق، ص 83.

[342←]
Nihal Bülent, a, g, e, s. 346.

[343←]
القرآن الكريم، سورة النمل،آية 30.

[344←]
المكي، مرجع سابق، ص 25.

[345←]
Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9167.

[346←]
Sabri paşa, Mekke, s. 761 -762.

[347←]
محمد أفندي الأدرنوي، نخبة التواريخ والأخبار، استانبول 1276، ص 132.

[348←]
المرجع نفسه، ص 133.

[349←]
حكم مرسل لأمير أمراء مصر في 21/ ذي الحجة/ 980هـ/ 24/ 4/ 1573.(الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، 21/ 485).

[350←]
BOA, MD, XXl, 486.

[351←]
BOA, MD, XXl, 487.

[352←]
BOA, MD, XXl, 488.

[353←]
BOA, MD, XXlll, 6.

[354←]

BOA, MD, XXlll, 7.

[355←]

BOA, MD, XXlll, 8.

[356←]

الأدرنوي، نخبة، سابق، ص 133.

[357←]

نفسه، ونفس الصفحة.

[358←]

BOA, MD, XXVll, 397.

[359←]

BOA, MD, XXVll, 882.

[360←]

محمد صادق، سابق، ص 39-41.

[361←]

الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج 10/ 391؛ هامر، الدّولة العثمانية، ج4، ص 287 ؛ ويذكر مكي عن هذا المبلغ "وأنفق السّلطان من جيبه الخاص 210.000 مثقال ذهب بخلاف مخصّصات مصر "(الخلفاء العظام، سابق، ص 29).

[362←]

BOA, MD, XXXlll, 1.

[363←]

Bekir kütükoğlu, "Murad lll" IA, c.8 , 625.

[364←]

الأزرقي، أخبار مكة، سابق، ج1، ص 355.

[365←]

المرجع نفسه، ص 356.

[366←]

الأزرقي، سابق، نفس الصفحة..

[367←]
ذكر رشدي صالح الملحاس في آخر هذا الكتاب الذي قام بتحقيقه؛ إنشاءات الكعبة حتّى يومنا هذا، وخاصّة التي أمر السّلطان مراد الرابع بعملها (أخبار مكة، ج1، ص 356- 373.).

[368←]
الأزرقي، سابق، ج1، 353- 376.

[369←]
محمد باشا، زبدة، سابق، ص 117- 118.

[370←]
مكي، سابق، ص 25.

[371←]
أيوب صبري باشا، مكة، سابق، ص 718- 719 ؛ صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة التطوّر العمراني والتراث المعماري، بيروت 1981، ص 88-89.

[372←]
أيوب صبري باشا، مكة، سابق، ص 860- 861، المكان المذكور على أنه قبر عليّ يجب أنْ يكون مقامًا؛ لأنّ سيدنا عليّ استشهد في الكوفة، ودفن في قبر غير معلوم.

[373←]

BOA, MD, X, 549.

[374←]

BOA, MD, XXVll, 397.

[375←]

BOA, MD, XL, 201.

[376←]
الأرشيف العثماني، الدّفاتر المدورة من المالية، رقم 7222، بالرغم من أنّ الدفتر يحوي معلومات عن حسابات هذا العمل الإنشائي، إلّا أنه لم يكن ممكنًا التّحقق من أسماء بعض العمّال الذين شاركوا فيه أو تحديد الرّاتب الذي كانوا يتقاضوه نتيجة لوجود ثقوب في الورق، لذا رأينا أنّه من الأنسب ذكر المبالغ الإجمالية.

[377←]

BOA, MD, XLlll, 143.

[378←]

BOA, MD, LVlll, 706.

[379←]

BOA, MD, LVlll, 708-709.

[380←]

BOA, MD, XLV, 124.

[381←]

الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج 53/ 862 ؛ للاطّلاع على الأعمال التي تمّت للمسجد النبوي والترميمات التي تمّت في عهد السّلطان محمود الثاني انظر: إبراهيم آتش، محاولات توسعة المسجد النبوي حتّى اليوم، مجلة الوثائق، عدد 44، أنقرة 1994، ص 5-43.

[382←]

ابن الأمين، الأوقاف، سابق، ج1، ص 717.

[383←]

BOA, MD, XLlll, 157.

[384←]

BOA, MD, V, 1084.

[385←]

السمهودي، كتاب الوفا بأخبار دار المصطفى، بيروت 1404، ج1، 394- 396..

[386←]

وهبة الزحيلي، موسوعة الفقه الإسلامي، (ترجمة: أحمد أفندي) استانبول 1993، ج4، ص 168-

[387←]

لمعي مصطفى، المدينة المنورة، سابق، ص 80.

[388←]

BOA, MD, XL, 201.

[389←]

صولاق زادة، التاريخ، سابق، ص 697؛ مكي، الخلفاء، ص 33.

[390←]

مصطفى نوري باشا، نتايج، سابق، ج2، ص 34.

[391←]
المكي، الخلفاء، سابق، ص 33

[392←]
صولاق زادة، سابق، ص 697.

[393←]
خليل إبراهيم مولا خاطر، فضائل المدينة المنورة، جدة 1413، ج1، ص 355.

[394←]
المكي، سابق، ص 23.

[395←]
BOA, MD, Vl, 93.

[396←]
المكي، سابق، ص 32.

[397←]
محمد صادق، سابق، ص2.

[398←]
المكي، سابق، ص 33.

[399←]
. TSMK.EH-3000 رقم

[400←]
BOA, EV , HMK, SR, 12, vr 10.

[401←]
Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9. 182.

[402←]
المرجع نفسه، ص 186.

[403←]

نفس المرجع، والصفحة.

[404←]

نفس المرجع، ص 182- 183.

[405←]

Sabri paşa, Mekke, s. 758- 759. Ahmed Rasim, a, g, e, s. 107..

[406←]

BOA, EV , HMK, SR, 10, vr 11 b.

[407←]

ابن الأمين، الأوقاف، ج1، رقم 1233.

[408←]

بالرغم من أنّ الأعداد التي ذكرها أوليا جلبي في رحلته عن عدد المدارس الموجودة في مكّة والمدينة، وأنّ عدد مدارس مكّة كان يبدو وكأنّه أعلى من المدينة، إلّا أنه عندما ننتبه إلى عدد السكّان بالمدينة سيتّضح لنا أنّ إقامة التعليم في المدينة أعلى في المعنى الحقيقي في عدد المدارس.

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9.137-138.

[409←]

VGMA رقم 635، ص 145

[410←]

وقفية صقوللو محمد باشا، ورقة 19 أ..

[411←]

نفس الوقفية، والورقة

[412←]

BOA, EV , HMK, SR, nr 422, vr 9a.

[413←]

Tayyip Gökbilgin, a, g, e, s. 510.

[414←]

Cahid Baltacı, 15 -16. asırlarda Osmanlı medreseleri teşkilatı tarihi, Istanbul 1976, s. 504.

[415←]

Baltacı, a, g, e, s. 286.

[416←]

Sabri paşa, Mekke, s. 738.

[417←]

BOA, EV , HMK, SR, nr422, vr 14-15.

[418←]

BOA, MD, XlX, 157.

[419←]

BOA, MD, nr 5643.

[420←]

للاطّلاع على وقف التفسير المخصص للمدينة انظر: مكتبة السليمانية، قسم برتونيال، رقم 909، ورقة 38ب- 39 أ.

[421←]

الحكم المرسل لأمير أمراء مصر في 1/ شعبان/ 988هـ/ 11/ 9/ 1580، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج31، 820.

[422←]

Tayyip Gökbilgin, "Hurrem sultan" IA, V-l, 595-596.

[423←]

الحكم المرسل لأمير أمراء مصر في 3/ شعبان/ 983/ 8/ 11/ 1575، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج27، 171.

[424←]

Sabri paşa, Medine, s.727.

[425←]

المرجع نفسه، ونفس الصفحة.

[426←]

أحكام مرسلة لأمير أمراء مصر في 12/ رجب/ 988هـ/ 8/24/ 1580، الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج XLIII/ 365، 386- 395- 396.

[427←]
ابن الأمين، الأوقاف، ج1، رقم 1347..

[428←]
Nafiz Öztürk, Türk yenileşme tarihi çerçeveside vakif müesesesi, Ankara 1995, c.1, s. 181.

[429←]

BOA, MD, XXVlll, 2.

[430←]
الآيات الواردة بالوقفية هى: آية 94 من سورة الأنعام؛ وآية 38 سورة المدثر؛ وآية 261 من سورة البقرة؛ وآية 88-89 من سورة الشعراء؛.

[431←]
VGMA 143-144، ص 18-19.

[432←]
نفس الوقفية، ص 32-40.

[433←]
نفس الوقفية، ص 40-50.

[434←]
نفس الوقفية، ص 55-56.

[435←]
نفس الوقفية، ص 67.

[436←]
ذكر في الوقفية أنه قد تمّ تخصيص مبلغ 2.400 للإبل المستخدمة في النقل، وخصّص مبلغ 410 لعمل الاستعدادات (نفس الوقفية، 59).

[437←]
نفس الوقفية، ص 71-75.

[438←]
نفس الوقفية، ص 75- 76.

[439←]

نفس الوقفية، ص 50- 55.

[440←]

سورة البقرة، آية 181.

[441←]

VGMA143- 144، ص 79.

[442←]

Sabri paşa, Medine , s. 722.

[443←]

Evliya Çelebi, Seyahetnamesi, Istanbul 1985, c. 9, 185.

[444←]

TSMK.EHرقم 3000.

[445←]

BOA, MD, LXVll, 356.

[446←]

BOA, MD, LXlX, 136.

[447←]

BOA, MD, LXlX, 136.

[448←]

Midhet Sertoğlu, ll.Muradın vasiyetnamesi, VD, Vlll, Ankara 1961, 67-69.

[449←]

Tayyip Gökbilgin, Paşa livasıve Edirne, Vakıflar- Mukattalar- Haslar, Istanbul 1952, s. 317.

[450←]

A.e, s.317.

[451←]

A.e, s.318.

[452←]

للاطّلاع على وقفية السّلطان بايزيد الثاني انظر: مكتبة ملث، قسم ابن سينا، ف.ك 44، ص 28.

[453←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 2a.

[454←]

الوقفيات، أنقرة بدون تاريخ.ص 185- 195.

[455←]

يذكر م.ج. أولوجاي أنّ اسم هذه الأميرة هو"شاة سلطان "

M.Ç.Uluçay, padişahların kadıNlarıve kızları, Ankara 1992, s. 24.

[456←]

Tayyip Gökbilgin, a, g, e, s. 386.

[457←]

الوقفيات، ص 207-211.

[458←]

المرجع السابق، نفس المكان.

[459←]

Ömer Lutfi Barkan – Ekrem Hakki Ayverdi, istanbu vakıfları tahrir defteri (1546), Istanbul 1942, s. 95.

[460←]

عبد الباقي، تاريخ مكّة المكرمة إعلام العالم، ترجمة، مكتبة ملث، تاريخ علي أميري، رقم 559، ورقة 94 أ- ب.

[461←]
وقفية سليمان القانوني لكسوة الكعبة، مكتبة بايزيد، قسم وليّ الدين أفندي، رقم 2389/2، ورقة 75أ- 79ب.

[462←]
F. Cangüzel, Mihrimah Sultanın VGMAda bulunan vakfilerinin değerlendirmesi, Gazi Ünv, S.B.Ens, yüksek lisans tezi, Ankara 1989, s. 49.

[463←]
للاطّلاع على وقفية خاصكي سلطان انظر: مكتبة السليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم 3752، ص 16-27،

[464←]
VGMAرقم 1961، ص 4.

[465←]
BOA, EV, HMK, SR, 130, vr 4b.

[466←]
م.عاشق حنفي، ترجمة تاريخ مكّة والمدينة، مكتبة ملث، تاريخ عليى أميري، رقم 1217، ورقة 201 أ.

[467←]
VGMAرقم 72، ص 102-103.

[468←]
مكتبة بايزيد، رقم 5157.

[469←]
رقم 1966، ص 23.

[470←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 7b.

[471←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 411, s. 45.

[472←]
VGMA74- 1607، ص 51-52.

[473←]

VGMAرقم، 632، ص 453.

[474←]

VGMAرقم 1763، ص 9ب.

[475←]

BOA, EV, HMK, SR, 130, vr 9b.

[476←]

VGMAرقم 747، ص 120 -122.

[477←]

VGMAرقم 3- 1621.

[478←]

BOA, EV, HMK, SR, 401, vr 26b.

[479←]

Nafiz Öztürk, "Bayezid oğulları vakıfları ", VD, XXVl, Ankara 1997, 47.

[480←]

BOA, EV, VKF, 8-15.

[481←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 4b.

[482←]

BOA, EV, VKF, 4-1.

[483←]

BOA, EV, VKF8-18.

[484←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 4b.

[485←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 130, vr 9b.

[486←]

BOA, EV, VKF6-6.

[487←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 411, s. 43.

[488←]

VGMAرقم 747، ص 256.

[489←]

مكتبة السليمانية، قسم كوبرلو، الملاحق 1، وللوقفية ميكروفيلم بنفس المكتبة مسجل برقم 4370.

[490←]

مكتبة السليمانية، قسم كوبرلو، الملاحق 2.

[491←]

مكتبة السليمانية، قسم كوبرلو، الملاحق 4، وللوقفية ميكروفيلم بالمكتبة مسجل برقم 4027.

[492←]

VGMAرقم 1763، ص 343-344.

[493←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 130, vr 4a.

[494←]

الاسترباح هو عملية قرض يمنحه إداريو الوقف لذوي الحاجة في الأوقاف المالية.

[495←]

VGMAرقم 737، ص45-47.

[496←]

BOA, EV, VKF 22-25.

[497←]

أتان مصطفى هاشم، تاريخ أوقاف قبرص، لفكوشا 1986، ج1، 92.

[498←]

نفس المرجع، ج1، 93.

[499←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 10, vr 70 b.

[500←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 130, 10b.

[501←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 130, 9a.

[502←]

رقم 97، رقم مسجل 1151.

[503←]

BOA، EV، VKF، 49-15.

[504←]

TSMK.EH رقم 3029.

[505←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 11 a.

[506←]

الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم 130، ورقة 11أ، وتوجد- أيضًا- ستة قرى تابعة لسيلسترة كانت ضمن تلك الأوقاف، وتلك هي القرى ودخلها السنوي:

[507←]

Tayyip Gökbilgin, a, g, e, s.317.

[508←]

بعد أنْ تمّ تنفيذ شروط وقف بكتاش خليفة باستانبول وغالاطة، خصّص ثلث المبلغ المتبقي لفقراء المدينة، والرّقم المُعطى عاليه هو محصول الخمس سنوات التي أرسلت للمدينة عام 997هـ (الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، رقم 1806، ورقة 5أ).

[509←]

محمد ثريا، سجل عثماني، ناشر، على أطقان، استانبول 1996، ج3، ص 382.

[510←]

أمكن تحصيل 20.000 أقجة من هذا الوقف عام 1042هـ/ 1633م(الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم 8، ورقة 3 أ).

[511←]

Münir Aktepe, "Kemankeş Mustafa paşa" IA, Vlll, 332.

[512←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 5b.

[513←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 5b.

[514←]

Mehmed Süraya, sicil osmani, Istanbul 1995, c.1, 200.

[515←]

BOA, EV, HMK, SR, nr422, 47 b.

[516←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 3a.

[517←]

BOA, EV, HMK, SR, nr401, 41b.

[518←]

BOA, EV, HMK, SR, nr401, 41b.

[519←]

هذا الواقف الذي اشتغل بأمير السنجق في لابطة أوقف دخل مزرعته هناك، (ألطان مصطفى هاشم، مرجع سابق، ج1، 92).

[520←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 3a.

[521←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 3a.

[522←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 411, 43 a.

[523←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 10, 69 b.

[524←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 10, 69 b.

[525←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 10, 64 b.

[526←]

BOA, EV, HMK, SR, nr10, 65b.

[527←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 6a.

[528←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 14 a.

[529←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 44 a.

[530←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 130, 50b.

[531←]

Barkan- Ayverdi, Istanbul vakıfları, a, g, e, s. 164.

[532←]

BOA, EV, HMK, SR, nr130, 10a.

[533←]

BOA, EV, HMK, SR, nr 130, 10a.

[534←]

كانت حاصلات هذا الوقف عام 1042هـ/ 1633م 3.400 أقجة، (الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم 8، ورقة 3 أ)

[535←]

المبلغ المحصّل من هذا الوقف عام 1042هـ/ 1633م كان 400 أقجة.

[536←]

نفس المرجع السابق، ورقة 9 ب.

[537←]
نفس المرجع، ورقة 63ب.

[538←]
نفس المرجع، ورقة 66 أ.

[539←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 422, 79 b.

[540←]
BOA, D.HMH, nr 21375.

[541←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 10, 3 ab.

[542←]
BOA, EV, HMK, SR, nr422 , 18 b.

[543←]
BOA, EV, HMK, SR, nr130 , vr 2-15.

[544←]
BOA, EV, HMK, SR, nr411 , vr 20b.

[545←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 10-12-422.

[546←]
يلاحظ أنّ المبلغ المذكور كان يوزّع 5 سكات حسنة لكلّ شخص.

[547←]
Nafiz Öztürk, a, g, e, s. 169.

[548←]
VGMA رقم 744، ص 41-43.

[549←]
الأرشيف العثماني، الأوقاف، وقفية رقم 19/19، وللاطّلاع على معلومات أكثر عن إيواز باشا ووقفيته انظر:

Ismail Hakkı Uzunçarşılı, Haci ivaz paşaya dair, TD, XIV, 10- Istanbul 1959, 25-49.Abdülkadir Özcan, "haci ovaz paşa" DIA, XIV, Istanbul 1997, 486.

[550←]
مكتبة ملتْ، قسم ابن سينا، F.K 44، ورقة 28.

[551←]
Reşad Ekrem Koçu, "Ali paşa hadim", IA. C.1, Istanbul 1993. s. 331.

[552←]
طيب كوك بيلكين، سابق، ص 383 – 400، وفي نفس الوقت الذي يوضح فيه المؤلف أنّ الواقف هنا هو علي باشا الخادم يذكره برقان بأنّه علي باشا الشهيد.

[553←]
Barkan – ayverdi, a, g, e s. 369.

[554←]
VGMAرقم 734، ص 16، وقد فصّلت المعلومات عن المصروفات التي تمت لمكّة، وطلب إظهار نفس المبالغ في المدينة.

[555←]
Müctepe Ilgörel, "Kösem sultan bir vakfiyesi, TD, XXl, 16, Istanbul 1966, 89-91.

[556←]
رقم 744، ص 41-42.

[557←]
محمد ثريا، سجل عثماني، ج2، 76-77.

[558←]
لم نتمكّن من قراءة اسم القرية لأنه ممسوح.

[559←]
VGMAرقم 624، ص 208-210.

[560←]
BOA, EV, HMK, SR, nr422, vr6.

[561←]

مصطفى هاشم، الأوقاف التركية بقبرص، ج1، 92.

[562←]
M. Sertoğlu, "2. Murad vasiyetnamesi" VD, VIII, 67-69.

[563←]
ذكر في الدّفتر أسماء القرّاء الذين كانوا يقرأون الختم الشريف ومقدار ما كانوا يأخذونه، (الأرشيف العثماني، دفاتر الصّرة، رقم 422، ورقة 87-88).

[564←]
T. Gökbilgin, a, g, e, s. 383.

[565←]
BOA, MAD, nr 1806, vr 9b.

[566←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 10 , vr 55b.

[567←]
وقفية الفهرست السّلطاني لمسيح باشا، مكتبة السليمانية، قسم مسيح باشا، رقم 72، ورقة 7 أ.

[568←]
عبد الباقي، تاريخ مكّة، ورقة 90 أ.

[569←]
Ahmed Akgöndüz, Şeriye sicilleri ve seçme hükümler, Istanbul 1988, c.1, s. 238.

[570←]
ذو الفقار، مهرماة، ص 71.

[571←]
نفس المرجع، 48.

[572←]
VGMAرقم 635، ص 145.

[573←]
VGMAرقم 624، ص 121- 124.

[574←]
مكتبة ملث، تاريخ علي أميري، رقم 933، ورقة 19 أ- 24 أ.

[575←]
M. Şehabeddin Tekindağ, "Mahmud paşa "IA, c.7, 188.

[576←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 95. BOA, EV, HMK, SR, nr 417.

[577←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 96.

[578←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 422 , vr 52- 54.

[579←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 422, vr 54.

[580←]
TSMA.Dورقة 11-17.

[581←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 10, 64 b.

[582←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 130, 4a.

[583←]
Ilgörel, a, g, e, s. 89-91.

[584←]
وقفية طورخان سلطان، ورقة 14-16.

[585←]
VGMA K 143- 144ص 80-89.

[586←]
TSMA.Dرقم 7025، ص 17-22.

[587←]
TSMA.D، 7025، ورقة 1-10.

[588←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 10 , 11 b.

[589←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 130.

[590←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 12, 6a.

[591←]
وقفية أياس أغا بن عبد الله، مكتبة ملتْ، تاريخ علي أميري، رقم 944.

[592←]
للاطّلاع على وقفية فريدون بك انظر: مكتبة ملتْ، تاريخ علي أميري، رقم 933، ورقة 14.

[593←]
VGMAرقم 607، ص 1-3.

[594←]
VGMAرقم 1766، ص 151.

[595←]
Vahid Çabuk, Tarihimizde vakıf kuran kadınlar, Istanbul 1990, 22.

[596←]
للاطّلاع على وقفية صنوبر خاتون انظر: VGMAرقم 743، ص 557، واشترط في هذا الوقف إنشاء سبيل بالدخل الذي سيتحصّل من إيجار 4 غرف، و40 حانوتًا بالقرب من أوقاف رستم باشا.

[597←]
نفس الوقفية، ص 558.

[598←]
BOA, EV, VKF, 20-26.

[599←]
TSMA رقم 3036، ورقة 48.

[600←]
TSMAرقم 3005.

[601←]
VGMAرقم 744، ص 513- 514.

[602←]
فهرس الأوقاف 8/18.

[603←]
VGMAرقم 632، ص 453.

[604←]
نفس الوقفية.

[605←]
نفس الوقفية.

[606←]
نفس الوقفية.

[607←]
VGMAرقم 2138، ص 191.

[608←]
وقفية الحاج محمد أفندي بن عثمان، VGMAرقم747، 479، 481.

[609←]
نفس الوقفية.

[610←]
TSMK.EHرقم 3000.

[611←]
TSMA.EHرقم 3018.

[612←]
VGMAرقم 744، ص 257.

[613←]
VGMAرقم 744، ص 224.

[614←]
نفس الوقفية ص 225.

[615←]
نفس الوقفية ص 225.

[616←]
نفس الوقفية ص 227.

[617←]
للاطّلاع على وقفية علي أغا انظر: مكتبة ملث، قسم ابن سينا، أ/ 129، (وبالرغم من عدم تسجيل أي تاريخ على الوقفية إلّا أنها من شكل كتابتها ولغتها يمكن تأريخها بالقرن السّابع عشر).

[618←]
VGMAرقم 741، ص 52.

[619←]
للاطّلاع على وضع تلك المؤسّسة قبل العثمانيين انظر:

Ziya kazıcı- Mehmed Şeker, islam türk medeniyeti tarihi, Istanbul 1982, 161-162.

[620←]

I.H.Uzunçarşılı, Mekke mukarama Emirleri, Ankara 1972, 9.

[621←]

A.e, s. 9.

[622←]

Mehmet Ipşirli, Osmanlıdevlet teşkilatı, istanbul 1994, c.1, s. 271.

[623←]

A.e, s. 271.

[624←]

KAzıcı- Şeker, a, g, e, s.161.

[625←]
بالرغم من أنّه استخدمت عدة عمامات حتّى عام 1005هـ/ 1596م إلّا أنّ والي مصر الشّريف محمد باشا أصدر قرارًا بتخصيص عمامة خضراء للسادة من بعد هذا التاريخ، ولم يكنْ هذا الإجراء سوى في مصر فقط.

[626←]
I.H.Uzunçarşılı, Osmanlı devletinde ilmiye teşkilatı, Ankara 1988, s. 169.

[627←]
Murad Sarıcık, Osmanlı imparatorluğunda Nakibül eşraf müesesesi, Atatürk Ünv, S.B.Ens, basılmamış Doktura tezi, Erzurum 1989.

[628←]
صولاق زادة محمد الهمدمي، تاريخ صولاق زادة، استانبول 1297هـ، ج1، 188.

[629←]
فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبول 1275، ج1، 55.

[630←]
هامر، تاريخ الدّولة العثمانية.

[631←]
ستانفرد شو، التنظيم الإداري في مصر العثمانيّة (1517- 1798) برينستون 1962، ص 258.

[632←]
Evliya Çelebi, seyahetname, s. 166.

[633←]
BOA, MAD, nr 4- 649.

[634←]
BOA, MAD, nr 15 -100.

[635←]
BOA, MAD, nr 15 -1048.

[636←]
BOA, MAD, nr 15- 1118.

[637←]

BOA, MAD, nr 15-990.

[638←]

المرمّم، هو الشخص الذي يقوم بعملية الترميم في أبنية الوقف.

[639←]

BOA, MAD, nr 15-1002.

[640←]

علي أميري، محمد الرابع، رقم 2008.

[641←]

VGMAرقم 1387، عام، دفتر 140، ص 161-162.

[642←]

VGMA رقم 182، ص 345 -362.

[643←]

ذو الفقار، ص 71.

[644←]

VGMAرقم 1756، ص 151.

[645←]

VGMA رقم 2138، ص 78.

[646←]

Ibrahim Ateş, Mimae sinan vakfı, Istanbul 1990, s. 8.

[647←]

BOA, EV, VKF, 20-25.

[648←]

VGMA رقم 72، ص 102- 103.

[649←]

صورة وقفيّة خاصكي سلطان، مكتبة السليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم 3752، ص 16-17.

[650←]

VGMAرقم 741، ص 23-25.

[651←]
VGMAرقم 97، تسجيل 1151.

[652←]
القرآن الكريم، سورة النساء، الجزء الرابع، آية 176.

[653←]
لمعلومات أكثر عن هذا الموضوع انظر:

Ömer Lutfi Barkan – Ekrem Hakki Ayverdi, istanbu vakıfları tahrir defteri (1546), Istanbul 1942, XX-XXVll. Hasan Yüksel, Vakıf müsadere ilişkisi, OAD, Xll, Istanbul 1992, 408.

[654←]
VGMAرقم 747، ص 259- 260.

[655←]
الوثيقة السابقة.

[656←]
BOA, MAD, XXlll, 506.

[657←]
VGMAرقم، 1763، ص 343-344.

[658←]
نفس الوثيقة.

[659←]
VGMAرقم، 1763، ص 262.

[660←]
VGMAرقم، 1763، ص 130.

[661←]
Ömer lutfi Barkan – Enver Merçil, Hüdavindgar livasıTahrir Defterleri, Istanbul 1988, s. 58.

[662←]

VGMAرقم 2114، ص 44.

[663←]

BOA, EV, VKF, 8-31.

[664←]

Fatma Üstek, Hicri 984 tarihli Defteri evkaf ruma gOre TOkat merkez kazasıvakıf kayıtları, Basılmamış yüksek lisans Tezi , Ankara 1985, s. 110.

[665←]

BOA, EV, VKF, 8- 73.

[666←]

BOA, EV, VKF, 1-33.

[667←]

BOA, EV, VKF, 14-3.

[668←]

VGMAرقم 718، ص1.

[669←]

BOA, EV, VKF, 5-45.

[670←]

BOA, EV, VKF, 5-68.

[671←]

Ahmed Akgödüz, Şeriyye sicilleri katalOgu, Istanbul 1988, c.1, s. 239.

[672←]

BOA, EV, VKF, 2-28.

[673←]

VGMAرقم، 1966، ص22.

[674←]

BOA, EV, VKF, 6-26.

[675←]

BOA, EV, VKF, 8-32.

[676←]

BOA, EV, VKF, 8-15.

[677←]

VGMAرقم، 743، ص557.

[678←]

.BOA, EV, VKF, 14- 37

[679←]

VGMAرقم 731، ص 107.

[680←]

BOA, EV, VKF, 6-6.

[681←]

BOA, EV, VKF, 16-5.

[682←]

BOA, EV, VKF, 11-11.

[683←]

BOA, EV, VKF, 10-53.

[684←]

BOA, EV, VKF, 1-40.

[685←]

BOA, EV, VKF, 17-31

[686←]

VGMAرقم 747، ص 45.

[687←]

Fatma Üstek, a.g.e, s.110.

[688←]

Bahaeddin yediyıldız, a.g.e, s 30.

[689←]

دفتر حسابات ولاية الأناضول المرقوم برقم 166، أنقرة 195، ص 509-510.

[690←]

Mustafa Akdağ, Türkiyenin iktisadi ve ictimai yapısı (1453- 1559), Istanbul 1977, c.2, s. 59.

[691←]

وبعض تلك القرى هي: مدكيسا، درة بودوميا، أوداميش، أداجيدا، بانالي، دوغانلي.

[692←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 7a.

[693←]

TSMK3054.

[694←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 6b.

[695←]

دفتر تحرير أراضي ولاية الأناضول (1530م) أنقرة 1995، ص 388.

[696←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 7a.

[697←]

TSMK9529.

[698←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 7b.

[699←]

رسم الجفت، (ضريبة الحقل) هي الضريبة التي تحصل من الأراضي التي تبلغ مساحتها القدر الذي يمكن لبقرتيْن العملَ بها، وبالرغم من أنّ كمياتها كانت تختلف من مكان لآخر، إلّا أنّ أقلّها كان 22 وأكثرها كان 57 أقجة.

Mehmet Zeki Pakalin, Deyimler, a.g, e , c.3, s. 30.

[700←]
رسم الجبا، هي الضريبة التي تحصّل ممّن يعملون بالتجارة ولا توجد أراضي تيمارات في عهدتهم، وكانت عن المتزوّجين 12، وعن العزّاب 6 أقجات سنويًّا.

Mehmet Zeki Pakalin, Deyimler, a.g, e , c.1, s. 253.

[701←]
Nazim Kuruca, 16. yüzyılda Kastamunu sancağı vakıf tahrir defteri, IÜ, sOsyal bilimler enistetüsü, basılmamış yüksek lisans tezi, Istanbul 1995, s 234.

[702←]
نفس المرجع والمكان.

[703←]
BOA, MAD, nr 1806, vr 7b.

[704←]
BOA, MAD, XLl, -401.

[705←]
Kuruca, a, g, e , s. 259.

[706←]
BOA, D.HMH, 21363.

[707←]
BOA, MAD, nr 1806, vr 5b.

[708←]
Ahmet cebeci, 16. yüzyıl silistre sancağı vakıfları, Gazi Ünv, sOsyal bilimler enistütüsü, Y.L.T, Ankara 1994, s. 46.

[709←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 8, vr 6a.

[710←]
Feridun Nafiz Uzluk, Fatih devrinde karaman eyaleti vakıfları, Ankara 1970, s.54.

[711←]

Ibrahim Hakki KOnyalı, Abideleri ve kitabeleri ile Erğili tarihi, Istanbul 1970, s. 220.

[712←]

F.N. Uzluk, a, g, e, s.54.

[713←]

Ömer Hilmi Efendi, a, g, e, s. 26.

[714←]

I.H. KOnyalı, a, g, e, s. 220.

[715←]

كنماذج انظر:

Ömer Lutfi Barkan, 15 -16. asırlarda Osmanlı imparatOrluğunda ziraii ekOnOmisinin hukuk ve mesasları, istanbul 1943, s. 41.

[716←]

ŞenOl Çelik, Erğli kazası, marmara Ünv, S.B.E, basılmamış yüksek lisans tezi, Istanbul 1990, s. 41-45.

[717←]

KOnya evkaf tahrir defteri, nr 584, vr 51 b.

[718←]

BOA, MAD, nr 1806, vr 8a.

[719←]

BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 15b.

[720←]

Adnan Gürbüz, TOprak ve vakıf ilişkileri çerçevesinde 16. yüzyıl Amasya sancağı, Ankara Ünv, S.B.Ens, Basılmamış dOktura tezi, Ankara 1993, s. 82.

[721←]

Adnan Gürbüz, 1576 Tarihli Defteri Evkaf Ruma göre Amasya sancağından Haremeyne gönderilen yardımlar, E.Ü.TID, V. izmir 1990, 258- 262.

[722←]

Yasmin Özırmak, Tahrir ve evkaf defterlerine göre kayseri vakıfları, basılmamış yüksek lisans tezi, Ankara 1985, s. 92.

[723←]
مجمع التاريخ التركي، رقم 802.

[724←]
نفس المجلة.

[725←]
F. Üstek, a, g, e, s. 53-54.

[726←]
Refet yınanç- Mesut elibüyük, Maraş tahrir defteri (1563), Ankara 1988, c.2, 799-800.

[727←]
Hüseyin Özdeğer, 160 asırda Ayıntab livası, Istanbul 1988, c.1, s. 370.

[728←]
A.e, s. 399.

[729←]
Albay Bizbirlik, 16. yüzyıl Ortalarında Diyarbekirde vakıflar, S. Ü, S.B.Ens, basılmamış DOktOra tezi, KOnya 1995, s. 353.

[730←]
A.e, s. 353.

[731←]
Ahmed Nezihi Turan, 16. asırda Ruha sancağı, A.Ü, S.B.Ens, basılmamış DOktOra tezi, Ankara 1993, s.199.

[732←]
Turan, a, g, e, s. 203.

[733←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 12b.

[734←]

Albay, a.g.e, s. 381.

[735←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 12b.

[736←]
للاطّلاع على أوقاف الصّرّة في الشّام انظر ص 193 – 196.

[737←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 167, vr 51a.

[738←]
محمد الأرناءوط، دور الأوقاف في نشوء وتطوّر المدن العثمانيّة نموذج لمقارنة بلاد البلقان ببلاد الشّام، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس 1993، ج 9- 10، ص 55.

[739←]
Süheyl Alemdar, 1034 Numaralı Şam icmal defteri, Inönü Ünv, Ü, S.B.Ens, basılmamış yüksek lisans tezi, Malatya 1992, 34.

[740←]
TSMKرقم 3061.

[741←]
BOA, MAD, nr 1689.

[742←]
TSMA. Eرقم 9297/ 29.

[743←]
BOA, MAD, nr 1806, vr 8b.

[744←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 130, 12b.

[745←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 11a.

[746←]
BOA, MAD, nr 5999.

[747←]
BOA, EV, HMH, nr 94.

[748←]
Feridun Emecen, 16. asırda Manısa kazası, Ankara 1989, s. 140 – 141.

[749←]
Cengiz Orhunlu, Osmanlı imparatOrluğunda Aşiretlerin iskanı, istanbul 1987, s. 79.

[750←]
Ahmed Refik, AnadOluda Türk Aşiretleri (966- 1200), Istanbul 1989, s.209.

[751←]
A.e, s.92.

[752←]
A.e.s. 162.

[753←]
F. Üstek, a, g, e, s. 46.

[754←]
BOA, D.HMH, nr 21355.

[755←]
M. mehdi Ilhan, diyarbekir şehrinin nüfusu ve vakıfları (1518- 1540) , Ankara 1994, s. 54.

[756←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 9a.

[757←]
نفس الوقفية، ورقة 8 ب.

[758←]
BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr9a.

[759←]
نفس الوقفية، رقم 9ب.

[760←]

BOA. EV, HMK, SR, nr8, vr 7a.

[761←]

BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 14b.

[762←]

Albay Bizbirlik, a, g, e, s. 353.

[763←]

محمد ثريا، دفتر عثماني، مرجع سابق، ج2، ص 276.

[764←]

وقفية حمزة باشا، TSMKرقم 2992، ص 4-5.

[765←]

نفس الوقفية، ورقة 13 أ.

[766←]

VGMAرقم 743، ص 557.

[767←]

BOA. EV, HMK, SR, nr 130, vr 9b.

[768←]

VGMAرقم 1763، ص 96.

[769←]

مكتبة السليمانية، قسم كوبرولو، الملاحق، ج4.

[770←]

EV, VKF, 4-1.

[771←]

TSMK, EH, 3030.

[772←]

VGMA, s. 747, s. 45.

[773←]

Barkan – Ayverdi, a, g, e, s.95.

[774←]

وقْفيّات نظارة الأوقاف، 15/49.

[775←]

Turan, a, g, e, s. 199. Bizbirlik, a.g.e., s. 377.

[776←]

VGMAرقم 1763، ص 130.

[777←]

VGMA رقم 1763، ص 343- 344.

[778←]

مصطفى هاشم، أوقاف قبرص، ج1، 92.

[779←]

VGMAرقم 632، ص 453.

[780←]

BOA. EV, HMK, SR, nr10, vr 70 a.

[781←]

وقْفيّات الأوقاف، 22/25.

[782←]

وقْفيّات الأوقاف 11/11.

[783←]

وقْفيّات الأوقاف، 5/45.

[784←]

TSMKرقم 3024.

[785←]

نفس الوقفية، ورقة 11 أ-ب.

[786←]

نفس الوقفية، ورقة 11 أ-ب.

[787←]

نفس الوقفية، ورقة 14 أ- ب.

[788←]

لتقييم أوقاف الدشيشة في عهد القانوني انظر:

Ibrahim Ceylean, Kanuninin Harameyn deşişe vakifları ve vakfiyesi, V. Miletler arası TürkOlOji KOngeresi, Istanbul 1985, s. 163- 174.

[789←]

BOA, MD, XXXVl, 421.

[790←]

Eyyup sabri, miret Medine, c. 3-4, s. 732. Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, c.10, 214.

[791←]

ثريا فاروقي، الحجّ في العهد العثماني، ترجمة: جول جغالي جوفان، استانبول 1995، ص89.

[792←]

BOA, MD, lll, 42.

[793←]

BOA, MD, Vll, 1378.

[794←]

BOA, MD, Xll, 115.

[795←]

BOA, MD, Xll, 115.

[796←]

BOA, MD, XXl, 53.

[797←]

BOA, MD, XXl, 56.

[798←]
BOA, MD, XXXlV, 551.

[799←]
حسابات أوقاف الدشيشة بالسويس، الأرشيف العثماني، كامل كبة جي، رقم 3285.

[800←]
Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, c.10, 215.

[801←]
Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, c.10, 215.

[802←]
Muhemmed el seyyid Mehmud "Deşişe "DIA, Istanbul 1995, c.10, 215.

[803←]
BOA, MAD, nr 999, ve nr 4522.

[804←]
ستانفرد شو، التطوير والتنمية في مصر العثمانية، مرجع سابق، ص 250.

[805←]
BOA, MD, XlV, 270.

[806←]
BOA, D.HMH, nr 21361.

[807←]
ستانفرد شو، مرجع سابق، ص 269.

[808←]
شو، مرجع سابق، نفس الصفحة.

[809←]
شو، سابق، نفس الصفحة.

[810←]
شو، سابق، ص 270.

[811←]

شو، نفس الصفحة.

[812←]

Seyyid Muhemmed el seyyid, 16. asırda Mısır Eyaleti, Istanbul 1990, 113.

[813←]

المرجع نفسه، ص 267.

[814←]

BOA, MD, XXXlV, 664.

[815←]

BOA, MD, XLVlll, 725.

[816←]

Ismail Hakkı Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Ankara 1994, c.2, 426-427.

[817←]

نفس المرجع، ص 121.

[818←]

ثريا فاروقي، سابق، ص87.

[819←]

نفس المرجع، ص 88.

[820←]

شو، سابق، ص 268.

[821←]

شو، سابق، ص246.

[822←]

شو، سابق، ص 261.

[823←]

Ali Amiri, 1. Ibrahim, nr 504.

[824←]
البال جيق اسم يطلق في مصر على الأراضي الطينية والتي تروى من مياه النيل.

[825←]

BOA, MD, XXXlX- 12.

[826←]
مصطفى بن شمس الدين القرة حصاري الأختري، أختر الكبير، استانبول 1332هـ، ج1، ص 578؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، استانبول 1314هـ ص826.

[827←]
شمس الدين سامي، نفس المصدر والصفحة؛ M. Zeki Pakalın، a.g.e، c.3، s. 280.؛ أمّا علي سيدي بك فيعرّف الصّرّة تعريفًا مختلفًا عمّا سبق فيقول "هي الأموال وسائر الأشياء الأخرى التي كانت تُهْديها الخلافة لأهالي الحرمين "(علي سيدي، القاموس العثماني، ج2، استانبول 1325، ص 624).

[828←]

BOA, MD, lll, 281.

[829←]
أعداد الدّفاتر المنظمة كانت تختلف من عام لآخر، على سبيل المثال نظم في عام 1100هـ 1689م 13 دفترًا، أصبح في عام 1175م 26 دفترًا، أمّا في عام 1218هـ فوصل إلى 29 دفترًا وهو أعلى رقم تمّ تسجيله.

[830←]
زادت الأموال المرسلة من هذا الوقف وكذا عدد الأشخاص الذين يأخذون منه زيادة خارقة عام 1101هـ 1690م، فقد وصل عدد الأشخاص إلى 6378 شخصًا، والأموال إلى 1088.5 سكة، الأوقاف، رقم 422.

[831←]

BOA, EV, HMK, SR, nr. 130.

[832←]
BOA, EV, HMK, SR, nr.167, vr 10-20a.

[833←]

BOA, EV, HMK, SR, nr. 167.

[834←]
مصطفى محمد رمضان، وثائق محسنات الحرمين الشّريفين في مصر إبّان العصر العثماني، دراسة تاريخية لشبه الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الرياض، ص 260.

[835←]

ستانفرد شو، التنظيم والتنمية في مصر العثمانية، برينستون 1962، ص254.

[836←]

BOA, EV, HMK, SR, nr.164.

[837←]

"توزّع وتقسّم الصّرر والغلال المعينة والمشروطة في الوقْفيّات المعمول بها على أهالي المدينة ومكّة من أوقاف الدشيشة الكبرى والدشيشة الصغرى في مصر المحروسة وكذا من سائر أوقاف الحرمين الشريفين في مصر، على أنْ يكون التوزيع بالتساوي بين الأشخاص ليكون نصيبُ كلّ شخص حصة منها، وبينما كان يتمّ العمل بالشكل والمنوال المشروح سابقًا، إلّا أنّه بمرور الوقت والأيام بدأ مجموعة من أصحاب النفوذ في الحصول على حصص الفقراء، وأصبحوا متصرّفين في 300 و400 و500 حصة، بينما نجد معظم الفقراء في عَوَزٍ لحبّة أو أقجة واحدة، وعندما وصل إلى مسامعنا أنّ هذا الوضع دعا لإلحاق الضّرر بالأهالي، لذا أرسلنا بعضًا من رجالنا ليتفحصوا الأمر ويحققوا فيه، وذلك لشفقتنا على أهالي الحرمين الفقراء المساكين، وأن يقوم رجالنا هؤلاء بإرجاع الأمور إلى نصابها، وأن يجعلوا الأوقاف على حسب ما جاء بالوقفيّات وشروطها، وعهدنا بهذه المهمّة إلى الحاجّ إسماعيل خليفة أحد أغوات القصر القديم، ومعه سبعة من رجال القابجي وكتبنا لهم خطًّا همايونيًّا بإجراء هذه المهمّة، ووصلوا إلى مصر، وجمعوا الدشيشة الكبرى والصّغرى وبقية الأوقاف الأخرى وأرسلوها للمدينة، وهناك قاموا بقراءة الخط الهمايوني الشّريف في حضور أغوات الحرم وكبار رجال المدينة، وامتثالًا من أهالي المدينة للخط الهمايوني، ولأنّهم كانوا راضين عن تقسيم الصّرّة والغلال بمقتضى الوقْفيّات وبما ورد في فرمان سلطاننا صاحب المرحَمَة على فقراء المدينة وسكانها؛ فقد تمّ توزيع تلك الغلال والصّرة على أهالي المدينة لكلّ واحدٍ حصّة، وذلك بمعرفة شيخ الحرمين، وتم تحرير دفترٍ بهذا، وأرسلَ على شكل دفتر مختومٍ وموقّع بواسطة الركاب الهمايوني، وبذلك وجد فقراء الحرمين الرحمة وشعروا بها، وأصبح هذا الدّفتر بمثابة دستور العمل لهم بعد اليوم، ويحفظ في الرّوضة، وإذا ما توفي أحد المتصرّفين على الدشيشة أو الصّرة، توزّع الصّرّة والدشيشة بمعرفة القاضي أو شيخ الحرم، بأنْ يعطى لكلّ فردٍ حصّة، ولا يعطى لأي شخص زيادة قط، كما أنّه لا يحرم أي شخص من هذه الصّرّة أو هذه العطايا، وليستمروا على هذا، وإذا ما طلب العمل بخلاف ما ورد فيه فالأمرُ والفرمان حينئذ لسلطاننا صاحب الشوكة." الأرشيف العثماني، نظارة الأوقاف العثمانية، دفاتر الصّرة، 164، ورقة 2.

[838←]

Mehmed Zeki Pakalın, a.g.e, c.1, 527.

[839←]

لم يشترك الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- في أوّل حج تمّ بعد فتح مكة، ولكنه أرسل أقربَ أصحابه سيدنا أبا بكر للحجّ في هذه السنة ليعلم الناس أمور دينهم في الحج، ويعلّمهم أركان الحج، والأحكام القرآنية، واستمرّت مهمّة إمارة الحجّ منذ ذلك الوقت وحتى وقتٍ قريب.

[840←]

M. Atalar, surre-ihümayun, s. 171.

[841←]
الأرشيف العثماني، دفتر المهمة، ج3، ص 389؛ الأرشيف العثماني، ج4،ص 448؛ TSMA.D-1152-1621-1213. لمعلومات أكثر عن الذين يقومون بتلك الوظيفة في الدّولة العثمانيّة انظر:

M. Atalar، a.g.e، s. 171-182.

[842←]

BOA, MD, lll, 1381.

[843←]

BOA, MD, lll, 1186.

[844←]

BOA, MD, XXXl, 862.

[845←]

BOA, MD, XXXlX, 567.

[846←]
لإيضاح تلك المصطلحات انظر:

M. Atalar، a.g.e، s.182-206.

[847←]
شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص 1304؛ علي سيدي، قاموس عثماني، ص 931؛ الأختري، ج2، ص 949؛ المعجم الوجيز، القاهرة 1980، ص 132.

[848←]
المخروطي، اسم يعطى للأشكال المخروطية التي تشبه البنجر.

[849←]
الشريف محمد صادق، مادر دنيا، ص 67.

[850←]
فيليب هيتي، تاريخ السياسة والثقافة الإسلامية، (ترجمة: صالح طوغ) استانبول 1989، ج1، ص 204-205.

[851←]
نفس المرجع، ج1، ص 205؛

F. Buhl، "mahmel"، IA، Istanbul 1993، c.7.s.151-152.

[852←]

محمد صادق، مرجع سابق، ص 68؛

.876 ‹ll-l ‹Istanbul 1301 ‹miret mekke ‹Eyyüb sabri

[853←]

المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[854←]

نفسه، ص 874.

[855←]

نفس المرجع والصفحة.

[856←]

Sabri paşa, a.g.e, s.870, Atalar, a.g.e, s. 215-219.

[857←]

Söylemezoğlu süleyman Şefik, Hicaz seyahetnamesi, Istanbul Ünv. ktp, nr 4199, s. 88.

[858←]

شمس الدين سامي، سابق، ص 44؛

.s. 224 ‹c.2 ‹Istanbul 1989 ‹"Akçe" IA ‹Halil sahilioğlu

[859←]

Halil sahilioğlu, a.g.m, s. 226.

[860←]

M.Z.Pakalın, a.g.e, c.1, s. 454-455. Halil sahili, "Dirhm "DIA, Istanbul 1994, c.9, s. 368-371.

[861←]

B. Sitkki Baykal, Osmanlı imparatorluğunda 17 -18. yüzyıllar bounca para düzeni ile ilgili Belgeler, TTBD, sayı 4, s.7-8, Ankara 1969, 44- 77.

[862←]

Halil sahilioğlu, a.g.m, s.227.

[863←]

M.Z.Pakalın, a.g.e, c.2, 326-327.

[864←]
دفتر حسابات قصر استانبول، مجلة وثائق التاريخ التركي، عدد9، /13، أنقرة 1979، ص 1-380؛ ثريا فاروقي، الحجّ في العهد العثماني، سابق، ص 84.

[865←]
Von Hammer, Devlet osmaniye tarihi (1494- 1520), Istanbul 1330(1915).

[866←]
Ibrahim Ateş, Osmanlılar zamanında Mekke ve Medineye gönderilen para ve hediyeler, VD, 13, Ankara 1981.

[867←]
.1 /11571 TSMA.E

[868←]
BOA, MAD, nr 1806, vr 11 a.

[869←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 8, vr 7a.

[870←]
ثريا فاروقي، مرجع سابق، ص 86.

[871←]
BOA, EV, HMK, SR, nr 130.

[872←]
Ömer Lutfi Barkan, 16. yüzyılın ikinci yarısında Türkiyede fiat harketleri, Belleten, sayıXXXlV, Ankara 1970, 599.

[873←]
الأرقام الواردة بالمصادر عن مقدار الصّرّة المرسلة في عهد يلدريم بايزيد مختلفة، ويذكر مصطفى نوري باشا أنّ يلدريم هو أوّل مَن أرسل الصّرّة من العثمانيين ولكنه لم يحدد مقدارَها (مصطفى نوري باشا، نتائج الوقوعات، ج1، ص 32) أمّا مكى أفندي فيذكر أنّ مقدار صرّة بايزيد كان 80.000 عملة ذهبية. (محمد الأمين المكى، مرجع سابق، ص 19)؛ أمّا إبراهيم جيلان من الباحثين المعاصرين فيقول إنّ مقدارها كان 3.500 عملة ذهبية، (وقفية القانوني لدشيشة الحرمين، مؤتمر اللغة التركية الدولي الخامس، استانبول 1985، ص 165).

[874←]
عاشق باشا زاده، تواريخ آل عثمان، استانبول 1332، ص 196؛ نشري، مرجع سابق، ص 551.

[875←]
أمرت السيدة أصفهان شاه إحدى بنات الشيخ الأدبالي وزوجة جاندرلى إبراهيم باشا الصدر الأعظم في ذلك الوقت ببناء مدرسة للقدس الشريف وأوقفت لها أوقاف، واستمرت أوقافها حتّى القرن الخامس عشر، وتوجد وقفيّة لها مؤرّخة بتاريخ 830هـ/ 1427/ ولكن صورتها ليست كاملة (علي أميري، مراد الثاني، رقم 9، ولكن دفاتر الصّرّة فيما بعد ذلك أوضحت أنّ تلك الأوقاف لسيدة هي ابنة شخص يدعى الشيخ محمود في إزنيك وليست ابنة الشيخ الأدبالي، وأوضح الدفتر أنّ الدخل السنوي لها كان 28.800 سكة، ومن المعلوم أنّ نصفَ هذا المبلغ حصل عام 994هـ، والنصف الآخر حصل عام 996هـ (الأرشيف العثماني، الدّفاتر المدورة من المالية، رقم 1806، ورقة 6 أ.

[876←]
Çağtay Uluçay, Padişahların kadınları ve kızları, Ankara 1992, s. 17.

[877←]
لقب الوالده سلطان: لقب تحمله والدات السلاطين طوال فترة بقاء أبنائهن في الحكم، ولمعلومات أكثر انظر: مادة والدة سلطان بالموسوعة الإسلامية، استانبول ج8، ص 178.

[878←]
أمّا الهانم سلطان: فهو لقب يمنح لبنات السلاطين.

[879←]
Şerefettin Turan, "sinan paşa "IA, c.10, 673- 674.

[880←]
يتحدّث بهاء الدين يدي يلديز عن بشير أغا فيقول: كان بشير أغا أغا للبنات، ظل في القصر العثماني 30 عامًا امتاز بالقوة والنفوذ، وتوفّي في 7/3/ 1746، وكان عمره 96 عامًا، كان أصله عبدًا حبشيًّا اشتراه القصر بثلاثين قرشًا، توفي وترك خلفه 2.018.000 كيسًا من العملات الفضية، و160 طاقمًا، و800 ساعة جيب مطعّمة بالمجوهرات، أنشأ في استانبول دارًا للحديث، ومكتبًا للصّبيان، وسبيل ومكتبة وعندما احترق قصر الصدر الأعظم افتتح مكتبًا آخر، دفن بجواره.

Türk vakıf kurucularının sosyal tabakalaşmadaki yeri, OAD, Istanbul 1982, c.3, 163-164.

[881←]
Nafiz Öztürk, "Bayezid oğulları vakıfları" VD, XXVl, Ankara 1997, 47.

[882←]

Ibnül Emin Mahmud Kemal Inal – Hüseyin Hüsamüddin, Evkaf Hümayun Nezaretinin Tarihçe Teşkilatı ve Nüzarın teracim ehvalı, Istanbul 1312, s. 6

[883←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, aynı yer.

[884←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 10-11.

[885←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 11.

[886←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s.12.

[887←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 13.

[888←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, aynı yer.

[889←]

Ismail Kurt , Para Vakıfları, Istanbul 1996, 148.

[890←]

Aynı eser, aynı yer.

[891←]

ثريا فاروقي، الحجّاج، مرجع سابق، ص 83.

[892←]

Bahaeddin yediyıldız , islamda vakıf, DGBIT, XIV, Istanbul 1989, 62.

[893←]

Kurt, a.g.e, s. 148.

[894←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 13.

[895←]
هذا نصّ الحكم: حكمٌ لأمير أمراء الأناضول والقضاة في الأناضول:

تمّ منح نظارة أوقاف الحرمين الشّريفين الواقعة في الممالك المحروسة لأغا دار سعادتي افتخار الملوك والسّلاطين محمد أغا، وقد أصدرت له حكمي الشريف المفصل والمشروح من المالية لكي يقوم بالتفتيش على أوقاف الحرمين الواقعة تحت إدارتكم، وقررت الآتي، عندما يصل فرماني هذا يجب عدمُ الإهمال أو التساهل ساعة أو حتّى لحظة واحدة، وأمرناه بعدم تضييع حبّة أو أقجة من الأموال المسجّلة في المالية، ولا يسجّل ما هو مشكوك فيه أو مُبْهَم، ولا يسجل إلّا كلّ ما هو صحيح، ويتأكّد من صحّته، ويجب عليكم أنّ تعلموني بشكركم أو شكايتكم من أغا دار سعادتي محمد أغا، ويجب عليكم أنْ تهتمّوا بما ورد في همايوني الشريف وما جاء في رسالة الأغا المذكور، وأنْ تعملوا بمقتضى ما ورد فيهما، ونكرر عليكم بأنه يجب الاحتراز من ضياع ولو حبّة واحدة من أموال الأوقاف. في 2/ رجب/ 996هـ/ 28/ /5/ 1588 / ". الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج LXII/ 563.

[896←]

TSMA.E K 9297- 22.

[897←]
1 /1157 TSMA.E.

[898←]

BOA, MAD, nr 1806, vr.5b.

[899←]
ابن الأمين– حسام الدين، مرجع سابق، ومذكور فيه تلك المعلومات المتعلقة بتأسيس نظارة الحرمين، "ولأنّ محمد أغا الحبشي أغا دار السّعادة كان صاحب نفوذ بين كلّ أغوات باب السّعادة، فقد عيّن كأوّل ناظرٍ لأوقاف الحرمين، وبذلك يكون تاريخ تأسيس نظارة أوقاف الحرمين 995هـ، أمّا الملحوظة الواردة بتلك المعلومة فواردٌ بها فرمان أرسل من السّلطان مراد الثّالث لمحمد أغا الحبشي أغا دار السّعادة في أواسط المحرم عام 998هـ/ أكتوبر 1587م بخصوص تمليك موقع باسم إسماعيل كجيد يقع على نهر الطونة، والذي يلفتُ الانتباه هنا أنّ المرحوم المؤلف ذكرَ أنّ تاريخ تأسيس النظارة كان عام 995هـ، أمّا في الملحوظة فذكر أنّ تاريخ تأسيسها كان عام 998هـ، وبالرغم من أنّ الفرمان وارد بالكتاب، إلّا أنّ القسمَ المكتوب به التاريخ مقطوع، وذلك هو القسم المتعلق بالوظيفة في الفرمان والتي نقلت استنادًا على صفحة 472 من دفتر الهمايوني المرقم برقم 11:
" نظرًا لأنّ محمد أغا- أغا دار السّعادة- دام علوه وزاد سموه مشهود له بالصدق والاستقامة الوطنية، وبمقتضى درايته وتدينه، ولخدماته المشكورة في مجال خدمات الحرمين؛ فقد عيّنّاه ناظرًا على حسابات أوقاف الحرمين الشريفين شرّفهما الله وعظمهما "(ابن الأمين حسام الدين، مرجع سابق، ص 14-15.).

[900←]
Ismail Hakkı uzunçarşılı, Osmanlı devletinde saray Teşkilatı, Ankara 1988, s 177-178.

[901←]

Mehmed Zeki Pakalın, Osmanlı Tarih deyimleri ve terimleri sözlüğü, c.1, Istanbul 1993, s. 744- 745.

[902←]

,ibnül Emin - Hüsamüddin, a.g.e, s. 13. Ismail Hakkı, a.g.e, s. 177-178

[903←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 16.

[904←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 16.

[905←]

ibnül Emin – Hüsamüddin, a.g.e, s. 16.

[906←]

Mehmed Zeki Pakalın, a.g.e, s.743.

[907←]

Mehmed Zeki Pakalın, a .g.e, s. 743, Ismail Hakkı, a.g.e, s. 177-178.

[908←]

Ismail Hakkı, a.g.e, s. 179.

[909←]

BOA, Ali Emiri , 4. Mehmed, nr 2552

[910←]

Ismail Hakkı, a.g.e, s. 179

[911←]

.108 /6896 TSMA.E

[912←]

Ismail Hakkı, a.g.e, s. 179

[913←]

BOA, EV, HMH, nr. 63.

[914←]

BOA, EV, HMH, nr. 6

[915←]

BOA, EV, HMH, nr. 69

[916←]

BOA, EV, HMH, nr. 81

[917←]

على سبيل المثال هذه هي العريضة المتصدرة الدفتر رقم 1806 بالأرشيف العثماني، حسابات أوقاف الحرمين: " كانت حاصلات أوقاف الحرمين فيما سبق تُجمع وتحصّل مهما بلغ مقدارها، وكان يرسل الفرمانُ العالي لهذا العبد لإرسالها إلى فقراء مكّة والمدينة، وبينما كان على وشك إرسال الستة آلاف عملة ذهبية المتحصلة السنة الماضية لفقراء الحرمين، قام بعض الأشخاص بإرسال بدل تلك المحاصيل من خزينة مصر المحروسة، وصدر فرماني الشريف للتمسك بهذا، إلّا أنّ هؤلاء الأشخاص لم يتمسّكوا بما ورد في فرماني الشريف، والآن تمّ التشاور مع بعض أهل الوقوف، وبمراجعة دفاتر الشّئون اليومية لعهود أجدادي العظام السّلطان بايزيد خان والسلطان سليم خان والسّلطان سليمان خان عليهم الرحمة والغفران وجدنا أنه في عهودهم كان يرسل للحرمين كلّ عام 15.207 سكة كعطيّة سلطانية، وكانت محاصيل الأوقاف ترسل من الآستانة، وفي عهد المرحوم السّلطان سليمان خان عليه الرّحمة والغفران أحيلت تلك المحاصيل والعطية السلطانية، وبلغت وقتها 12.997 سكة فلورية لمصر المحروسة، وهذا مسجّل في دفتر اليوميات، ولكن مع زيادة دخل أوقاف الحرمين أصبحت أموالُ الأوقاف غير معلومة، ولأنّ تعيين البدل المجهول غير مشروع، ولأنّه قد وردت عطايا كثيرة من أوقاف السلاطين لفقراء الحرمين، وفي حالة تكرير المحصول المرسَل من مصر من أوقاف الأموال للحرمين على بدل الوقف؛ فإنّه لن يرسل من مصر غير البدل، لذا تقرر أنّ يرسل الأغا المذكور كلّ محصول أوقاف الحرمين بتمامه سواء كان من أوقاف الحرمين أو كان من عطايا السّلطان إلى فقراء الحرمين، أمّا إذا قطع بأنه يرسل من مصر فإنّه ستنقطع بذلك نفقات بعض فقراء الحرمين، وبالتالي سيكون حالهم مشوش، والأمر في هذا لسلطاننا صاحب الفرمان.

[918←]

BOA, MAD, nr. 1806, vr, 10b.

[919←]

BOA, MAD, nr.6005.

[920←]

Abdülkadir Özcan, Eyyubi effendi kanunnamesi, Istanbul 1995, s. 31.

الأرقام المذكورة سابقًا ليست هي قيمة المبالغ المرسلة للحرمين في تلك السنوات إنما هي مجموع دخل كلّ الأوقاف التابعة لكلمتي المحاسبة والمقطعة.

[921←]
TSMK.EHرقم 3063.

[922←]
BOA, EV, HMH, nr.164

[923←]
BOA, EV, HMH, nr.467, vr 1a-b.

[924←]
BOA, EV, HMH, nr.2a.

[925←]
BOA, EV, HMH, nr.2-3.

[926←]
BOA, EV, HMH, nr.2-3.

[927←]
خوجه سعد الدين أفندي، تاج التواريخ، استانبول 1279،ج1، 511.

[928←]
المرجع نفسه، ص 271.

[929←]
BOA, MD, Vll, 1839.

[930←]
BOA, MD, XXXlX, 453.

[931←]
BOA, MD, ll, 896.

[932←]
أصل العريضة كما يلي: " هذا هو ما يعرضه عليكم عبدُكم الحقير، وفدَ إلى المجلس الشرعي أهالي قرية جوبوق التابعة لقضاء زيل، وقد أبرزَ عبدُكم إبراهيم بن المرحوم محمد باشا المتولى على وقف والده الواقع في طوقاد رسالةً فيها أنّ عشرَ محصول القرية المذكورة موقوفٌ لأهل المدينة المنورة، وذلك مذكور في الوقفية المعمول بها التي في أيدينا، لذا فقد صدرَ الأمر الشريف المقرون بالسعادة بأن تعفى تلك المحاصيل من الضّرائب وسائر الرسوم الأخرى "(TSMA.E 6896 /37).

[933←]

VGMA رقم 747، ص 304، توجد تسجيلات كثيرة جدًا في الأرشيف عن المعفاة من الضّرائب، ولمعلومات أكثر يمكن الاطّلاع على تلك الوثائق: TSMA.E رقم 5223/ 727075/ 9529؛ الأرشيف العثماني، دفتر المهمّة، ج42، / 34.

[934←]

BOA, MD, LXlV, 285-286.

[935←]

Mustafa Akdağ, Türkiyenin iktisadi ve ictimai yapısı (1453- 1559), Istanbul 1977, c.2, s. 59.

[936←]

.6886/18-19TSMA.E

[937←]

للاطّلاع على الدفتر الذي يضمّ الإقطاعات الخاصة التي كانت تتمّ من أموال وقف الحرمين انظر: الأرشيف العثماني، كامل كبة جي، رقم 3311، ورقة 3 أب.

[938←]

الوثيقة الصّادرة في ذلك محرّرة في 15/ جمادى الآخر/ 1101هـ(TSMA.E 9290/ 12).

[939←]

كمال باشا زاده، تواريخ آل عثمان، ج10، (أعده للنشر: شفاء الدين سفرجان) أنقرة 1996، ص 59.

[940←]

Mekki, Hulafa i izam, s.4.

[941←]

Yakub Muğul, Portekizlilerle kızıldenizde ve Hicazda osmanlı hakimiyetinin yerleşmesi hakkında bir vasika, Belgeler, T. T. B. dergisi, II-3-4, Ankara 1965, 37-50. Hulusi Yavuz , Yemen, s. 134.

[942←]

inasi Altundağ, Selim 1, IA, Istanbul 1993, c.10, 429.

[943←]

mer Lütfi barakan, 15-16. asırlarda osmanlı imapratorluğunda zirai ekonomik, hukuki ve mali esaslar, kanunlar, Istanbul 1943, c.1, 296.

[944←]

BOA, MD, Vl, 19.

[945←]

أبو القاسم سعد الله، رحلات الجزيرة الحجازية، خلال العهد العثماني، دراسة تاريخية للجزيرة العربية، الكتاب الأوّل، الرياض 1989، ص 335.

[946←]

BOA, MD, XXXl, 744.

[947←]

BOA, MD, LXIV, 44.

[948←]

BOA, MD, Vll, 337.

[949←]

BOA, MD, Vll, 337.

[950←]

.5 /11575TSMA.E

[951←]

أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العزة والإكرام المختصّ بمزيدِ عناية الملك العلّام، أمير أمراء ديار بكر، وأقضى قضاة الملك والولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث العلوم والأنبياء والمرسلين حجّة الحقّ على الخلق المختصّ بمزيد عناية الملك المعين زيدَ فضلُه وقدوة أرباب الإقبال عمدة أصحاب الجلال جامع الحقوق والأموال أمير.... بأحسن الأعمال المختصّ بمزيد عناية الملك الباري دفتر دار الخزينة العامرة بديار بكر دام علوّه، عندما يصلك توقيعي الرّفيع الهمايوني لتعلم أنّ ناظر أوقاف الحرمين الشّريفين أغا دار سعادتي محمد أغا زيد عمره قدوة الخواص والمقربين عمدة أصحاب العز والتّمكين معتمد الملوك والسلاطين قام بإرسال دفتر الأوقاف لدار سعادتي، وأنه بينما كانت كلّ القرى الموقوفة للحرمين في الإيالة المذكورة حرّة من كافة الوجوه تدخل أمير الأمراء وأمراء السناجق والضبّاط وقبضوا محاصيل تلك الأوقاف، ولم يخلو عن التضرّع بعد ذلك، لذا صدر أمري الشّريف بعدم تدخل أي شخص في شئون أوقاف الحرمين وأن يكون رعايا تلك القرى معافين كما كانوا، وليس جائزًا قطعيًّا التدخلُ في هذا الأمر من الخارج، وقد قررت ما يلي، عندما يصل فرماني الشّريف هذا ليتمّ التنبيه والتأكيد على أمير الأمراء وأمراء السّناجق، وسائر الضباط بأن يتركوا رعايا الأوقاف المذكورة معافين وأحرارًا، ولا يتدخلوا في شئون محاصيلها، وأنه يجب عليهم إعادة كلّ ما أخذوه من تلك المحاصيل، وإذا ما صدر تجريم الرّعايا المذكورين فليحاكموا بالعدل وليعتمد هذا بخاتمي الشريف. تحريرًا في 27/ جمادى الآخر/ 998هـ/ 3/ 5/ 1590م. (TSMA.E 6896-19).

[952←]

472., LXlX, MD, BOA